

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب،
والفنون
قسم اللغة العربية
وآدابها



1

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة وهران
أحمد بن بلة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللسانيات
بعنوان:

الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب اللغوي "عيون البصائر" للبشير الإبراهيمي أنموذجا

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الحليم بن عيسى

أعضاء لجنة المناقشة:

إعداد الطالبة:

بن عياد فتيحة

الأستاذ الدكتور: عبد الخالق رشيد جامعة وهران 1 أحمد بن بلة رئيساً.
الأستاذ الدكتور: بن عيسى عبد الحليم جامعة وهران 1 أحمد بن بلة مشرفاً ومقرراً.
الأستاذ الدكتور: مصطفى عمار جامعة وهران 1 أحمد بن بلة عضواً مناقشاً.
الأستاذ الدكتور: خالد هاشم جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان عضواً مناقشاً.
الأستاذ الدكتور: بلي عبد القادر المركز الجامعي عين تموشنت عضواً مناقشاً.
الدكتور: حاج هني محمد جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف عضواً مناقشاً.

السنة الجامعية 2018/2019



جَرَبٌ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝

الآية 19 من سورة النمل.



إلى روح والدي تغمده الله برحمته الواسعة ورفعته إلى مقام
عليين... آمين.

إلى أمي العزيزة بارك الله لها في عمرها.

إلى الحاج الحسين والحاجة مباركة أطال الله عمرهما.

إلى زوجي و أبنائي : محمد إسلام، حمزة، فاطمة الزهراء، عصام
البشير حفظهم الله ورعاهم.

إلى إخوتي و أساتذتي الأفاضل وزملائي الكرام.

إلى كل من لبي نداء العلم.

فتيحة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين
محمد بن عبد الله "صلى الله عليه وسلم" عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم وبعد.

تعدّ اللغة من أسمى أشكال التواصل الإنساني، إذ يستعملها الإنسان في
محاواراته ومناقشاته، لذلك عنيت بالدراسة والاهتمام من طرف العديد من
التخصصات المعرفية كالفلسفة و علم النفس و علم الاجتماع و اللسانيات وغيرها، إلا
أن اللسانيات بفروعها المتعددة نظرت إلى اللغة على أنها بنية مغلقة معقدة تتكون
من وحدات تحكمها علاقات مخصصة.

أما في النصف الثاني من القرن العشرين فقد عرف البحث اللغوي تحولاً
إبستمولوجياً بظهور إرهابات الفكر التداولي الذي يعد مبحثاً من مباحث الدراسات
اللسانية الحديثة، وقد ظهر ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية.

اهتم المنهج التداولي بدراسة الاستعمال اللغوي وكيفية تحقيق التواصل
اللغوي بين المتخاطبين وفهم مقاصدهم، وطريقة إنتاجهم لفعل تواصل أو فعل
كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد يتم من خلاله التعامل مع المعاني التي
يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى فعل تواصل مرتبط بالوظيفة
المرجعية التي تضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل كي يتحمل مسؤولية الفعل
الكلامي، لهذا ركزت التداولية على دراسة الأساليب الكلامية ومراقبة الآثار الدلالية
المرتبطة بالمواقف المقامية.

فالتداولية كنسق معرفي استدلالي تسعى إلى الوقوف على أغراض القائل المقامية ، من خلال معرفة الاستراتيجية الخطابية للنص، ومن ثم يكون المعنى المقامي عمدة التفسير والتأويل، وذلك بالكشف عن قيمة القول خارج العالم اللساني، بمعنى البحث عن البعد العملي للقول. فالتداولية تجعل الفعل اللغوي حدثاً لسانياً عالمياً يسعى إلى التعبير عن طريق التواصل، وهي بذلك تهتم بالاستعمال اللغوي.

انبثقت التداولية من أبحاث الفلسفة التحليلية التي تدرس وظائف المنطوقات وخصائصها وظهرت نظرية أفعال الكلام على يد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين John Austin" (1960.1911) في محاضراته "نظرية أفعال الكلام العامة Quand dire c'est faire"، وازدهرت على يد تلميذه "جون سيرل John Searle" إضافة إلى إسهامات "بول غرايس Paul Grice".

لقد أتاحت تداولية أفعال الكلام لتحليل الخطاب منهجية لسانية جديدة من حيث أنها نظرية للكلام بوصفه فعلاً لغوياً (Speech act) يدل عليه قصد المتكلم، وترمي هذه الأفعال إلى إنجاز الأشياء بالكلمات، أو صناعة الأفعال، ومواقف اجتماعية وذاتية بالكلمات؛ أي ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل، أو ترك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد أو وعيد، أو إبرام عقد، أو فسخه، أو إفصاح عن حالة نفسية معينة.

ومن هنا ارتأيت أن من أخصب المدونات التطبيقية لإسقاط المنهج التداولي هي نصوص الشيخ العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" الجزائري الأصل أصالة هذا الوطن الذي نبغ في أخطر مرحلة اشتدت فيها ضغوط الاحتلال الفرنسي على الجزائر، ومؤامراته على الشخصية القومية الجزائرية بهدف القضاء عليها وعلى مقوماتها، وقد وقع اختياره على النصوص في فترة حرجة (1929:1954) لأن الصراع احتدم اللغة، الدين، الثقافة والتاريخ وحضارة الوطن.

وقد كان الخطاب الإصلاحي في وسط هذا الصراع المصيري حين نهض بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 بقصد المحافظة على كيانه الوطني، وشخصيته القومية، مما ساعد على حدوث نهضة عربية واسعة النطاق خلال المرحلة المعتمدة في الدراسة، إذ كان شعار هذه النهضة "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"

وهذا هو العامل الرئيس والسلاح الفعال والمضاد لتلك السياسة التي كانت تقوم على الفرنسة والتنصير والإدماج، فاستحق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أن يعدّ زعيما بل مدرسة قائمة بذاتها، استعمل الأدب في أسى غاياته النبيلة "الإصلاح".

وبذلك ثبت اختياري في دراستي هذه على مدونة بالغة الأهمية لهذا المصلح لما اتّسمت به من حكم وقيم إنسانية تهدي النفوس، وتوقظ الوعي، تجلت في مقالات

مختارة مجموعة في كتاب "عيون البصائر". وهي بمثابة خطابات لغوية حقق بها غرضه الإنجازي المتمثل في الإصلاح وإقناع المتلقي عن طريق أقوال كلامية مباشرة مصرح بها في الخطاب، وغير مباشرة متضمنة فيه.

إنّ الغاية من هذا البحث هي استثمار نتائج نظرية أفعال الكلام في قراءة الموروث اللساني العربي، ومحاولة التأصيل لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث موسوم "الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب اللغوي- عيون البصائر للبشير الإبراهيمي أنموذجاً-".

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع، فيكمن في رغبتني في استقراء وتحليل كل ما له علاقة بهذا المجال الخصب للوصول إلى الهدف المرجو وهو إزالة شيء من الغموض عنه والتعمق أكثر فأكثر في هذا المجال، وذلك من خلال الكشف عن الأفعال الكلامية في العملية التبليغية التواصلية، هذا من جهة، وإسقاط هذه الأفعال على نص من النصوص الأدبية اللغوية بهدف الربط بين الدرس اللساني والتراث من جهة أخرى، وذلك بتقصي هذه الأفعال واستخراجها والكشف عن قوتها وغرضها الإنجازيين بشيء من الوصف والتحليل.

ومن هنا فإن الإشكالية التي جعلتني أطرق هذه الدراسة هي: كيف يمكن الكشف عن البعد التداولي في الخطاب اللغوي من خلال نظرية الأفعال الكلامية؟ وما مدى كفاية المنهج التداولي لدراسة الأسلوب اللغوي؟ وإلى أي مدى يمكن استثمار

نظرية الأفعال الكلامية في الكشف عن الآليات التعبيرية المستعملة في الخطاب اللغوي للدلالة على القوة الإنجازية التي تكمن فيه؟ وهل تنبني الخطابات اللغوية على الأفعال الكلامية غير المباشرة لتحقيق غرضها الإنجازي؟ أي كيف نتكلم بشيء ونحن نريد شيئاً آخر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، ارتأيت تأسيس هذا البحث على مدخل وأربعة فصول تطبيقية وخاتمة:

المدخل عنوانته بالمرجعية المعرفية لنظرية الأفعال الكلامية، انطلقت فيه من النشأة وعلاقتها بالفلسفة التحليلية التي تعد المنطلق الأساس لها باعتبارها مفهوم تداولي. ثم تطرقت للأفعال الكلامية والفكر التداولي باعتبارها من أهم المباحث التداولية التي أسست للفكر اللساني التداولي المعاصر ، وتحقق ذلك على يد الفيلسوف " جون أوستين John Austin " حيث تعد محاضراته بمثابة اللبنة الأولى التي أثرت في هذا الحقل المعرفي ، كما أشرت إلى الأفعال الكلامية عند العرب، حيث أسهم العرب في تطوير نظرية أفعال الكلام بأعمال تميّزت بالخضوع للدقة والصرامة ، فهي "تندرج ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ "الخبر والإنشاء" وما يتعلق به ما من قضايا وفروع وتطبيقات ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين.

أما الفصل الأول فعنوانته بـ الفعل الكلامي المباشر في عيون البصائر، وعرضت فيه مفهوم الفعل الكلامي المباشر وهو الفعل الذي يتلفظ به المرسل في خطابه وهو يعني حرفيا ما يقول ، ثم تطرقت إلى تصور "جون أوستين John Austin" له، كما أدرجت تصنيف "جون أوستين John Austin" للأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف كبرى متمثلة في أفعال الأحكام Verdictives، وأفعال القرارات Exercitives، وأفعال الالتزام أو التعهد Comissives، وأفعال السلوك Behahitives، وأفعال الإيضاح Expositives ثم طبقها على نماذج من عيون البصائر. وتطرقت أيضا إلى تصور "جون سيرل John Searle" للفعل الكلامي المباشر، وتصنيفاته المتمثلة في خمسة أصناف وهي الإثباتيات (Assertives)، التوجيهيات (Directives)، الإلتزاميات (commissives): التعبيريات (Expressives)، التصريحات (Déclarations)، وطبقها أيضا على نماذج من عيون البصائر.

والفصل الثاني سمّيته بالفعل الكلامي غير المباشر في عيون البصائر، تطرقت فيه إلى تصنيفات كل من "جون أوستين John Austin" و "جون سيرل Searle" John، وقمت بتطبيقها على نماذج من عيون البصائر أيضا.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان الأفعال الكلامية غير المباشرة المجازية في عيون البصائر، وعرضت فيه الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التشبيه، ثم القائمة على الاستعارة، وكذلك القائمة على الكناية، ثم القائمة على التورية ، وقمت بتطبيقها على نماذج من عيون البصائر.

والفصل الرابع والأخير عنونته بـ الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على

الحالات الخاصة ، وتطرقت فيه إلى الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على

الشاهد، والقائمة على المثال، ثم القائمة على القدوة، فالقائمة على التناسب.

وأخيرا ذيلت البحث بخاتمة ضمنيتها النتائج المحصل عليها التي خرجت بها من

هذه الدراسة.

ولإجراء هذا البحث اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، القائم على المسح

والاستقصاء باعتبار أن هذا المنهج يتماشى مع منطق الظاهرة اللغوية لتحليلها

والوقوف على بنيتها وسماتها المائزة.

ومن أهم المصادر والمراجع التي جعلت منها ركيزة في هذا البحث، نذكر على

سبيل المثال لا الحصر: "مفتاح العلوم" للسكاكي(ت)، و"معجم "لسان العرب" لابن

منظور (ت711هـ)، بالإضافة إلى كتاب "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود

صحراوي، و مؤلّف "التداولية اليوم علم جديد في التواصل" لأن روبول و جاك موشلار

. إضافة إلى مؤلف "المقاربة التداولية" لفرانسواز آرمينكو ، وكذلك كتاب

"استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية" لعبد الهادي بن ظافر الشهري،

و"لتداوليات علم استعمال اللغة" لحافظ اسماعيلي علوي.

وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء البحث من بينها وصعوبة الترجمة عن

المصادر الأجنبية، وقلة الدراسات التطبيقية في مجال الأفعال الكلامية غير المباشرة، و

كذلك الإيهام الذي يكتنف بعض التصورات الخاصة بـ "سيرل Searle" وكذا عددا كبيرا من المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالفعل الكلامي.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أحمّد الله على نعمة العلم أولاً، وأن أوجه خالص شكري وامتناني إلى الأستاذ الدكتور "عبد الحليم بن عيسى" أبي الروحي و الأبدى الذي تولى الإشراف على هذا البحث مسaireً وصبراً، حيث كان لملاحظاته الدقيقة وتشجيعه المستمر وروحه الطيبة دور كبير وفعال في إخراج هذا البحث من الظلمات إلى النور إلى أن استوفى العمل ناضجاً، كما أنوّه بمجهودات ونصائح الأستاذ الدكتور عرابي امحمد الذي كان له إسهام مشكور لما قدم لي من مقترحات أضاءت مسار البحث، فلقد تعلّمت منهما الدقة والإخلاص في البحث، أو بالأحرى معنى العصامية فيه، وحسبي هذا شرفاً وفضلاً، والشكر والعرفان لكل من ساهم في سبر أغوار هذه الدراسة.

وفي الأخير أحمّد الله تعالى الذي وفقني في عملي هذا، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فحسبي أنني حاولت وخضت هذه التجربة بجد وصبر وصدق.

وهران في: 2019/04/07م

فتيحة بن عياض

مدخل

نظرية الأفعال الكلامية

(النشأة، التطور، المصطلحات و المفاهيم)

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

1. نشأة نظرية الأفعال الكلامية :

تعد نظرية الأفعال الكلامية مصدراً أساسياً من مصادر الدرس اللساني التداولي المعاصر المتعددة، حيث أن لكل مصدر منها حقل معرفي يستمد منه مادته المعرفية، فالأفعال الكلامية باعتبارها الفكرة النواة المؤسسة للفكر التداولي الحديث انبثقت من مناخ فلسفي رحب ، ممثلاً في الفلسفة التحليلية التي أرسى معالمها الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريج" Gottlob Frege ، و"كارناب" Carnap ، و"فيتغنشتاين" Wittgenstein ، وغيرهم.

أ. الفلسفة التحليلية :

تعتبر الفلسفة التحليلية المنطلق التأسيسي لنشأة الفكر التداولي بعامة ، كما تعتبر منبعاً لنظرية الأفعال الكلامية بخاصة باعتبارها أول مفهوم إجرائي تداولي .

نشأت الفلسفة التحليلية «في العقد الثاني من القرن العشرين في ف يينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه Gottlob Frege (1848.1925) في كتابه أسس علم الحساب¹. وكان ذلك من خلال محاضرات ودروس في الفلسفة

¹ . التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، مسعود صحراوي، بيروت، درا الطليعة . ط1 ، 2005 . ص18.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

والمنطق، طور بها الكثير من قضايا الفلسفة التحليلية، والتي أنتجت بدورها الفلسفة الأوستينية في اللغة من خلال تناولها للقضايا التداولية¹.

وممن اشتهروا ببحوثهم في هذا الموضوع كذلك الفيلسوف النمساوي "لود فيج فيتغنشتاين Wittgenstein (1889 . 1951)" إذ يعد «من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة»². كما أسس اتجاهها فلسفيا جديدا سماه " فلسفة اللغة العادية " قد تميزت بالبحث في المعنى غير الثابت وغير المحدد³. كما اهتم أكثر بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر، وبين أنهما غير منفصلين .

كما يعد الفيلسوف اللغوي "جون أوستين John Austin" ممن تأثروا بفلسفة "غوتلوب فريج Gottlob Frege" الذي عرف من خلال محاضرات قدمها بجامعة "هارفارد Harvard University" سنة 1955م في فلسفة اللغة ، ونشرت في عام 1962م بعد وفاته بعنوان :كيف ننجز الأشياء بالكلام ؟ How to do Things with Words. كما يعتبر أن بيئة اللغة وبيئة الفكر متساويتان وجعلهما شيئاً واحداً⁴. إضافة إلى ثلة من الفلاسفة اللغويين أمثال " جون سيرل " John searl " و هو تلميذ "جون أوستين John Austin" فقد قام بتطوير نظرية الأفعال الكلامية، و"هوسرل Husserl" و"كارناب carnap" وغيرهم، «وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة

¹ . ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خلفية بوجادي ، بيت الحكمة الجزائر، ط 1 ، 2009 ، ص 50 .

² . في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خلفية بوجادي، ص 51 .

³ . ينظر: التداوليات عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، ص 21.

⁴ . ينظر: في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي ، ص 53.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

مشتركة، مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم. وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها¹. ومن خلال هذا الطرح سعى "مسعود صحراوي" إلى تلخيص مفهوم الفلسفة التحليلية في جملة من المطالب والاهتمامات أبرزها:

1. ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
2. تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" الى موضوع "التحليل اللغوي".

3. تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، لا سيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه².

يبدولنا من خلال هذه النقاط الثلاث أن الفلسفة التحليلية قامت على أنقاض الفلسفة التقليدية منهجيا، والتي كان الجانب الميتافيزيقي يطغى عليها، إضافة إلى أنها اهتمت بالجانب التحليلي للغة لا إلى النظر الشكلي.

كما عرض "مسعود صحراوي" الاتجاهات الكبرى للفلسفة التحليلية وهي ثلاثة:

1. الوضعانية المنطقية. Positivisme logique بزعامة "رودولف كارناب" Rudolf Carnap وهو فيلسوف ومنطقي ألماني.

¹ - التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 21.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

2. والظاهرية اللغوية phénoménologie du langage بزعامة " إدموند

هوسرل Edmund Husserl " وهو كذلك ألماني.

3. وفلسفة اللغة العادية philosophie du langage ordinaire بزعامة "لود فيغ

فيتغنشتاين Ludwig Wittgenstein " النمساوي¹.

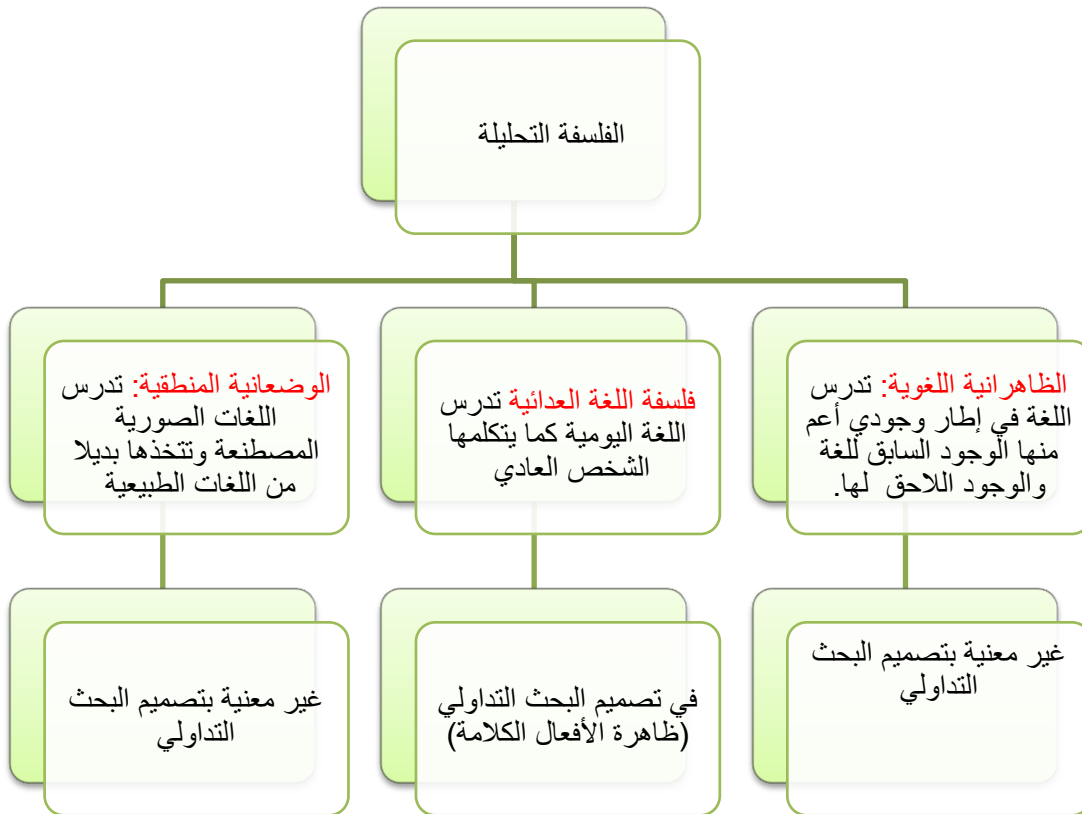
وأكد مسعود صحراوي أن هذه التيارات أو الفروع الثلاثة ليست كلها ذات منهج تداولي في دراسة اللغة، حيث خرج التياران الأول والثاني عن التداولية، ذلك أن الوضعانية المنطقية اهتمت باللغات الصورية المصطنعة واتخذتها بديلاً عن اللغات الطبيعية، أما التيار الثالث ممثلاً في الظاهراتية اللغوية فقد انغمست في البحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية، أما التيار الثالث المتمثل في "فلسفة اللغة العادية" الذي أسسه "فيتغنشتاين" فيعتبر تياراً تداولياً ؛ ذلك أن المادة الأساسية للفلسفة عند "فيتغنشتاين" هي اللغة . ومن ثمة نجد أن نظرية الأفعال الكلامية نشأت في أحضان فلسفة اللغة العادية². واستخلص في الأخير موقع الاتجاهات الثلاثة من التداولية في الرسم التخطيطي المبين أدناه³:

¹ - ينظر: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي، ص 22.

² . ينظر: المرجع نفسه، ص 22 . 23.

³ . ينظر: المرجع نفسه، ص 23

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)



نستنتج مما سبق ذكره أن ظاهرة "الأفعال الكلامية" بنتُ مخاضٍ تاريخيٍّ فلسفيٍّ طويلٍ ولدت من رحم الفلسفة التحليلية، وبالأخص من فرع فلسفة اللغة العادية بزعامة "فيتغنشتاين" باعتباره التيار الوحيد الذي يعد اهتمامه في صميم البحث التداولي في شقه المتعلق بدراسة اللغة واستعمالاتها المختلفة .

2. الأفعال الكلامية والفكر التداولي:

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم المباحث التداولية التي أسست للفكر اللساني التداولي المعاصر ، وتحقق ذلك على يد الفيلسوف "جون أوستين John Austin" حيث تعد محاضراته بمثابة اللبنة الأولى التي أثرت في هذا الحقل المعرفي ،

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

وأدت إلى تطويره. وقد «عد أوستين اللغة العادية المجال الوحيد في البحث العلمي، داعياً إلى تطويرها وتحسينها، بغية الكشف عن أسرارها، فأفضل طريقة لطرح القضايا وفهم الوقائع، هي فحص اللغة العادية/ المألوفة، في مقابل اللغة العلمية، ذلك أنه من الصعب إدراك الواقع بغير اللغة¹». وهي تلك اللغة التي تعد وسيلة للتواصل اللغوي.

ومن ثمة توصل إلى ما يسمى بـ"الفعل الكلامي" *Acte de langage* الذي يرتبط بالإنجاز؛ أي «إن قولنا شيئاً ما يعنى أننا قد تصرفنا أو فعلنا شيئاً ما أو على وجه آخر إن النطق بشيء ما هو حصول تعلق المفعولية، إذ التصرف يحتاج في حدوثه إلى النطق»². ومن ثمة اتجه اهتمام "جون أوستين John Austin" إلى الفعل الكلامي الذي حده بقوله: «أما الفعل الكلامي فهو النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به، ومتمشية معه وخاضعة لنظامه»³. وغايته من هذا الاهتمام هو تمييز الفعل الكلامي الذي يتضمن قوة إنجازية عن بقية الأفعال الأخرى كالفعل الفونيتيكي الصوتي الذي عده مجرد فعل التلفظ ببعض الأصوات المقروعة المحمولة في الهواء، والفعل

¹. تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين جعيط، الأردن ، ط 1. 2012، ص 68.

². نظرية أفعال الكلام العام كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ت عبد القادر قنيني، المغرب ، إفريقيا الشرف ، ط 2، 2008، ص 123.

³. المرجع نفسه، ص 124.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

الخطابي الذي اعتبره «طريق تأدية الإنجاز، وكيفيته باستعمال تلك الألفاظ، مقرونة إلى حد ما، وبمعنى ما، بالمعنى والمرجع»¹.

فإذا كان الفعل الكلامي هو عبارة عن «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري»²، فإن تحقيقه إجرائياً يتمثل في قول صادر عن متلفظ ما يحمل قوة إنجازية غرضها التأثير في الملتقى.

رأى "جون أوستين John Austin" أن المتلفظ بأية عبارة تنتمي إلى لغة طبيعية يقوم بإنتاج ثلاثة أفعال كلامية هي³:

1. الفعل القولي (الفعل اللغوي، العمل القولي، فعل الكلام) Acte locutoire:

الذي يتحقق ما إن نتلفظ بقول ما في سلسلة أصوات أو كلمات ويتشكل من ثلاثة أفعال فرعية، وهي الفعل الصوتي والفعل التركيبي، والفعل الإبلاغي (الدلالي). فعبارة "إنها ستمطر". مثلاً. يمكن أن يفهم معناها، ولكن لا ندرى أهي إخبار، أم تحذير، أم أمر، بحمل مظلة، فمعناها الحقيقي لا يفهم إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد مقصدية المتكلم.

¹ . نظرية أفعال الكلام العام كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، 124.

² . التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، ص 40

³ . ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ص123، والتداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ص 32. والتداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، 41 . 42.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

2. الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول، العمل المتضمن في القول، قوة فعل

الكلام) Acte Illocutoire: الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه، لينجز به معنى

قصدياً، إذ أنه عمل ينجز بقول ما، مثل: السؤال، والتحذير، والوعد، والأمر،

والتأكيد، إذن هو القيام بفعل ضمن قول شيء.

3. الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول، عمل التأثير بالقول، لازم أفعال

الكلام) Acte Perlocutoire: وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، أي

العمل الذي يتحقق نتيجة شيء ما فيتسبب في نشوء آثار في المشاعر والأفكار،

كالإقناع، والتضليل، والإرشاد، والتخويف.

وعليه ففعل الكلام هو التلفظ بالكلمات من حيث هي وحدات لسانية منتمية

إلى معجم ما. الأمر الذي يجعل من اللغة عند استعمالها إنجازاً ف «كل جملة بمجرد

التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي وعمل متضمن في القول،

وتوافق أحياناً كذلك القيام بعمل تأثير القول»¹. وقد أدرك "جون أوستين John

Austin" خصائص ثلاثة للفعل الكلامي الكامل وهي:

1. أنه فعل دال.

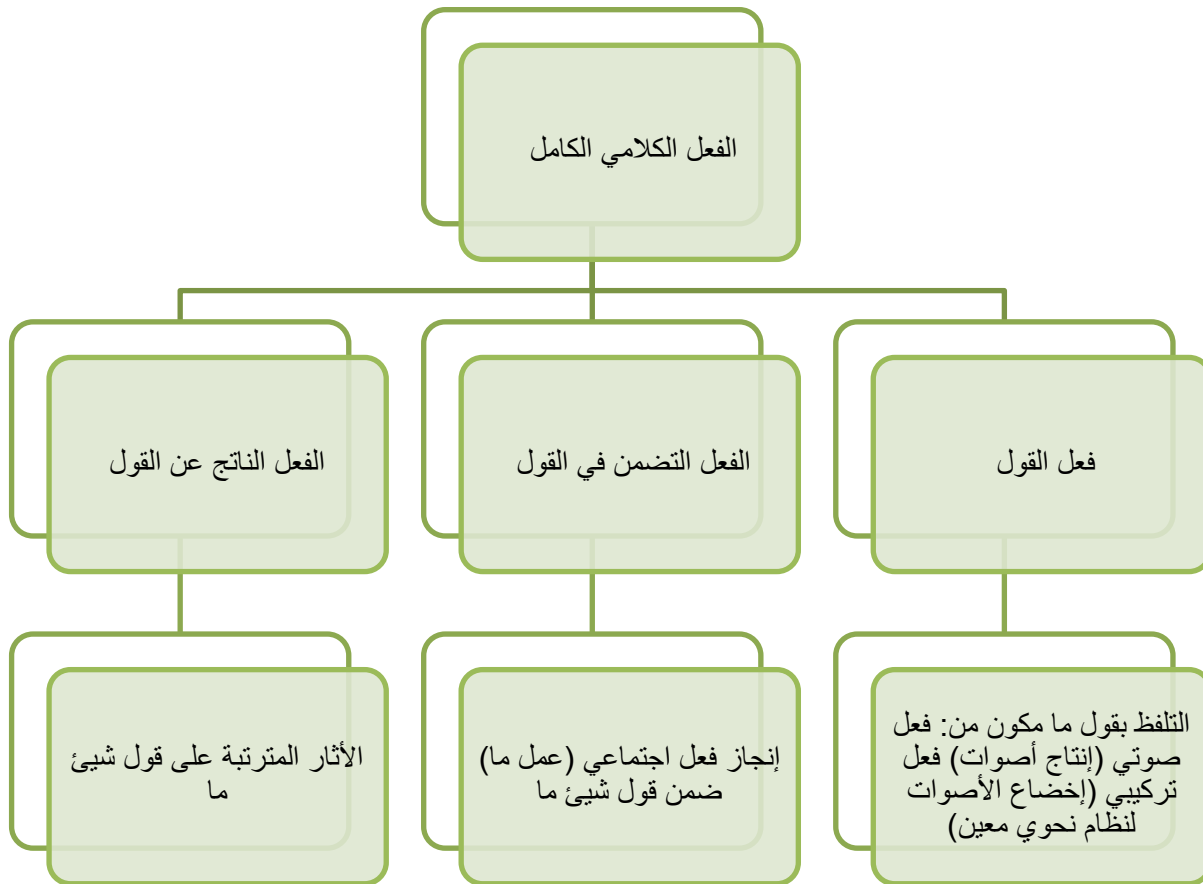
2. أنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات)

3. أنه فعل تأثيري (أي يترك آثاراً معينة في الواقع خصوصاً إذا كان فعلاً ناجحاً)

3. ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلار. وآن روبرول، تر: سيف الدين دفعوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2003، 1، ص 32.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

ونوضح ذلك أكثر في الخطاطة الآتية:



وقد استندت نظرية الفعل الكلامي عند "جون أوستين" John Austin " على

التمييز بين نوعين من الملفوظات¹.

1. الثابتة التقريرية (Constatifs): والتي تمثل حالات الأشياء، وهي قابلة لأن تكون

حقيقية أو خاطئة.

¹. ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأفعال بالكلام، جون أوستين، ص 123.125.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

2. الملفوظات الإنجازية (Performatifs): وترتبط بشروط تحقيقها، التي تحمل حال

النطق بها. وبمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى نحو: "أعلن عن افتتاح الجلسة" وبذلك فهو يعارض مبدأ الصدق والكذب الذي يحكم على الجملة عموماً، فاللفظ الثابت هو الذي يمثل حالة الشيء نحو: "العصفور فوق الشجرة"؛ وهو يحتمل الصدق أو الكذب. أما اللفظ الإنجازي فحين ينطق به نريد من ورائه إنجاز فعل، نحو: سنحتفل غداً؛ فهذه الجملة تعارض مبدأ الصدق والكذب.

ثم جاء من بعده تلميذه "جون سيرل John Searle" الذي طور نظرية أستاذه "جون أوستين John Austin" بتقديمه تقسيماً آخر للأفعال الإنجازية، وقد سماها أفعالاً تمريرية والتي تختلف في نظره عن الأفعال التأثيرية كون هذه الأخيرة لا تكون قصدية بالضرورة في حين أن الأفعال التمريرية قصدية في الجوهر؛ أي ربطها بنظرية القصدية وفي حد "جون سيرل John Searle": للفعل التمريري يقول: «هو وحدة المعنى في الاتصال. حين يقول المتكلم شيئاً ما. وهو يعني بما يقوله شيئاً، ويحاول توصيل ما يعنيه للمستمع، فإنه إذا أفلح سيكون قد أدى فعلاً تمريرياً»¹، فالنقطة الكلامية في نظره هي التي تحدد كلا من اتجاه الملاءمة وما هي الحالة القصدية المعبر عنها في أداء الفعل الكلامي والذي قام بإعادة تقسيمه إلى أربعة أقسام²:

1. العقل واللغة والمجتمع. الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم

ناشرون، لبنان المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص 203.

2 Les actes de langue (essai de philosophie du langage), John Searle, Collection savoirs lettres,

Hermann, Paris, nouveau tigre, 1996, p-60

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

1. فعل التلفظ Acte d'énonciation (الصوتي والتركيب).

2. الفعل القضوي Acte prépositionnel (الإحالي والجمالي).

3. الفعل الإنجازي Acte illocutionnaire (على نحو ما فعل أوستين).

4. الفعل التأثيري Acte perlocutionnaire (على نحو ما فعل أوستين).

كما أعاد تصنيف الفعل الكلامي بحسب قوته الإنجازية إلى خمسة أقسام تمثلت في:

1. الإثباتيات (Assertives): تحتل الإثباتيات الصدق والكذب، كما تكمن غاية هذا

النوع من الأفعال في إسناد المسؤولية للمتكلم عن وجود وضع الأشياء والغرض

الإنجازي في هذه الأفعال هو أن ينقل المتكلم واقعية ما¹. ويقابل هذا الضرب من

الأفعال عند "جون أوستين" أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام.

2. التوجيهيات (Directives): وهي الأفعال التي تجعل المتلقي يتفاعل مع المحتوى

الخبري للتوجيه الذي يجعله ينجز عملاً معيناً، ويدخل في هذا الصنف: النص،

الإذن، الأمر، الاستفهام.... ويقابل هذا النوع في تقسيم "جون أوستين" أفعال السلوك

وأفعال القرارات².

¹ ينظر: خطاب الحجاج والتداولية. دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص 264.265.

² ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص115.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

3. الإلتزاميات (commissives): وتتوقف على إخلاص المرسل بتعهده والتزامه بمحتوى الخبر. كما أن التوجيه يات والإلتزاميات يشتركان في اتجاه المطابقة، لأن في التوجيهيات يحاول المتكلم التأثير في السامع، ومرجع التوجيه يات هو السامع، بينما الإلتزاميات مرجعيتها المتكلم والمطابقة لجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي¹.
4. التعبيريات (Ixpressives): وشرط هذه الأفعال التعبيرية هو الإخلاص، و " يندرج ضمن هذه المجموعة أفعال التهئة والشكر والاعتذار والتعزية. وترتبط بصدق الفعل الكلامي. وتتجلى عند " جون أوستين" في أفعال الممارسة مع شرط صدقها، "².
5. التصريحات (Declarations): وهذه الأفعال لا تشترط الإخلاص، وهدفها إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير³ ، ونجاحها مرهون بمطابقة المحتوى القضوي للعالم الخارجي؛ وتكون هذه الأفعال حين التلفظ ذاته ، ويتضمن هذا الصنف » أفعال الإعلان عن الحرب والتعيين والتعميد (فعل يتعلق بمؤسسة الكنيسة) ...»⁴.
- كما أسهم "جون سيرل" في تجديد شروط أداء الفعل اللغوي وهي أربعة⁵:

. ينظر: آفات جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مصر، دار المعرفة

¹الجامعية 2008، ص71

ينظر: تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، الأردن ، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2012. ص 73.

²

³ . اللغة والعقل والمجتمع ،الفلسفة من العالم الواقعي جون سيرل، ص217.

⁴ . تداوليات الخطاب السياسي ، نور الدين اجعيط، ص 73.

⁵ . اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المغرب، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2006، ص 162.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

أ. شروط مضمون القضية : وهي التي تحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقبول مخصص.

ب. الشروط الجوهرية: وتعين هذه الشروط الغرض التواصلي من الفعل التكلمي، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة.

ت. شروط الصدق: وهي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم به المتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي.

ث. الشروط التمهيدية: وهي ذات صلة بمقام التواصل وبما يعرفه المتكلم عن قدرات واعتقادات المستمع، وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما (يتكلمان اللغة نفسها مثلاً) وهي كلها شروط أداء الفعل اللغوي أداء موفق وتحوله من حال إلى حال أخرى .

لم يقف سيرل عند هذه الشروط فقط بل أضاف مجموعة الأبعاد التي يختلف فيها كل فعل إنجازي عن آخر وهي كالاتي:

1. الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل: إن الغرض الإنجازي لفعل ما، هو قيام المتكلم بالتأثير على المتلقي للقيام بفعل ما «فالهدف الغرضي هو جزء من القوة الغرضية وليس هو القوة الغرضية ذاتها»¹. وعليه فإن الهدف الغرضي للإستفهام في الجملة "هل تساعدني في ترتيب المكتب؟" هو طلب المساعدة .

¹. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، صلاح اسماعيل، لبنان ، دار التنوير ، ط 1، 1993 ص 225.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

2. الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم: «حيث أن الغرض الإنجازي لفعل ما يوجد دائماً نسبة بين المحتوى القضوي لذلك الفعل،...والعالم الحقيقي الذي تعيش فيه البشرية»¹؛ أي يجب أن تطابق الكلمات المتلفظ بها الأشياء الموجودة في الواقع كقولنا: "البرد الشديد" يجب أن يكون مماثلاً للعالم الخارجي.
3. الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم : فالمتكلم هو الذي يعبر عن مقصده والذي يسأل ويطلب ، فهو بصدد التعبير عن رغبته في إنجاز المتلقي للفعل والذي يعتذر فهو يعبر عن الندم، «وبصفة عامة يعبر المتكلم بأداء أي فعل إنجازي بمحتوى قضوي عن موقف معين أوحالة»².
4. الاختلاف في القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي : «ومن المؤشرات المميزة للأفعال عن بعضها الشدة أو القوة، فهناك أفعال إنجازية يمكن أن تشترك في تحقيق غرض إنجازي واحد لكن بدرجات متفاوتة من الشدة أو القوة»³. ومثل ذلك الجملتين:

أ. أقترح تغيير تاريخ الحفلة.

ب. أصر على تغيير تاريخ الحفلة.

¹. في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، على محمود حجي الصراف، ص 57.

². التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، صلاح إسماعيل ، ص 226.

³. في البرجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، . على محمود حجي الصراف، ص 58.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

كلاهما يتفقان على القضية نفسها، وهي تغيير تاريخ الحفلة لكن الجملة (ب) أقوى وأشد من الجملة (أ) .

5. الاختلاف في أن يكون القول دائماً فعلاً كلامياً، وأن يمكن أن يكون فعلاً كلامياً لكننا لسنا في حاجة إلى جعله كذلك: كقولنا: سأ تبرع بمبلغ مالي لبناء مسجد، لكنني قد لا أحتاج إلى قولها ، فيكفي أن أضع المال في صندوق التبرعات، فهي من الأعمال التي يمكن أداؤها عملياً بدون كلام، ومنها أصف، أقدر قيمة، أشخص حالة، أستنتج... الخ¹. كما هناك أفعال إنجازية لا يمكن أداؤها إلا باستعمال الكلام مثل: قولنا : "أدعوك لتناول العشاء في بيتي"

6. الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب، والسياق الذي يقع فيه: وهي أفعال يربط المتكلم بها منطوقات بمنطوقات أخرى أو بالسياق ، ومثال ذلك « تأمل . مثلاً . إنني أجيب، وإنني أستدل . وإنني أستنتج...، تجدها تربط الأقوال التالية بالأقوال السابقة وبقية عناصر السياق الملابس لها»².

¹. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة . دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط1، 2006، ص 77 .

². آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة ، ص 77.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

7. الاختلاف في الأفعال التي يمكن أن تكون أدائية أو لا تكون: إن أغلبية الأفعال

الإنجازية لها أداء في الواقع " فمثلا فعل "وعد" إنشائي بالضرورة ، أما الفعل "هدد"

فلا يمكن أن يكون إنشائيا، بما أنني لم أنجز عمل التهديد بقولي "أهدد"¹.

8. تأثير عناصر السياق: ذلك أن الفعل الإنجازي يتأثر بعناصر السياق المحيطة به

فيختلف باختلافها بما في ذلك الموقف النفسي، المكانة الاجتماعية، الزمان والمكان

وغيرها...².

9. الاختلاف في أسلوب أداء الفعل الإنجازي: تختلف الأفعال الإنجازية في أسلوب

آدائها بحيث لا تؤدي جميع الأفعال بأسلوب واحد ، مثل الاختلاف في الإسرار

والإعلان³. في حين أنها تتفق في الهدف والمضمون القضوي.

10. الاختلاف في المحتوى القضوي الذي يتم تحديده عن طريق القوة الإخبارية

والوسائل الدالة: نحو الاختلاف بين الوصف والتوقع، فالوصف يكون لشيء في

الماضي أو الحاضر، أما التوقع فيكون لشيء في المستقبل. وكذلك المدح والذم فالأول

نستخدمه عندما نستحسن أمراً ما، أما الثاني فنستخدمه عندما نستهن أمراً ما.

11. الاختلاف بين الأفعال التي تقتضي أعرافاً لغويةً وغير لغوية : تقتضي بعض

الأفعال الإنجازية أعرافاً غير لغوية كما يقتضي البعض الآخر أعرافاً لغوية يقول

¹. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فبليب بلانشيه، تر: صابر حباشة، سوريا، دار الحوار ، سوريا، ط 1
2007، ص 65.

². ينظر: في البرغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، على محمود حيي الصراف ، ص 59.

³. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 77.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

أحمد محمود نحلة : «كالزواج وإعلان الحرب، لا يجوز الزواج إلا في إطار عرف لغوي وكذلك إعلان الحرب لا يجوز أن يقوم به شخص إلا في إطار عرف غير لغوي، وكذلك أفعال مثل الوعد أو الإخبار فمثلها لا يحتاج إلا إلى العرف اللغوي»¹.

12. الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمام المتكلم والمستمع: فالمتكلم والمستمع يختلفان أثناء العملية التواصلية مثلما هو الحال في اختلاف المتضادات في العالم الخارجي كالتهنئة والتمني، والمدح والذم إذ يعتبر نمط من الشرط التمهيدي².

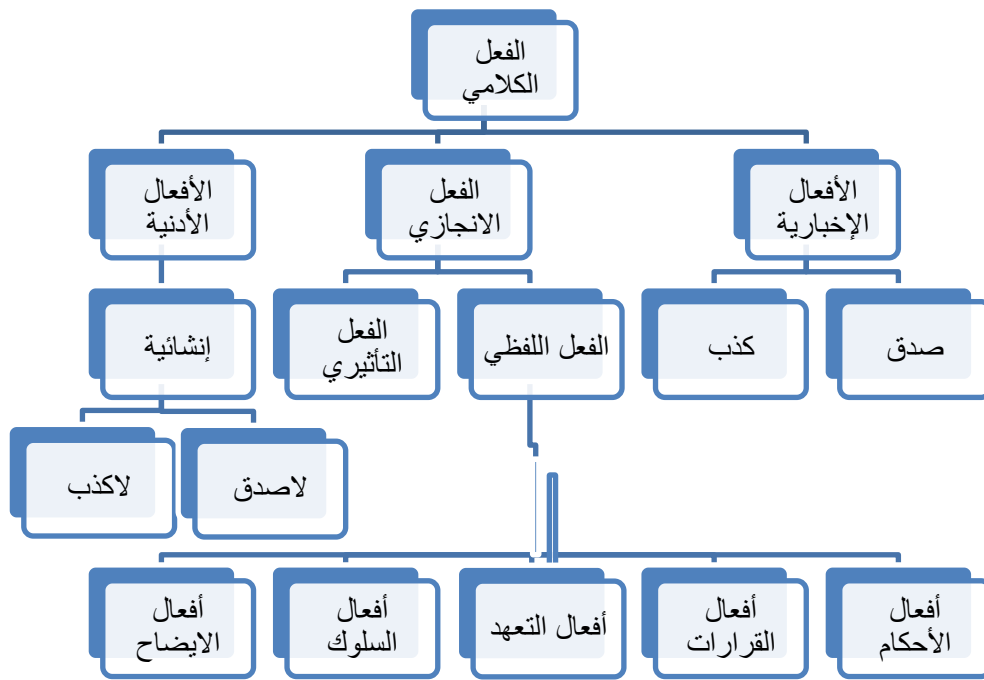
كما أضاف "جون سيرل John Searle" لنظرية الأفعال الكلامية مبدأً قوياً هو مبدأ "التعبيرية" الذي حده بقوله: «عندما يريد المتكلم التعبير عن دلالة ما، فهناك تعبير مناسب أو صيغة صحيحة حاملة لهذه الدلالة»³. ويتجلى ذلك في المقاصد والمواضيع المتعارف عليها، وسنوضح تصنيف "جون سيرل John Searle" للأفعال الكلامية في الخطاطة الآتية:

¹. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 77.

². المرجع نفسه، ص. 76.

³. تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، ص 71.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)



وهذا استطاع "جون سيرل John Searle" تطوير نظرية أستاذه "جون أوستين

John Austin" للأفعال الكلامية على أساس القوة الإنجازية بتركيزه على مبدأ التعبيرية

«وتجدر الإشارة إلى أن نظرية أفعال الكلام الحديثة تمتح كلها من أعمال الفيلسوف

"سيرل"¹.

كما توالى الدراسات المتعلقة بالفعل الكلامي من بعده، حيث تناول العديد من

اللسانيين الفكرة نفسها وعرضوا قضايا كثيرة منها على وجه الخصوص الفعل

الإنجازي مفهومه وشروط قيامه ومن أولئك نجد:

¹. تداوليات الخطاب السياسي. نور الدين اجعيط، ص 73.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

1. أوزفالد ديكرت: الذي تطرق إلى شروط الإنجازية ويقول في هذا المجال : «تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك ويكون فعلا ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية »¹. كما حدد أفعال الرأي في كتابه (القول واللاقول) وهو نوع من أنواع الأفعال وهي: «ما يتعلق بالمتكلم، ويعلم به السامع مثل: فكر ، علم، تيقن، أعتق، تخيل ، شك، جهل، تعلم...»². وهي نفسها أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية شريطة أن تستند إلى ضمائر المتكلم في المضارع ، وأن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه .

2. دي لثو وريكاناتي: واللذان يريا ن أن تصنيف "سيرل" و "أوستين" للأصناف الكلامية تصنيف غير مقنع. ذلك أن "الإلتزاميات" لا تكون نمطا عالمياً لأفعال اللغة بل تعتبر ردود أفعال اتجاة أوامر، ولا يوجد داخل الأنماط الخمسة لسيرل مكان للتنبيهات، والعروض والقضايا وكذلك الأمر بالنسبة للنداءات والاستدعاءات³.
واقترحا في هذا المجال أربعة أقسام هي :

1. أفعال إنجازية

2. أفعال إدراكية

3. أفعال قوة الإنجاز

¹. في اللسانيات التداولية ، خلفية بوجادي، ص 101 .

² Oswald Ducrot : dire et ne pas dire (principes de sémantique linguistique) collection savoir : sciences hermann .3éme édi. Paris. France. octobre 1991. P 266 .

³. ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، تر: سعيد علوش. المغرب، مركز الإنماء القومي، 1986، ص 69 .

4. أفعال قوة الإدراك

3. الأفعال الكلامية عند العرب:

أسهم العرب في تطوير نظرية أفعال الكلام بأعمال تميّزت بالخضوع للدقة والصرامة من أهمها عمل اللغوي "أحمد القهول" في كتابه — La théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe حيث أشـار في مجال نظرية الأفعال الكلامية إلى اتفاق العرب على تمييز الإنشاء عن الخبر مع الإشارة إلى تمايزهما في بعض الأحيان، وتقسيم الكلام إلى أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة وهي فكرة مشتركة بين البلاغيين وعلماء الأصول والنجاة والفلسفة¹.

كما يرى "مسعود صحراوي" أن ظاهرة الأفعال الكلامية «تندرج ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ "الخبر والإنشاء" وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين»²

كما استخدم "مسعود صحراوي" مصطلح "الخبر والإنشاء" بدلا من مصطلح "الأفعال الكلامية" وغايته في ذلك هي «إثبات وجود ظاهرة الأفعال

¹. ينظر: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، مسعود صحراوي، جامعة باتنة، 2004، ص 17.

². التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 49.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

الكلامية في التراث العربي من خلال ظاهرة "الخبر وإنشاء"، والتعرف على تقسيمات العلماء العرب لتلك الظاهرة ومحاولة تأصيلها كظاهرة خطابية عامة¹. إن المتتبع لفهم الأفعال الكلامية عند العرب يجدها تدرج ضمن علم المعاني، الذي عرّفه "السكاكي" (626هـ) بقوله: «هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»² ، كما عرفه "الخطيب القزويني" (682هـ) بقوله: «هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود»³.

يتضح من خلال التعريفين أن علم المعاني هو علم يهتم باللفظ من حيث فائدته في المعنى؛ أي مع الغرض الذي يدل عليه في سياق النص، مثله في ذلك مثل نظرية أفعال الكلام.

ينقسم علم المعاني إلى خبر وإنشاء باعتبارهما القاعدة الأساسية فيه أو بالأحرى حجر الأساس لهذا العلم.

¹. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ، ص 50

² . مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص161.

³ . الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص4.

1. الخبر:

1.1. الخبر لغة:

جاء في "لسان العرب" أن: «الخَبَرُ، بالتحريك: وَاحِدُ الْأَخْبَارِ. والخَبَرُ: ما أتاك من نبأ عَمَن تَسْتَخِيرُ. ابن سيده: الخبر النَّبَأُ، والجمع أخبارٌ... وأخاير جمع الجمع... وخَبَرَهُ بكذا وأخبره: نَبَّأَهُ»¹ ، أما "الزمخشري" فعرفه في معجم "أساس البلاغة" بقوله: «خَبَرْتُ الرَّجُلَ خَبْرًا وَخَبْرَةً وَاسْتَخَبَرْتُهُ عَنْ كَذَا فَأَخْبَرَنِي بِهِ وَخَبَّرَنِي»². وعليه فالخبر في معناه اللغوي هو النَّبَأُ .

2.1. اصطلاحاً:

تعددت تعريفات الخبر في المؤلفات العربية، حيث اختلف الدارسون في ضبط مفهومه وتحديده، لكن معظم التعريفات تتفق على أن الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب ومن ذلك قول "السكاكي": «الخبر هو الكلام المحتمل للصدق أو الكذب»³. و«الخبر: ما يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه، أو كاذب؛ فإن كان مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابق للواقع كان قائله كاذباً»⁴؛ أي أن الخبر إذا كان مطابقاً لواقعه فإنه صادق، أما إذا لم يطابق واقعه فهو كاذب.

¹ . لسان العرب، ابن منظور، تج: عبد الله الكبير وزملاؤه، دار المعارف، القاهرة، ج14، ص1090.

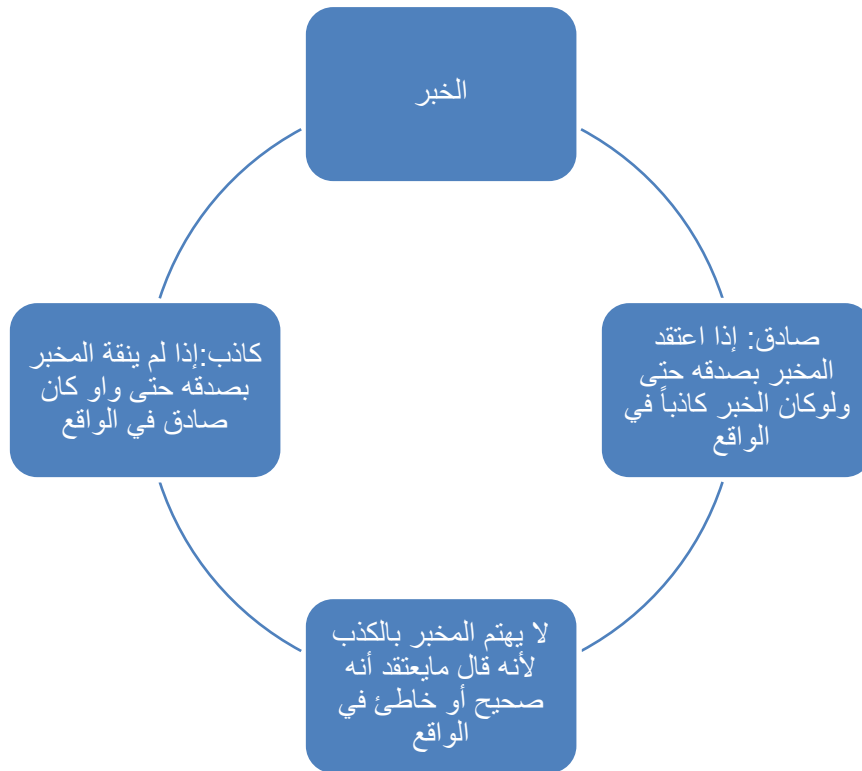
. أساس البلاغة، الزمخشري، تج: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت: ط1، 1998، ص229².

³ . مفتاح العلوم، السكاكي، ص164.

⁴ . علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ، ط1، 2009، ص46.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

أما "النظام" فقال بوجوب الأخذ باعتقاد المتكلم أثناء الحكم على الخبر؛ أي أن الحكم بصدق الخبر يكون بمطابقته للواقع مع اعتقاد المخبر حتى ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ في الواقع، وأن الحكم بكذبه يكون بعدم مطابقته للواقع مع الاعتقاد أنه غير مطابق حتى ولو كان ذلك الاعتقاد صواباً في الواقع، ومثال ذلك قول القائل: البحر ماؤه عذبٌ . معتقداً ذلك . صدق، ويكون قوله: البحر ماؤه مالحٌ . غير معتقداً ذلك . كذب ¹، ويمثل المخطط الآتي تلخيصاً لما جاء به هذا الاتجاه ²:



¹. ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص43.

². الأفعال الكلامية في سورة الكهف. دراسة تداولية. رسالة ماجستير، إعداد: أمانة لعور، إشراف: زهيرة قروي، 2010. 2011، ص64.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

ثم جاء "الجاحظ" بعد أستاذه "النظام" ولم يحصر الخبر في الصدق والكذب، وهو يزعم أن الخبر ثلاثة أقسام: صادق وكاذب، وغير صادق ولا كاذب، فالخبر الصادق في رأيه هو المطابق للواقع مع الاعتقاد على أنه مطابق، في حين أن الخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بأنه غير مطابق، إضافة إلى هذا فالخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فقد عدّه أربعة أنواع، وهي:

1. الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

2. الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلاً.

3. الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق.

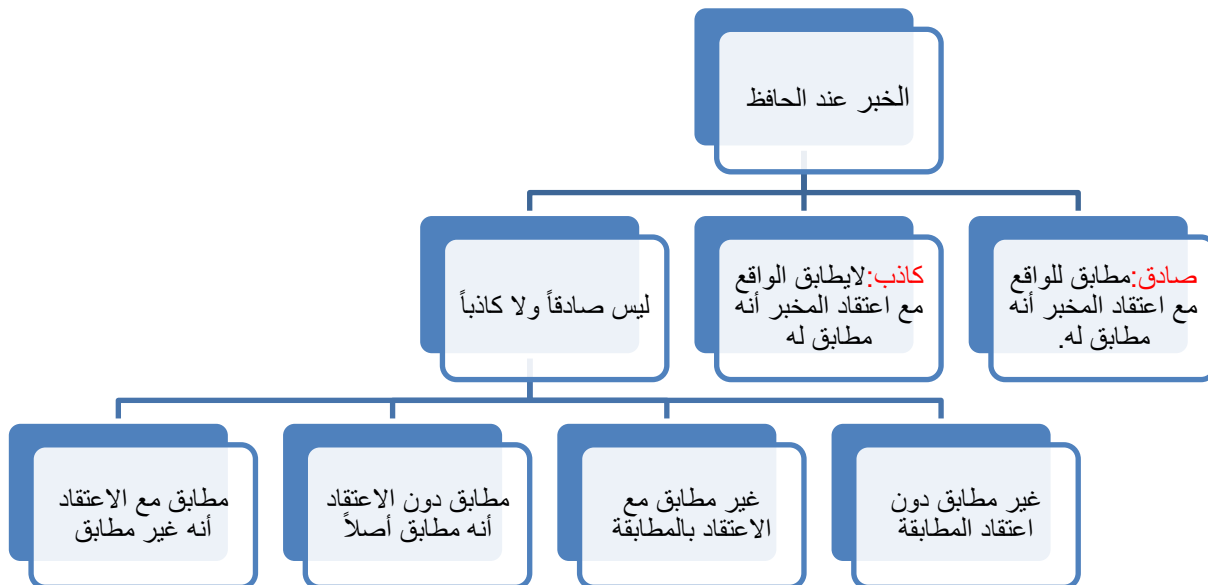
4. الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلاً¹.

ويمكن تلخيص ما جاء في هذا الاتجاه في المخطط الآتي²:

¹. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص43.

². الأفعال الكلامية في سورة الكهف، آمنة لعور، ص65.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)



وعليه فرأي "الجاحظ" يتميز بتحليل عميق ذو طابع تداولي وذلك باعتماده

في الحكم على صدق الخبر أو كذبه على مطابقة الخبر للواقع وقصد المخبر وهو

المتكلم واعتقاد هذا الأخير لهذه المطابقة، وهو بهذا يدخل في نفسية المتكلم، وهذا

ما يركز عليه التداوليون أثناء تحليلهم للغة.

3.1 أقسام الخبر:

ينقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وهي:

3.1. أ. الخبر الابتدائي:

يقول "السكاكي" في هذا النوع من الخبر: «فإذا اندفع في الكلام مخبراً لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند والمسند إليه في خبره ذاك، إفادته المخاطب، متعاطياً مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقي إليه، ليحضر طرفاً عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتاً أو انتقاءً، كفى في ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خالياً»¹.

وعليه فالخبر الابتدائي يقصد به ذلك الخبر الذي يوجه إلى السامع دون دراية منه عن شيء من هذا الخبر، فالسامع يكون خالي الذهن تماماً، وهو بذلك لا يحتاج إلى تأكيد، ومثال ذلك قول المتكلم: "محمد تلميذ مجتهد"، فإن المتلقي خالي الذهن تماماً وهو لا يعلم أن محمداً تلميذ مجتهد والمخبر هنا هو الذي يخبره بالاجتهاد.

¹. مفتاح العلوم، السكاكي، ص170.

3.1. ب. الخبر الطلبي:

وقد أشار "السكّاني" إلى هذا النوع بقوله: «وإذا ألقاها إلى طالبها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين، لينتقده عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال "اللام" في الجملة أو "إنَّ"»¹.

و"إنَّ"، كقوله تعالى: **ج** **ب** **ر** **د** **ث** **ج**².

3.1. ج. الخبر الإنکاری:

ويقول "السكاكي" في شأنه: «وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيداً بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده»³. وذهب "الخطيب القزويني" نفس المذهب في قوله: «وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار»⁴.

يتضح مما سبق أن الخبر الإنكاري هو ذلك الخبر الذي يتطلب مقامه تأكيد الكلام نتيجة إنكار المستمع له وعدم الاعتراف به، ويكون التأكيد بأكثر من جملة،

¹. مفتاح العلوم، السكاکی، ص 170.

². سورة المائدة، الآية 13.

³. مفتاح العلوم، السكاكي، ص 171.

⁴. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص28.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

وحسب درجة إنكار المستمع له. ومثال ذلك قوله تعالى: **چ ا ب ب ب ب ب ب**
پ پ پ پ پ پ پ پ ن ن ن ن چ¹.

1. 4. أغراض الخبر:

1. 4. أ الغرض الأول: يسميه البلاغيون "فائدة الخبر" ويتمثل في «جميع الأخبار

التي يبغى المتكلم من وراءها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء يجهلها»². كأن
تقول المعلمة لتلاميذها "غدا ستذهبون في رحلة" وهم لا يعلمون بذلك.

1. 4. ب الغرض الثاني: سماه البلاغيون "لازم الفائدة" وهو «ما يقصد المتكلم من

ورائه أن يفيد مخاطبه أنه، أي المتكلم، عالم بحكم الخبر، أي مضمونه»³. كأن
تقول لأحدهم "العطلة غدا" ويقول: أجل، فهو على علم بذلك.

وفي هذا الشأن قال "أحمد محمود نحلة": «إنّ الخبر إذا أُلقي إلى من يجهله سمي
فائدة الخبر، وإذا أُلقي إلى من لا يجهله سمي لازم الفائدة»⁴.

1. 5. أغراض بلاغية أخرى للخبر:

لا يقتصر الخبر على الغرضين الذين ذكرنا، بل قد يخرج عن فائدته الحقيقية إلى

فوائد بلاغية منها¹:

¹. سورة البقرة، الآية 69.

². علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص50.

³. المرجع نفسه، ص51.

⁴. البلاغة العربية علم المعاني، أحمد محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص43.

1. الفخر والإعجاب.

2. المدح.

3. التحسر والحزن وإظهار اللوعة.

4. التوبيخ والتأنيب.

5. الوعظ والإرشاد.

2. الإنشاء

1. 2 الإنشاء لغة:

جاء في "أساس البلاغة" أن : «نَشَأَ: أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ فَنَشَتْوَا، وَيُنْشِئُهُمُ النَّشْأَةُ الْآخَرَى... وَإِنَّهُ لَيُنْشِئُ الْإِبِلَ فَلَانٌ يَعِينَهَا أَوْ يَعْرِضُ لَهَا، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَمَوْلَدِي وَمَنْشَيْ فِيهِمْ»².

كما ورد في "لسان العرب" لابن منظور (711هـ) أن : «نَشَأَ، أَنْشَأَهُ اللَّهُ: خَلَقَهُ. وَنَشَأَ يَنْشَأُ نَشْئًا وَنُشُوءًا وَنَشَاءً وَنَشَاءَةً: حَيًّا، وَأَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، أَيَّ ابْتَدَأَ خَلْقَهُمْ... وَنَشَأْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ نَشْئًا وَنُشُوءًا: شَبَبْتُ فِيهِمْ...»³.

. الكافي في البلاغة، والبديع والمعاني، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت،
¹ص330.329.

. أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998،
²ص286.

³. لسان العرب، ابن منظور، ج49، ص4420.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

وعليه فالإنشاء من الناحية اللغوية هو البدء والشرع والخلق.

2.2 اصطلاحاً:

الإنشاء في الاصطلاح يعني : «الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمُدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه»¹، فالإنشاء بعيد عن معياري الصدق والكذب. ذلك أنه يبحث عن المعاني الخارجية التي تطابق لفظه، لذا عرّفه "الأزهر الزّناد" في قوله: «يجري مصطلح الإنشاء على نوع من الكلام ينشئه صاحبه ابتداء دون أن تكون له حقيقة خارجية يطابقها أو يخالفها فلا يحتمل لذلك الصدق ولا الكذب»².

3.2. أقسام الإنشاء:

ميز الدارسون في الإنشاء بين نوعين:

¹. في البلاغة العربية. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص69.

². دوي في البلاغة العربية، الأزهر الزّناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992، ص15.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

2. 3. أ. الإنشاء الطلبي: وهو «ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب»¹، مثل

الأمر، والنهي، والاستفهام، والدعاء، والعرض، والتحريض، والتمني، والرجاء

والنداء.

2. 3. ب. الإنشاء غير الطلبي: هو «مالا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب»²،

ويشمل: التعجب، والمدح، والذم، والقسم.

3. التمييز بين الخبر والإنشاء:

تعددت - إن لم نقل اختلفت - وجهات النظر في التمييز بين الخبر والإنشاء من

قبل العلماء العرب سواء القدامى أم المحدثين، فأورد في هذا المجال "مسعود

صحراوي" معايير اعتُمدت في ذلك تمثلت باعتبارها معايير تداولية حيث كان

الاهتمام بها من قبل العلماء متفاوتاً، فمنهم من كان اهتمامه بها خاصاً ومنهم من

جعلها قرينة مساعدة³ وهي كالاتي⁴:

1. قبول الصدق الكذب: فالخبر هو ما يقبل الصدق والكذب والإنشاء خلافه، وهو

معيّار أجمع عليه معظم العلماء العرب من بين هؤلاء "السكاكي" (ت 626هـ) في مسألة

تعريف كل من الخبر والإنشاء يقول: «واللازم الذي يعرفان به هو قبول أو عدم قبول

¹ في البلاغة العربية. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص 70.

² في البراجماتية. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، الصراف، ص 102.

³ التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 58

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها 58.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

الصدق والكذب»¹، وذهب إلى ذلك "القزويني" في مباحث الألفاظ في حديثه عن أقسام اللفظ المركب إذ يقول: «وأما المركب: فهو إما "تام" وهو الذي {يصح السكوت عليه} أو "غير تام":. والتام إن احتمل الصدق والكذب فهو "الخبر" و"القضية" وإن لم يحتمل فهو "الإنشاء"².

2. مطابقة النسبة الخارجية: في هذه المرحلة تم تحليل ظاهرة الخبر والإنشاء تحليلًا أكثر دقة وعلمية من قبل العلماء العرب. فـ "القزويني" في حديثه عن مطابقة الخبر للواقع يقول: «فإن قيل: الخبر إما أن يكون مطابقًا للواقع أولاً، فإن كان مطابقًا للواقع لم يحتمل الكذب، وإن لم يكن مطابقًا لم يحتمل الصدق، فلا خبر داخل في الحد»³. وهذا ما توصل إليه "مسعود صحرأوي" بعد عرضه لنصوص يبدي فيها آراء العلماء العرب القدامى أمثال سعد الدين التفتازاني (ت 793هـ) و "ابن خلدون" (ت 808هـ)، حول ظاهرة الخبر والإنشاء، حيث قال: «ويتحصل من هذه النصوص مفهوم ثان لكل من الخبر والإنشاء يقوم على أساس أن الخبر هو الكلام التام المفيد، أو الخطاب التواصلية الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية وأن الإنشاء ليس له تلك النسبة»⁴.

. مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب، تعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978، ص 164.

165¹

: تحرير القواعد المنطقية قطب الدين محمد بن محمد الرازي في شرحه الرسالة الشمسية، نجم الدين علي

² الكاتب. القزويني في حاشية الشریف الجرجاني منشورات بدار ط 2. 1384هـ/ 118 ص 117.

³: تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، الرازي ص 118.

⁴. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحرأوي، ص 63.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

يتضح مما سبق ذكره أن الإنشاء له نسبة كلامية، أما الخبر فله نسبة كلامية

تحدث نسبة أخرى وهي النسبة الخارجية فهو يختلف عن الإنشاء كونه له نسبتان .

وقد أضاف الدسوقي (ت 696هـ) مفهوم "القصد" في مسألة التمييز بين الخبر

والإنشاء وهو بهذا اتجه اتجاهها تداوليا في التحليل¹. وعليه فالدسوقي يرى أن التحليل

المنطقي لمسألة التمييز بين الخبر والإنشاء غير كاف فتجاوز ذلك بإضافة التحليل

التداولي الذي يراعي بالأساس ما يقصده المتكلم من خلال كلامه .

3. إيجاد النسبة الخارج ية: وينص هذا المعيار على أن التمييز بين الخبر و الإنشاء

يتوقف على إيجاد النسبة الخارجية «فإن كان القصد منه الدلالة على تلك النسبة

حصلت في الواقع قبل القصد أو بعده... فذلك الكلام خبر وإن كان القصد منه

الدلالة على أن اللفظ وجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء»².

4. قصد المتكلم بوصفه قرينة تمييزية أساسية : يقوم هذا المعيار على عد قصد

المتكلم وغرضه من الخطاب قرينة أساسية في التمييز بين الخبر والإنشاء وقد أورد

"مسعود صحراوي" رأي "إبراهيم الشيرازي" (ت 476هـ) في تعريفه للكلام بأنه «يصير

خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به»³؛ أي أنه إذا كان غرض المتكلم هو

¹. ينظر: المرجع نفسه ص 68.

²: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ابن يعقوب المغربي ج 1. ص 168 .

³. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص 78.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

"الإخبار" مع موافقة اللفظ إياه فهو "خبر" وإذا كان غرضه غير الإخبار فالكلام
"إنشاء"¹.

ومن ثمة فهناك من الدارسين العرب من اتخذ مفهوم القصد قرينة أساسية
ومعيارا تمييزيا يحكم على خبرية الجملة أو إنشائيتها .

5. عدد النّسب: ويقوم هذا المعيار على اعتبار أن التمييز بين الخبر والإنشاء قائم على
عدد النّسب في الجملة الواحدة، فعدد النّسب في الخبر يختلف عن عدده في الإنشاء،
فالخبر له نسبة كلامية، ونسبة ذهنية ونسبة خارجية ، وللإنشاء نسبة كلامية ونسبة
ذهنية².

6. تبعية النسبة الخارجية للنسبة الكلامية أو العكس: ويقوم هذا المعيار على أساس
أن الجمل الإنشائية تتبعها مدلولاتها والجمل الخبرية تتبع مدلولاتها. وأورد "مسعود
الصحراوي" مثلاً أورده "القرافي" (ت 684هـ) وهو واضح هذا المعيار إذ يقول: «أما
تبعية مدلولات الإنشاء للإنشاء فلأن الطلاق والملك، مثلاً، إنما يقعان بعد صدور
صيغة الطلاق والبيع ، وأما أن الخبر تابع لمخبره ... فقولنا : " قام زيد" تبع لقيامه في
الزمن الماضي وقولنا: "هو قائم" تبع لقيامه في الحال وقولنا: "سيقوم" تبع لتقرير
قيامه في المستقبل»³.

¹. ينظر: المرجع نفسه الصفحة نفسها.

². ينظر: المرجع نفسه . الصفحة نفسها.

³. التداولية عند العلماء العرب ، مسعود الصحراوي. ص 80.

مدخل : نظرية الأفعال الكلامية: (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم)

فمن خلال هذه المعايير المذكورة التي أوردها الدارسون العرب قدامى ومحدثون والتي حملت في ثناياها آراءً وتصورات اختلفت وتعددت إيجابياً. فبالأخذ من كل هذه الآراء حول ما يميز الخبر عن الإنشاء أو العكس نخرج بتصور مفاده أن الخبر «هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، وأن الإنشاء هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تُوجَدَ نسبته الخارجية»¹.

ومن ثمة يتضح أن العلماء العرب قد اهتموا اهتماماً بالغاً بظاهرة "الأفعال الكلامية" وقد توسعوا في البحث فيها وتحليل مفاهيمها وتطوير أسسها ومبادئها وتقسيماتها المختلفة. كما نذكر بعض الفلاسفة و الفاطقة أمثال : أبو نصر الفارابي (ت338هـ) وعلي ابن سينا (ت 428هـ) الذين تناولوا هذه الظاهرة الدرس والتمحيص . كما تناولها بعض النحاة والبلاغيين كسيبويه (180 هـ) و عبد القادر الجرجاني (ت 471هـ) وغيرهم وأبويعقوب السكاكي الذي سبق ذكره، كلهم اهتموا بدراسة الخبر والإنشاء وحاولوا التمييز بينهما مع تقديم شروح وافية وكافية.

¹. المرجع نفسه، ص 82.

الفصل الأول

الأفعال الكلامية المباشرة في

عيون البصائر

توطئة:

عرفت نظرية الأفعال الكلامية تحولات كبرى من حيث التأسيس ؛ إذ مرت
بمرحلتين أساسيتين أثناء تطورها؛ تمثلت المرحلة الأولى في الفعل الكلامي المباشر من
خلال مقالات " جون أوستين John Austin" التي نشرت بعد وفاته بعنوان " كيف
نصنع الأشياء بالكلمات ؟" سنة 1962 إضافة إلى كتاب " سيرل" بعنوان " الأفعال
الكلامية " سنة 1972 ، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر التي
تبلورت في مقال "غرايس Grice " بعنوان " المنطق والتخاطب " سنة 1975 ومقالة
"جون سيرل John Searle " " الأفعال اللغوية غير المباشرة سنة 1975¹. ومن ثمة
تجدربنا الإشارة إلى الوقوف على محطتين جوهريتين في الاهتمام بطبيعة الفعل
الكلامي وحيثياته وهي:

1 . ماهية الفعل الكلامي المباشر:

تتلخص في تلك الأفعال : «التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفيا ما
يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً على المرسل إليه،
ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعل المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج»².

¹ - ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة حافظا إسماعيل علوي ، علم الكتب الحديث اريد 2010، ص 90،

² .John R seal : expressionand meaning Eambridy University press VSA 1999. p3.

وعليه فالفعل الكلامي المباشر هو الفعل الصريح في الدلالة على الغرض الإنجازي من الكلام إخباراً، أو طلباً أو أمراً أو استفهاماً، والذي يتطابق فيه معنى الجملة ومعنى القول، كما أنه الفعل الذي يدل على صيغ الجمل وأساليب تعبير ظاهرة مباشرة خالية من الغموض.

1. 1. تصور أوستين (Austin) للفعل الكلامي المباشر:

قام "جون أوستين John Austin" وهو صاحب النظرية الأول أثناء تمييزه بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر بمقابلته بين التركيبين الأول "الصيغة الإنشائية الصريحة"، والثاني "الصيغة الإنشائية الأصلية أو الابتدائية"¹. مثلاً في قول الأستاذ للطالب :

1 . الصيغة الإنشائية الأصلية أو الابتدائية: "سننظر في بحثك الاجتماع

القادم".

2 . الصيغة الإنشائية الصريحة الإنجاز: "أعدك أن ينظر في بحثك الأسبوع

القادم"².

¹. ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة : عبد القادر القيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008، ص93.

². ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالتركيب الأول يمثل الصيغة الإنشائية الأولية، أما التركيب الثاني فيمثل

الصيغة الإنشائية الصريحة، وبالنظر إلى كل من التركيبين الأول والثاني، يمكننا

القول أن:

1. الأستاذ قد وعد الطالب بالاحتكام إلى ظاهر اللغة، من خلال دلالة حرف "

السين" التي سبقت الفعل " ننظر" ويدل هذا التركيب على أن الأستاذ قد ألزم نفسه

أمام الطالب بالنظر في البحث.

2. بينما في التركيب الثاني فقد صرح بالوعد تصريحاً من خلال إدماج لفظة "أعد" في

الخطاب¹. الذي يدل معجماً على الفعل المراد إنجازه .

فالملاحظ أن المثال الثاني صريح في دلالته على الوعد، أما المثال الأول فله عدّة

احتمالات؛ إذ مازال المرسل يمتلك فرصة التبرير في حالة عدم الوفاء، في حين لا

يمكنه ذلك (التبرير) في الخطاب الثاني؛ ذلك «أن الكلمات الإضافية في المنطوق

الثاني: تقوم بدور عظيم الأهمية، وهو "توضيح" الفعل الذي يتم إنجازه عن طريق

التلفظ بالمنطوق»²؛ أي أنها إذا حذفت كان المنطوق بصورته الموجود عليها في

المنطوق الأول، وبالتالي لا يتحدّد لنا ما إذا كان وعداً، أو تعبيراً عن قصد، ومن هنا

يحدّرنا "أوستين Austin" من النظر إلى أشياء متباينة كما لو كانت شيئاً واحداً؛ إذ لا

¹. ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ليبيا، دار الكتاب الجديدة المتجدة، ط 1،

2003، ص 135.

². في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، على محمود حص الصراف، ص 96.

يجب التمييز بين مهمة توضيح الفعل المؤدى وبين مسألة مختلفة تماماً هي "تعيين" أو "وصف" هذا الفعل"¹.

أما في تمييزه بين الجمل الوصفية (Les énoncés Constatifs) والجمل الإنجازية (Les énoncés performatifs)، فيقول: «أما الفلاسفة فلطالما توهّموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن "يصف" حالة شيء ما، وإما أن "يثبت واقعة عينية" مما يعني أن حكم القضية إما أن يكون صادقاً أو كاذباً»²، فالجمل الإنجازية تختلف عن الجمل الوصفية في عدم خضوعها لمعيار الصدق والكذب من ناحية، وأنها تنجز فعلاً بمجرد التلفظ بها، ويمكن توضيح الفرق بين هذين النوعين من الملفوظات بتأمل الأمثلة الآتية:

(1) أ. إِنِّي أَهْبُ ثَرَوَتِي لِرَوْجَتِي

ب. أُعْلِنُ رَسْمِيًّا عَنِ افْتِتَاحِ الْجَلْسَةِ.

ج. أَعِدُّكُمْ بِأَنْ أَزُورَكُمْ الْأُسْبُوعَ الْقَادِمَ.

فالملاحظ أن الجمل السابقة لاتصف واقعاً خارجياً، كما أنه لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وعلى الرغم من ذلك فهي ليست خالية من المعنى لأنها

¹. ينظر: في البرجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، على محمود حص الصراف، ص 96..

². نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة: عبد القادر القنيني، ص12.

جمل تنجز فعلاً بمجرد الانتهاء من التلفّظ بها حيث يتحقّق فعل الهبة في الجملة (1 . ج) .
(أ) ، وفعل الافتتاح في الجملة (1 . ب) ، وفعل الوعد في الجملة (1 . ج) .

ومن هنا يبدو الفرق واضحاً جلياً بين الجمل الوصفية والجمل الإنجازية

«حيث تصف الأولى حدثاً أو حالة معينة دون فعل؛ أي لا تتجاوز القول إلى الفعل،

في حين تنجز الثانية قولاً وفعلاً في الوقت ذاته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّه

إذا كانت الجمل الوصفية تخضع إلى معيار الصدق والكذب... فإنّ الجمل الإنجازية

تخضع إلى معيار النجاح والفشل¹. ولنجاح الفعل الكلامي هنا لابد من موافقتها

لشروط إنجازها، وإن لم توافق تلك الشروط يكون الفعل الكلامي فاشلاً.

ولضبط معيار نجاح أو فشل الفعل الكلامي وضع "أوستين Austin" جملة من

المعايير يمكن تقسيمها إلى قسمين : المعايير المقامية والمعايير المقالية:

1.1.1. المعايير المقامية :

تتمثل المعايير المقامية . الحالية. في مجموعة من الشروط إذا توفرت ضمنت

للفعل اللغوي نجاحه وصانته من الفشل، وقد لخصها "أوستين" في ثلاث أنماط

أساسية، كل نمط منها يحتوي على شرطين على النحو الآتي:

¹. التداوليات . علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي ، ص 91

أ.1. يجب أن يحصل تواضع واتفاق على نهج مضطرب متعارف عليه، يكون له بعض

الآثار المتوائمة عليها بحيث يتضمن هذا الطريق التلفظ ببعض العبارات من لدن

بعض الناس في بعض الملابس، وعلاوة على ذلك¹.

أ.2. «في كل حالة مفترضة يجب أن يكون الأشخاص المعنيون، والملابس المخصصة

على وفق المناسبة حتى نستطيع أن نتمسك بذلك النهج المحتكم إليه»²، حيث يجب

تطبيق هذا الاتفاق في ظروف ملائمة، وبواسطة أشخاص مناسبين، فلا يمكن على

سبيل المثال أن يهب من لا يملك الثروة أو المال (الجملة 1.أ) ولا يمكن أن يفتح

الجلسة شخص عادي غير مخول له ذلك³.

ب.1. «يجب أن ينقد المشاركون النهج على وجه صحيح مضبوط»⁴؛ أي يجب أن

يقوم جميع المشاركين في عملية التبليغ، بأداء أدوارهم بشكل صحيح وملائم⁵. فلا

يمكن لحارس أو عامل نظافة افتتاح جلسة

ب.2. «كامل وتام معا»⁶؛ أي يجب أن يظل الموقف الذي اتخذه المشاركون ثابتاً إلى

نهاية إنجاز الفعل.

¹- نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ص26.

²- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³- التداوليات. علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، ص 92.

⁴- نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ص26.

⁵- التداوليات. علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، ص 92.

⁶- المرجع نفسه، ص93.

ج . يتطلب تحقق بعض الأفعال الكلامية افتراض وجود " أفكار ونوايا ومشاعر " مسبقة عند منقذ الفعل اللغوي، ليؤدي فعله بصفة مرضية ، ففي الجملة (1. ج) قد لا يكون للمتكلم الذي وعد بالزيارة نيّة الوفاء بالوعد، ومع ذلك فإن فعل الوعد قد تحقق من هذا المتكلم لكن بصورة غير مرضية.

وقد وضّح " جون أوستين John Austin " أن خرق النمطين (أ، ب) بشروطهما يؤدي إلى إخفاق الفعل المراد إنجازه وفشله، أما إذا تم خرق النمط الأخير (ج) فيؤدي إلى إنجاز الفعل لكن بطريقة غير مرضية، وقد أطلق " أوستين " على الأفعال التي خالفت النمطين الأولين مصطلح " الإخفاقات " " misfires " وأطلق على ما خالف النمط الأخير مصطلح " الإساءات " " Abuses " ¹.

2.1.1. المعايير المقالية:

وهي جملة من الخصائص البنيوية الشكلية منها

أ . يجب أن ينتمي فعل الجملة الإنجازية معجمياً إلى فئة الأفعال الإنجازية (وعد، أوعد، حذر، سأل، أمر...) .

ب . يجب أن يكون فاعل هذا الفعل هو نفسه المتكلم.

ج . يجب أن يكون فعل الجملة مبنياً للفاعل.

¹ Quand dire C est Faire ; John Austin.. Introduction traduction, Grilles lane :postface de Francois récanati ;édition du seuil (paris)1970. P50

د . يجب أن يكون زمن الفعل هو زمن المتكلم؛ أي أن يكون الفعل متصرفاً في الحاضر¹:

ويوضح "أوستين" أنه إذا اختلَّ شرط من هذه الشروط تتحوّل الجملة من إنجازية إلى وصفية، ويمكن توضيح ذلك بالأمثلة الآتية :

(2) أ. إِنَّهُ يَهْبُ ثَرَوَتُهُ لِرِزْوَجَتِهِ.

ب. أُعْلِنَ رَسْمِيًّا عَنِ افْتِتَاحِ الْجَلْسَةِ (أُعْلِنَ في صيغة المجهول)

ج. وَعَدْتُكُمْ بِالزِّيَارَةِ.

فالجمل (2 أ. ج) تعتبر جملاً وصفيةً لا إنجازيةً ، بالمقارنة بالجمل (1 أ. ج) لأنها تخرق الشرط الثاني والثالث والرابع (ب، ج، د) على التوالي².

بعد أن وضع " أوستين" هذه المعايير للفصل بين الإنجاز والوصف ، وكان هذا في مرحلة أولى من أطروحته، قام بتمحيص هذه المعايير : المقامية والمقالية في المرحلة الثانية، ففي خضم حديثه عن المعايير المقامية ظهر له أنّ التّقابل الذي وضعه (صدق/ كذب) من جهة، و(نجاح/ فشل) من جهة أخرى غير صحيح، إذ أنّه يمكن أن يحكم على الجمل الوصفية ، بالصدق والكذب ، ويمكن الحكم على الجمل الإنجازية بالنجاح والفشل ؛ أي أن كل الجمل يصدق عليها المعياران . ويمكن التمثيل لذلك بجملة :

¹. Quand dire C est Faire ; John Austin. p49/59.

². ينظر: تداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ اسماعيلي علوي ، ص 92

الجو بارد اليوم (صريحة)

يمكن أن تكون صادقة إذا ارتبطت بجملة أقول أن الجو بارد اليوم (ضمنية) إذا تطابقت مع الواقع، ويمكن أن تكون كاذبة إذا لم تكن كذلك.

فالفرق بين الجملتين (الجو بارد اليوم) و (أقول إن الجو بارد اليوم) يكمن في القوة الإنجازية التي توأكهما، فهي ضمنية في الجملة الأولى وصريحة في الجملة الثانية والفرق بينهما فرق سطحي، وليس فرقاً عميقاً¹. فالجمل الصريحة تحمل في سطحها قرينة التكلم، والخطاب، وقرينة الفعل المنجز بصيغة المضارع في الحاضر (أقول) في حين تفتقر الجمل الضمنية إلى مثل هذه المؤشرات على مستوى سطح اللفظ.

وبعد فحص "أوستين" للمعايير المقامية انتقل إلى تمحيص المعايير المقالية حيث رأى أن المعيار المقالي (المعجمي) الذي يفترض في الجملة الإنجازية أن تكون مشتملة على فعل من النوع الإنجازي، مثل: وعد، أمر، نهى، رهن... غير وارد في الجمل الإنجازية والجمل الوصفية، إذ من الممكن أن نستبدل عبارة: "أعدك" بعبارة: "سأفعل" في المثال التالي:

أ. أَعِدُّكَ بِأَنِّي سَأَصَوِّتُ لِصَالِحِكَ.

ب. سَأَصَوِّتُ لِصَالِحِكَ.

فالجملتان هنا إنجازيتان، إلا أن صيغة "سأفعل" هنا أفادت فعلاً إنجازياً في الجملة (ب) فقد تفيد أفعالاً غير إنجازية في سياقات أخرى.

¹ ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، ص 94.

كما أن المعيار المقالي (التركيبى) الذي يشترط في فعل الجملة الإنجازية أن يكون دالاً على الحاضر، هو معيار غير سليم، لأننا نجد أفعالاً في صيغة الماضي دالة على الحاضر مثل: بَعَثْتُ ، أَقْسَمْتُ ، طَلَّقْتُ ...

وعدّ "أوستين" أنّ شرط الدلالة على المفرد المتكلم غير صائب، نظراً إلى وجود جمل لا تستجيب لهذا المعيار، كأن يقول مدرب كرة القدم لحارس المرمى: (نُحَذِّرُكَ مِنْ مَغَبَّةِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَرْمَى)¹.

فمن خلال ما تقدم به "أوستين" من محاولات للتمييز بين الملفوظات الإنجازية والملفوظات الوصفية توصل إلى أن المعايير لم تكن كافية للتمييز بينهما، ولا تزال الحدود بينهما غير واضحة إذ يظهر ذلك من خلال قوله: «إذن فقد فشلنا أن نعثر على ضابط أو مقياس اختبار معياري نحوي يميّز به العبارات الإنشائية ولكن نعتقد أنّه ربّما يجب أن نلجّ على أن كل عبارة نتمكن معها من جهة المبدأ بحيث توضح في صورة الإنشاء الصريح وأن ترد إليه، وعلى ذلك نستطيع أن نضع قائمة للصيغ الفعلية الإنشائية ثم اكتشفنا بعد ذلك أنه ليس من السهل في غالب الأحوال أن نتأكد من أن العبارة المتلفظ بها حتى وإن كانت صورتها في ظاهرها صريحة لا ندري هل هي متمحضة للإنشاء أم لا»².

¹. التداوليات ، علم استعمال اللغة حافظ اسماعيلي علوي ، 65 ص

². نظرية أفعال الكلام العامة. جون أوستين، تر: عبد القادر القنيني ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء 1991، ص 110 .

كما صَنَّف "جون أوستين John Austin" الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف كبرى، ويتَّضح ذلك في قوله: «وقد كنت ذكرت أنني سأحاول أن أقدم تصنيفاً أولاً عاماً، وأبدي بعض الملاحظات على ما اقترحته من تصنيفات... وعلى ذلك فإني أميز خمسة أصناف أو فئات عامة، وإن كنت مع ذلك غير مسرور ولا راض عن أية واحدة منها، وكل هذه الأصناف تسمح بأن أقسمها تقسيماً أولاً، "يكاد يكون شبيهاً بتقسيم معبودات الشعوب البدائية لأصنامها الفيتيشية إلى طبقات" أقصد طبقة الصدق والكذب وطبقة القيمة والواقع»¹. وقد ربط هذه الأصناف بالقوة الإنجازية للفعل الكلامي وسماها في طرحه: «إن هذه الأصناف من العبارات المتلفظ بها والمصنفة تبعاً لقوة فعل الكلام أسممها بأسماء يكاد يكون وقعها على السمع نابياً وهي:

1. القرارات التشريعية.

2. الممارسات التشريعية.

3. ضروب الإباحة.

4. الأوضاع السلوكية.

¹. نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستين، ت: عبد القادر قنيني، 186.

5. الإثباتات الموصوفة المفسرة «¹. وفي شرحه لهذه الأصناف حاول أن يقدم

فكرة مختصرة عن كل صنف بعد تسميته كالآتي:²

الصنف الأول: الأحكام والقرارات القضائية (أفعال الأحكام Verdictives):

و«يختص بكونه ناتجاً عن إصدار حكم في المحكمة سواء أكان ذلك الحكم من هيئة

قضائية، أم من محكم تختاره الأطراف أم من حَكَم (في الملعب مثلاً). غير أنه ليس من

الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية، فقد يكون الحكم تقديرياً ، أو على صورة

رأي، أو تقييماً. وفي جميع هذه الصور يتعلق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما، واقعياً

كان أم قيمة، ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكدة تمام

التأكيد»³؛ أي هي التي تعبر عن حكم صادر عن حَكَم، نحو: (يتهم، يبرئ، يحلّ...). ثم

ساق "أوستين Austin " أمثلة عن هذه الأفعال واضعاً إياها في ثلاثة أعمدة متجاورة

كالآتي:

1. ينحل من الالتزام 1. حصلت القناعة بالإدانة 1. قرر الوقائع

2. يعتبر مسؤولاً جنائياً 2. تأول 2. فهم

3. يقول رأيه في المسألة 3. حكم بأن 3. عد وأحصى

¹ . نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستين، ت: عبد القادر قنيني ، ص 186.

² . المرجع نفسه ، ص 189، 188، 187، 194، 192.

³ - المرجع نفسه، 187.

4. يعترف	4. قدر	4. أثبت
5. يعين في منصب	5. سجل	5. قاس
6. يقيم	6. جعله يفعل	6. احتفظ
7. يرقى	7. رتب	7. قدر السعر
8. يثبت قيمة	8. أعطى رأيا	8. وصف
9. يخصص	9. شخص	9. حل

ومن نماذج هذا الصنف في "عيون البصائر" في حديث البشير الإبراهيمي عن التعليم العربي والحكومة ، وهي من بين المقالات العشرة التي كتبها في قضية معاملة الحكومة (الفرنسية) للتعليم العربي تحدّى بها المرض الذي ألزمه الفراش أكثر من شهرين، واعتبرها قضية حياة أو موت¹ ، إذ يقول : «فمن العدل أن يكون الترخيص في تشكيل الجمعية ترخيصا لها في التعليم مادامت هي المسؤولة عن المدرسة والمؤسسة لها. ومن الشطط بل من الظلم، بل من التناقض، بل من المحال العادي- أن تطالب بعد ذلك بترخيصات شخصية لكل معلم... واشتراط الرخصة الخاصة في المعلم تعطيل لها عن مباشرة هذا العمل الذي اعترف لها

¹. ينظر: آثار محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص25.

القانون به يوم اعترف بها¹. فمحمد البشير الإبراهيمي في دعوته لحرية التعليم العربي قد وظف الفعل الكلامي المباشر "اعترف" هو حكم يكفله القانون للجمعية في اشتراطها للرخصة المتعلقة بالمعلم لتأدية مهامه، وهو حكم واقعي؛ أي مادام القانون قد رخص لها بالنشاط وبتأدية مهامها التعليمية فهو اعتراف ضمني باستقطاب المعلمين دون اشتراط رخصة وأن اشتراط الرخصة في هذا المقام هو تفويض لعمل الجمعية. فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي المباشر هي لا بد من فك تبعية التعليم العربي للحكومة.

الصنف الثاني: الممارسات التشريعية (أفعال القرارات Exercitives) : يتعلق بممارسة السلطة والقانون، والنفوذ؛ أي ما له علاقة بممارسة الأحكام والقوانين، كالتعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النص والتحذير وغيرها نحو: (يقهر، يتحكم، يأمر، يسامح...). وقد وضع أوستين أمثلة من أفعال هذا الصنف في ثلاثة أعمدة كالآتي:

1. عين	1. حط من رتبته	1. خفض رتبته
2. فصل عن	2. طرد	2. سعى
3. أمر	3. سيطر	3. وجه
4. قضى بالأمر	4. فرض غرامة	4. منح

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر، 2007، ص 239.

5. أجى	5. صوت	5. رشح في منصب
6. اختار	6. طالب بالحق	6. أعطى
7. أورث	7. غفر	7. استقال
8. حذر	8. نصح	8. توسل
9. رجا	9. استعطف	9. تلمس العفو
10. ألح الطلب	10. ضغط	10. فوض
11. أعلى	11. صرح	11. فسخ
12. أنقض	12. ألغى	12. أبطل
13. سن قانونا	13. أرجأ التنفيذ	13. منع التنفيذ
14. كرس	14. طوى المسألة	14. أعاد فتح القضية

ومن نماذج ذلك في "عيون البصائر" قول البشير الإبراهيمي في فصل الدين عن الحكومة، منطلقا في ذلك من عدة أسباب منها: «أتمها نصرانية في الجوهر، لائكية في المظهر وفي كلتا الحالتين لا حقّ لها في الإشراف على الدين الإسلامي، أما اللاتكيون عندنا فههدفهم هو القضاء على الإسلام في الجزائر»¹، إذ يقول: «...ونظرنا نظر

¹ - آثار محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص26.

المستقل الذي يبني أحكامه على الواقع المحسوس فوجدنا هذا الوليد الناقص الذي يسمونه الدستور الجزائري لم يشرّع جديداً، ولم يزرع مفيداً، ولم يزد على أن نقل هذه القضية من ميدان إلى ميدان ومن يد إلى يد، نقلها من فرنسا إلى الجزائر، ومن برلمان يسيطر على الأفراد إلى شبه برلمان يسيطر عليه الفرد¹، فالخطاب طابعه تقريرى يحتوي على عينة من أفعال القرارات من بينها: "يبني" وهنا يتعلق ببناء الأحكام على الواقع المحسوس في صياغة الدستور، و"يشرع" وهو يرتبط بتشريع القوانين وضعها، و"يسيطر" وهنا من منطلق السلطة المتعلقة بالبرلمان أو المتعلقة بشخص يسيطر على برلمان بكامله، وكلها أفعال كلامية ترتبط بسلطة الفوقية والنفوذ، تمثلت قوتها الإنجازية في رفض تدخل الحكومة في الدين، فتضمنت بذلك دعوته فصل الدين عن الحكومة.

ج. الصنف الثالث: ضروب الإباحة (أفعال الالتزام أو التعهد Commissives):
وهنا يرى "جون أوستين John Austin" أن: "النقطة الأساسية في "التعهد" هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معين"، ويتمثل في الوعد والتكفل والضمان والتصريح وإعلان النية والقصد والتعهد. وفي كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئاً ما؛ أي لها علاقة بالمتكلم، إذ تعبّر عن التزامه بفعل شيء، ثم يسوق ثلاثة أعمدة من أمثلة الأفعال المنتمية إلى هذا الصنف، وهي:

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص100.

1. وعد	1. تراضى	1. تعاقد
2. تعهد	2. التزم	2. أعطى كلمته
3. قرر	3. نوى	3. صرح بقصده
4. دل على	4. خطط مشروعاً	4. قصد غاية
5. اقترح	5. استعد	5. توقع الأمر
6. تصور	6. تعاطى	6. أقسم
7. ضمن	7. أخذ على نفسه	7. راهن
8. نذر نذراً	8. وافق	8. رضي
9. كرس	9. ساند	9. تحير
10. اختار (حزبه)	10. انتصر له	10. اعتنق مذهبه
11. ناصر قضية	11. عارض	11. عمل لصالح

وهذا النوع من الأفعال نجده في قول "البشير الإبراهيمي" في خطابه الموجه

للطلبة المهاجرين في سبيل العلم : «وأن الوطن حين يرضى بخلوه من أبنائه أنهم ما

أخلوه إلا ليعمره، وما قطعوه إلا ليصلوه، وما فارقوه شبانا عزلاً إلا ليعودوا إليه

كهولا مسلحين بقوة التفكير تظاهرها قوة العلم، تظاهرها قوة العمل¹، فالوطن التزم بالصبر على أبنائه حتى يعودوا مسلحين بقوة التفكير والعلم والعمل، وقد عبر على ذلك بالفعل "يرضى" التي تفيد التعهد والالتزام بغرض تحقيق مصلحته العليا؛ أي أن الرضى لا يكون إلا بالتعهد أو الالتزام أو الموافقة على شروط مسبقة، فالرغبة في التأثير هو ما جعله يتخير الأفعال وفقا لما يحث نفوس الطلبة على العمل الجاد من أجل تحقيق نهضة علمية حقّة، تجر معها التطور الفكري والاجتماعي وتتجلى قوة هذه الأفعال الإنجازية في عودة هؤلاء الطلبة المهاجرين بعد الصبر عليهم من طرف الوطن والأمة ملأى محملين بشتى ضروب النظريات العلمية الفعّالة والمعارف والخبرات المكتسبة التي تساهم في بناء الوطن وازدهاره.

د – الصنف الرابع: الأوضاع السلوكية (أفعال السلوك Behahitives): وتندرج

تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية كالاعتذارات، والتهاني، والتعازي، والقسم، وأنواع السباب، والقذف والتحدي؛ أي التي تعبر عن ردّ فعل اتجاه الآخرين، ومن الأمثلة التي ذكرها "جون أوستين John Austin" في هذا المقام:

1. تقديم الاعتذار: أعتذر.

2. الشكر: أشكر.

3. التعاطف: نأسف، جامل، عزى، هنا، شجع، تعطف.

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص216.

4. الاستقبال والتوديع: على الرحب والسّعة، رافقتك السلامة.

5. التمني: نتمنى.

6. التحدي: أحتج، أرفض، أتحدى.

ويتبدى ذلك في عيون البصائر حول قضية فصل الدين عن الحكومة في

مقالة كلا الخصمين غضبان عن الآخر في قوله: «الحكومة غضبي علينا إلى حد

التمزق، ما عندنا في ذلك شك، ونحن غضّاب عليها إلى درجة التميز... وأما

غضبنا نحن فهو غضب لدينا أن تمتّهن كرامته، وأن يبقى هو ورجاله آلة مسخرة

لغير أهله، ولم نغضب إلا لحق غضب، وطالبنا الغاضب بالنصفة فيه فلم

يستجب، لم نغضب إلا لهذه المهانة التي لحقت بالإسلام دون الأديان، والأمة

المسلمة دون بقية الأمم»¹. فقد عبر عن شعوره ف أورد فعل الغضب(نغضب ،

غضب) الذي يصف حالة الاستياء والغضب الشديد من هذه السلوكات الاستدمارية

كردة فعل على المهانة التي لحقت بالإسلام والأمة الإسلامية وهو فعل إنجازي مباشر

دال على الثورة على كل ما من شأنه أن يسيء إلى الإسلام ، تمثلت قوته الإنجازية في

أداء فعل سلوكي قوامه الحرقه والرغبة الجادة في فصل الدين عن الحكومة.

وفي مقال له بعنوان " إلى أبنائنا المعلمين الأحرار"، ابتدأه بالتحية الإسلامية

المباركة، كرمز للمحبة والتقدير أولاً، وكفعل سلوكي ثانياً، يهدف من ورائه إلى لفت

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 178.

الانتباه والتأثير في النفوس، فقال: «أرسلنا إليكم تلك التحية الأبوية الخاصة صادرة عن قلب يكن لكم الحب والتقدير والشفقة راجيين أن يكون رجوع التحية منكم واجبا يؤدي على أكمل وجوهه»¹، كلها أفعال إنجاذية مباشرة دالة على الرغبة في التأثير مما جعله يتخير الألفاظ وينسج بينها نسجا خاصا وفقا لما يفتح القلوب للخير ويحث النفوس على العمل الجاد من أجل تحقيق نهضة علمية حقة، تجر معها التطور الفكري والاجتماعي.

وبعد أن يطمئن الناس إلى الخطاب ويتوجهوا بأذهانهم نحوه، يقبل إبراهيمي على الموضوع الذي يريده، ويتوقف هذا على قدرته الكلامية ومحصوله الأدبي اللغوي، فينطلق في التعبير عن قضية التعليم، وواجب المعلمين في الجزائر إزاءها، فيقدر قيمة هذه القضية بقوله: «ها أنتم تبوأتم من مدارسكم ميادين الجهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان؛ وها أنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو موت الشهيد؛ فاحذروا أن تؤتى أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم، فيجلب العار والهزيمة لجميعكم»²،

فجعل هذا الكلام قويا في معانيه، وقويا في صوره وفي مبناه، فعني به عناية شديدة ونمّقه تنميكا ملموسا، فكانت قوة كلامه والمعاني قائمة على الإكثار من

¹. عيون البصائر، محمد البشير إبراهيمي، ص 288.

². المرجع نفسه، ص 288.

ذكر الصفات الكريمة التي ينبغي أن يتحلى بها كل معلم حر، أما قوة المبنى فقائمة على شدة موسيقاها وعلى كثرة تدفقها، فكانت بذلك أفعالا إنجازية مباشرة غرضها بث الحماسة في نفوس المعلمين، وجعلهم متأهبين وفي الاستعداد للقيام بالمهمة الثقافية التحريرية، وهي مهمة صعبة وشاقة من المستحيل أن تتكون أسبابها إلا بتضافر الجهود داخل المدارس الحرة.

هـ - الصنف الخامس: الإثباتات الموصوفة المفسرة (أفعال الإيضاح Expositives): يختص هذا الصنف بالاحتجاج والنقاش والعرض، وتستعمل لتوضيح وجهة نظر، أو عرض قضية أو نفيها، نحو: (أثبت، نفى، لاحظ، اعترض، وضح، أجب، سأل، خمن، شك، عرف، اعتقد، انخرط، جحد، صحح...). ومثال ذلك وهو يسترسل في حديثه عن الاستياء والغضب من فصل الدين عن الحكومة قال: «وقد عرفنا استعباد الإنسان، وتسخير الحيوان، فأما استعباد الأديان فلم نعرف منه ولم يعرف منه الناس إلا هذا المثال الفرد في الجزائر، ومع الإسلام خاصة»¹. وهنا أقوال البشير الإبراهيمي في كل الأحوال هي بمثابة أفعال تهدف إلى جعل المسلمين واعين بالوضع آنذاك، فنجده يعرض وجهة نظره ويوضحها من خلال أفعال توضيحية بثها محاولا بواسطتها إثبات اتجاه استعباد الدين الإسلامي فكانت بذلك عبارة عن قوة متضمنة في القول .

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 179.

3.1.1. أهمية ما قدمه أوستين في مجال نظرية أفعال الكلام:

ذكر بعض الدارسين عدة جوانب تبرز أهمية ما قدمه أوستين في مجال

النظرية العامة لأفعال الكلام، ومن هؤلاء أحمد محمود نحلة الذي قال: «إذا كان

أوستين لم يستطع أن يحقق ما كان يسعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال

الكلامية، إلا أنه وضع بعض المفاهيم المركزية في النظرية، من أهمها:

1. تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي، والنجاح في أداء هذا الفعل.

2. تمييزه بين ما تعنيه الجملة، وما قد يعنيه المتكلم من نطقها.

3. تمييزه بين الصريح من الأفعال الآدائية والأولي منها.

4. تحديده الفعل الإنجازي الذي يعد مفهوما محوريا في نظرية الأفعال

الكلامية»¹.

وعليه يعتبر كل ما وضعه "أوستين Austin في مجال نظرية الأفعال الكلامية

بخاصة والتداولية بعامة بمثابة حجر أساس ، أسس به زملاؤه وتلامذته من بعده

نظرياتهم وطوروها.

كما نبهنا "أوستين Austin إلى تحويل التفكير الفلسفي من الفلسفة إلى نحو

اللغة واستعمالاتها المتعددة في الطبقات المقامية المختلفة، إضافة إلى أنه أدخل في

¹. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1،

2007، ص71، 70.

البحث الدلالي ضرورة الاعتماد على السياق والاتصال، وربط التحليل اللغوي بالاستعمال بعدما كان مرتبطاً ببنية اللغة¹.

2. تصور سيرل (Searle) للفعل الكلامي المباشر :

تبنى "جون سيرل John Searle" أفكار وأطروحات أستاذه "جون أوستين John Austin" وأدخل عليها بعض التعديلات التي ساعدت على تطويرها. ففي تحديده للأفعال الإنجازية ابتداءً بتصور جديد قائم على القوة الإنجازية المتضمنة في القول وهو الفعل الإنجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر، فالفعل المباشر عند "جون سيرل John Searle" هو "الفعل الذي تطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم ؛ أي أن يكون القول مطابقاً للقصد بصورة حرفية تامة، ويتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة ، ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معاً².

إن مفهوم "جون سيرل John Searle" للفعل الإنجازي والفعل التأثري لا يختلف عن مفهومهما عند "جون أوستين John Austin" إلا من جهة واحدة تكمن في الفعل القضوي الذي فصله "جون سيرل John Searle" عن فعل القول في حين عده "جون أوستين John Austin" فرعاً من فروع الفعل القولي فأعاد بذلك تقسيم الفعل الكلامي على أساس التمييز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه، وهي: فعل القول، الفعل القضوي، الفعل الإنجازي، الفعل التأثري.

¹. ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 50.

². ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد متوكل كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، ص 51

1. فعل القول (Acte d'énonciation): يتمثل في التلفظ بعبارة لغوية ما طبقاً

للقواعد الصوتية والتركيبية لتلك اللغة على نحو صحيح (وهو يضم كل من الفعل

الصوتي والتركيبى عند "جون أوستين John Austin").

2. الفعل القضوي (Acte propositionnel): يقابل الفعل الدلالي في النموذج

الأوستيني الذي كان جزءاً من "فعل القول" بالإضافة إلى الفعل الصوتي والتركيبى، إلا

أن "سيرل Searle" جعله مستقلاً عن هذه الأفعال، وينقسم الفعل القضوي حسب

إلى فرعين أساسيين هما: الفعل الإحالي والفعل الحملى.

2. 1. الفعل الإحالي (Acte de référence): يسهم في ربط الصلة بين المتكلمين (المتكلم

والسامع).

2. 2. الفعل الحملى (Acte de prédication): هو الإسناد؛ أي نسند نسبة المحمول أو

الحمل إلى الموضوع المحال عليه كأن نحمل على شخص أحلنا عليه فعل شيء ما؛ أي

أن ننسب إليه فعل ذلك الشيء.

كما ميز "سيرل Searle" بين الحمل كفعل والحمل كنتيجة، ذلك أن

المتكلم هو الذي يسند إلى الموضوع محمولاً ما قد كون فعلاً أو صفة بغض النظر عن

الغرض المنجز الذي قد يكون أمراً أو تمنياً أو إخباراً أو تهديداً.

3. الفعل الإنجازي (Acte illocutionnaire): لا يختلف ما اقترحه "سيرل Searle" في

هذا القسم من الأفعال عما اقترحه أستاذه "جون أوستين John Austin"، فالفعل

الإنجازي دائما هو الفعل الذي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به، فقد يكون أمرا مثلا أو تهديدا أو نصحا أو تمنيا مثل (آمرك، أنصحك، أعدك).¹

يتداخل الفعلان "القضوي" و"الإنجازي" فيما بينهما تداخلا شديدا يجعل كل

فعل من هذين الفعلين مكملا للآخر، والفعل القضوي لا يقع وحده بل يستخدم دائما مع الفعل الإنجازي في إطار كلامي مركب، بحيث لا يمكن التلفظ بفعل قضوي دون أن يكون لنا مقصد معين من نطقه، ويعتبر "سيرل Searle" الفعل الإنجازي بمثابة الوحدة الصغرى (Unité minimale) للاتصال اللغوي ككل.²

الأمر الذي أدى بـ "جون سيرل John Searle" إلى وضع جملة من القواعد تحقق أفعالا إنجازية مختلفة. تتميز بكونها قواعد عرفية غير طبيعية ذلك أنه لا يقول بالقواعد الطبيعية المتمثلة في (المثير والاستجابة)؛ لأنه يسلم بوجود قواعد لغوية وبفعالية القواعد الثقافية / الاجتماعية وهي قواعد ذات طابع تبليغي تواصلية.³ وعلى هذا الأساس ميز "جون سيرل John Searle" بين نوعين من القواعد:⁴

أ. القواعد التأسيسية: (Règles constitutives) وهي القواعد التي تصنع أو بالأحرى تحدد الفعل الإنجازي وتعمل على إنجازه وأي خلل فيها يؤدي إلى فشله.

¹ Vu : Les actes de langage : essai de philosophie de langage : John R (Searle) , hermann (Paris) 1972, p60, 72.

² ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص72.

³ ينظر: الأمر والنهي في اللغة العربية ، نعيمة الزهري : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة

الحسن الثاني مطبعة المعارف الجديدة : الرباط 1997 ص 149

⁴ Expression and meaning ,studies in the théory of speech acte , John ; Searle, cambridge university press, 1981, p 72,73.

ب. القواعد الضابطة: (Règles normatives régulatives) وهي القواعد التي تشكل وتسير السلوكيات الموجودة في الواقع مثل قواعد التهذيب التي تنظم العلاقات بين الأشخاص التي تختل دون إحداث فشل للفعل الإنجازي.

كما اقترح خمسة أصناف جديدة للفعل الكلامي وهي كالآتي:

1. الإثباتيات (Assertives): وتسمى كذلك الإخباريات ونقطة الفعل الكلامي الإثباتي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر؛ أي تكمن غاية هذا النوع من الأفعال في إسناد المسؤولية للمتكلم عن وجود وضع الأشياء والغرض الإنجازي في هذه الأفعال هو أن ينقل المتكلم واقعية ما¹، أي نقل الأخبار بحججها ومبرراتها إلى المتلقي وتحتمل أفعال هذا الصنف الصدق والكذب، ويتضمن هذا النوع من الأفعال بالمقابل في تقسيم "جون أوستين John Austin" أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام.

وقد وظف البشير الإبراهيمي العديد من هذه الأفعال خاصة في المواقف التي تتعلق بثوابت الأمة وهويتها ومقوماتها من بينها ما أشار إليه في مقال معنون باللغة العربية في الجزائر في "عيون البصائر"² إذ يقول: «اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماها وأنصارها... فلما أقام

¹. ينظر: خطاب الحجاج والتداولية. دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص 264.265.

². عيون البصائر: هي مجموعة من المقالات كتبها الشيخ الإبراهيمي في جريدة البصائر لبيان حال جمعية العلماء المسلمين في سلسلتها الثانية من 1947 حتى 1953، وقد جمعت هذه المقالات في 137 مقالة في مجلد واحد سنة 1963 بدار المعارف بالقاهرة ثم نشرت بالجزائر سنة 1971، وفي 1981 في سلسلة آثار محمد البشير الإبراهيمي.

الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجِرائه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه. يزيد لها طيبا وعدوبة أن القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختتم- فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معاً؛ وجاء دور القلم والتدوين فدونت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته، وعرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون، وسعت إليها حكمة يونان، تستجديها البيان وتستعديها على الزمان فأجدت وأعدت¹. فهذا طرح يسعى إلى توضيح أصالة اللغة العربية في الجزائر بخاصة ومكانتها وعراققتها وتجدرها في شمال إفريقيا بعامة، «وبين قوة ترابطها الأبدي مع الإسلام، الذي يمدّها حيويته ويغذيها بروحانيته، وأنها جاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا²»، مما استدعى توظيف جملة من الأفعال الإنجازية الدالة على الإيضاح وإصدار بعض الأحكام ك: "أقام، تريم، تبرح، يتزحزح، بدأت، يتغلغل، تنساغ، تنساب، يزيد، يتلى، تبدأ، تختتم، اتسعت، خالطت، جاوزت، أصبحت، جاء، عرف، تستجدي، تستدعي، أجدت، أعدت" وهي كلها أفعال كلامية

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 221.

². البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، دت، دط، ص 124.

العربية، والمآثر التي خلقتها في بناء الشخصية العربية الإسلامية.

حيث دلّت عليه عبارات تؤكد فعل الوعيد منها (وويح الجميع !، فانتظروا...)، فمعنى

ويح كما يقول الليث: «وَيُحُّ: يقال أَنَّهُ رَحْمَةٌ لِمَنْ تَنَزَّلُ بِهِ بَلِيَّةٌ... الجوهرى: وَيُحُّ كلمة

رحمة، وويلُّ كلمة عذابٍ وقيل: هما بمعنى واحد...سيبويه: والويحُ زجرٌ لمن أُشْرِفَ على

الهِلَكَةِ... ابن سيده: وَيْحُهُ كَوَيْلُهُ وقيل: وَيْحٌ تقبيحٌ»¹، ففي هذا المقام هي فعل إنجازي

غرضه تقبيح العرب واليهود معا، أما الفعل الكلامي انتظروا غرضه الإنجازي الوعيد.

ودائما ضمن الإثباتيات (Assertives) نورد قول البشير الإبراهيمي: «إن

الأقوياء الذين تولّوا أمر التقسيم، وحملوا أولئك الضعفاء بالوعد والوعيد على

التصويت عليه- ما ارتكبوا تلك الجريمة الشنعاء وغمطوا حق العرب، إلا بعد أن

غمزوا مواقع الإحساس من العرب، فرأوهم جادين كالهازلين، ورأوا منهم ناكثين

كالغازلين، ورأوا في أمرائهم من المقاومين على أعنف ما تكون المقاومة، والمساومين

على أخس ما تكون المساومة وفي شعوبهم الجاهلة والذاهلة والمتشددة

والمتساهلة؛ فبنوا مقدمات الحكم على هذا التفاوت في الكيان العربي...فقالوا:

نقسمها، ونريح اليهود، لأن لنا فيهم فائدة معجّلة، ولا نخشى العرب لأنه ليس فيهم

مضرة مؤجّلة»²، فالإبراهيمي ههنا لا يؤمن كل الإيمان بأن اغتصاب فلسطين كان

من طرف الصهاينة وحدهم وإنما تدخلت قوى الشر الاستعمارية وأعداء العرب منذ

أن تراءى الحق والباطل أمام قرار تقسيم فلسطين المشؤوم حيث ضاعت فيه

¹.لسان العرب، ابن منظور، ج55، ص4937.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص501.

فلسطين، ودخلت التاريخ من جديد تحت قضية الحكم الصهيوني، ذاق فيها الشعب الفلسطيني علقم الحرمان والتشرد، واستبيحت محارمه، وقطعت أوصاله بينه وبين تاريخه، وفجرت خيوط النكبة في القلب العربي منابع الحزن والأسى¹، فالأقوال الكلامية المباشرة الواردة دلت على قوتها الانجازية وهي إخبار العرب بترتيبات الأقوياء لانتخابات تقسيم فلسطين والمتمثلة في أن اليهود أثقل من العرب في الميزان من الناحية المادية، وأنه ليس من مصلحتهم إراحة العرب، فالكاتب يمتلك النية في إحداث أثر ما أو فعل متضمن في القول بطريقة مباشرة جدا دون أن يستلزم الاعتماد على استدلالات طويلة، فهو هنا يعتمد على الأفعال الكلامية الأكثر بساطة ووضوح².

2. التوجيهيات (Directives): «هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه³»، وغرض التوجيه جعل المتلقي ينجز عملا معيناً وهذا غرضه الإنجازي، ويدخل في هذا الصنف: النصيح، الإذن، الأمر، الاستفهام.... ويقابل هذا النوع في تقييم "جون أوستين John Austin" أفعال السلوك وأفعال القرارات⁴.

¹. البشير إبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص111.

². ينظر: فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، إشراف وتنسيق عبد العزيز العيادي وبشير ربوح، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص346.

³. العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ص218.

⁴. ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص115.

لقد تنوعت وتعددت هذه الأفعال في مقال وجهه "البشير الإبراهيمي" إلى الطلبة المهاجرين في سبيل العلم حيث قال فيه: «يا أبناءنا إن الحياة قسمان: حياة علمية، وحياة عملية، وإن الثانية منهما تنبئ على الأولى قوة وضعفاً، وإنتاجاً وعقماً، وإنكم لا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله... لا تعتمدوا على حلق الدروس وحدها، واعتمدوا معها على حلق المذاكرة؛ إن المذاكرة لقاح العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس، إنكم إن تفعلوا تفتح لكم أبواب من العلم، وتلج لكم آفاق واسعة من الفهم... لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني، ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد، إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، وتصلون به مجارى التاريخ... لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية... أتركوا المناقشات الحزبية والخلافات السياسية لأهلها...»¹.

ف"البشير الإبراهيمي" من خلال هذه الرسالة يوجّه نداءً إلى طلبة العلم، وخص بالذكر المهاجرين إلى تونس لكثرتهم، فاستعمل لذلك أفعالا كلامية تكمن قوتها الإنجازية في الأمر كقوله: (اعتمدوا، احفظوا، اتركوا، اشغلوا)، وفي النهي كقوله: (لا تعتمدوا، لا تقطعوا) وفي النصح كقوله: (فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس ، لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوي

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 218-217.

مادتكم اللغوية)، والغرض الإنجازي الذي يبتغيه الكاتب هو التوجيه، وهو بمثابة القصد التواصلية واتجاه الملائمة هو دائما من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو الرغبة¹.

ونورد له نداء آخر موجه للمعارضين لجمعية العلماء المسلمين في قوله: «يا إخواننا! إنكم أخرجتمونا بأقوالكم وأحوالكم، فأخرجتمونا من مقام التلطّف في النصيحة إلى مقام الإيذاء في التّنديد، وأردتم أن تثلموا سيفاً من سيوف الحق، فلا تلوموه إذا خشن متنه وآلم جرحه، تجرّعوا هذه النصائح على مرارتها في لهواتكم، فما نحن -بمكاننا في الدّين- أقل من أن ننصح، ولا أنتم -بمكانتكم في أنفسكم- أجل من أن تنصّحوا»². وكلها أفعال كلامية مباشرة تكمن قواها الإنجازية في النداء (يا إخواننا) والأمر (تجرّعوا هذه النصائح) وغيرها، «وهي أفعال كلامية متواضع عليها، وتتداول غالبا بمعانيها الأصلية؛ أي يطابق لفظها معناها مباشرة»³، أراد الكاتب بها كأقوال إنجازية غرض النصح لهؤلاء الساسة المعادين والمضادين لجمعية العلماء المسلمين بالبقاء بعيدا عن أمور ليسوا أهلا لمعارضتها.

¹. ينظر: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، 218.

² - عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص48.

³ - الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص156.

وينه ي"البشير الإبراهيمي" الأمة الجزائرية عن إقامة الزّردة والوعدة¹ خدمة للتوحيد ونهيا عن الشرك بالله عزوجل في قوله: «يا قومنا أجيّبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعي الشيطان، يا قومنا إن أصول هذه المنكرات مفسدات للعقيدة، وإن فروعها مفسدة للعقل والمال، وإنكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك، يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها، لأنها مما أهل به لغير الله، فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان، لا مفتي القرآن»² ، وههنا نجد أن البشير الإبراهيمي يقتبس من القرآن الكريم بعض مفرداته كقوله: يا قومنا أجيّبوا داعي الله وهو فعل كلامي يتضمن قوة إنجازية تكمن في النداء والنهي والتحذير من أعراس الشيطان وولائمه لما يرتكب فيها من فواحش ومحرمات ومعصية لله، حقق بها الكاتب غرضه الإنجازي المراد وهو إدراك تحريم هذه الأفعال السلوكية المحرمة شرعا، والمنبوذة خلقا، وهو ما عبر عنه الكاتب في قوله: (يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها، لأنها مما أهل به لغير الله).

¹- الزردة والوعدة أو الطعام أو الزردة هو مهرجان كرنفالي يقام في عديد ولايات الوطن كل وعدة على حدة و لكل منطقة وعدنها الخاصة بها. اغلب الوعدات تقام في فصل الصيف وتشتهر هذه الوعدات أكثر في المناطق الغربية وفي مناطق شمال الصحراء. ترتبط بعض الوعدات بالاولياء الصالحين، حيث تقام كل وعدة على اسم ولي صالح أحيانا أو رجل صالح يرجع أبناء المنطقة اليه.. لربما أشهر وعدة في الجزائر هي وعدة عسلة بمدينة عين الصفراء بولاية النعامة التي يتوافد عليها السياح من مختلف مناطق الوطن و حتى من أوروبا...
². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص352.

ونورد كذلك ضمن التوجيهيات (Directives) أقوال استفهامية أدرجها

"الإبراهيمي" في مقال عنوانه: "الكلمة الأخيرة للأمة":

«أما أن لعشاق سلمى أن يقولوا: صحا القلب عن سلمى؟

أما أن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام؟

أما أن للمنتظرين، أن يقطعوا حبل الانتظار؟

أما أن للمستعصمين بالأمل، أن يريقوا صباة الأمل؟

يا هؤلاء ! إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، وإن

الاستعمار شر، ومحال أن يأتي الشر بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب»¹

، كلها أقوال استفهامية قائمة على التكرار ثلاثم طبيعة القوة الإنجازية الحرفية التي

يبتغيها الكاتب حيث استعمل مؤشر استفهامي متمثل في "أما أن؟" وهي أفعال

مختصة بالاستفهام المباشر وترتبط بالعناصر التي يقع بها السؤال² ، وتوظيفها هدفه

تحقيق الغرض الإنجازي المتمثل في فعل التوعية والتنبية للأمة الجزائرية بقطعها

أمل انتظار تحقق الخير على يد الاستعمار لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص321.

². ينظر: اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، جورج لايكوف، ترجمة: عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق،

2008، ص54.

3. الإلتزاميات (commissives): وكل إلزام هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل

الممثل في المحتوى الخبري. وفيما يلتزم المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل وشرطه

الإخلاص؛ وهو القصد. والظاهر أن التوجيهات والإلتزاميات يشتركان في اتجاه

المطابقة، لأن في التوجيهات يحاول المتكلم التأثير في السامع، ومرجع التوجيهات هو

السامع، بينما الإلتزاميات مرجعيتها المتكلم والمطابقة لجعل الكلمات تطابق العالم

الخارجي¹.

وهنا قال "البشير الإبراهيمي" في مقال عنوانه بـ "حقوق الجيل الناشئ علينا":

«للجيل الآتي علينا حقوق أولية مؤكدة، لا تبرأ ذممنا منها عند الله، ولا تسقط

شهادة التاريخ علينا بها، إلا إذا أديناها لهم كاملة غير مبخوسة، وملاك هذه

الحقوق أن نعدّهم للحياة على غير الطريقة التي أعدّنا بها آباؤنا للحياة...السبيل

القوم الذي يؤدي إلى حفظ الجيل الجديد من هذه الشرور المتوارثة، وإلى توثيق

عرى الأخوة بين أفرادها، وإلى توحيد أفكاره ومشاربه واتجاهاته، وإلى تصحيح فهمه

للحياة، وتسديد نظرتهم إليها وتشديد عزمته في طلبها- هو المدرسة العربية التي

تصقل الفكر والعقل واللسان وتسيطر عليها، وتوجيه الجيل الناشئ إلى الإسلام

والعرب...وبهذه المدرسة نستطيع أن نبرئ ذممنا من حقوق أبنائنا وأن نكفر

سيئات اجتريحتها أجيالنا الماضية... يسوءنا-والله- ويسوء الحق، أن تكون الحقيقة

¹. ينظر: آفات جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مصر، دار المعرفة

في هذه القضية أوضح من الشمس...¹ ، فمن خلال هذه الأفعال الكلامية يتعهد "البشير الإبراهيمي" لأبناء الجيل الناشئ بإعدادهم للحياة بطريقة تختلف عن الطريقة التي أعدّها هو، كما التزم بعدة أفعال يظهر فيها الإخلاص والذي هو شرط من شروط الالتزام ومن هذه الأفعال: تبرأ، أدّينا، نعدّ، حفظ، توثيق، توحيد، تسديد، تشييد، إضافة إلى القسم في قوله : (والله)، وهنا يقطع الشك باليقين في استعماله لحجة القسم وهنا تكمن قوته الإنجازية لأن الخطاب الحجاجي متكون في أصله من أفعال كلامية التي تعد وسيلة مناسبة للتعامل مع التواصل اللفظي الذي يتوخى حل اختلافات وجهات النظر، وهو ما يجعلها متكيفة مع طبيعة الخطاب الحجاجي.²

وعند غضبه من محاولات بعض المفسدين من طلبة المعهد الباديسيّ عن طلب العلم، قال : «ويمينا بالذي طهر المعهد، وأنزل في كتابه ألم أعهد، لنقطعن من هذه الفتنة دابرها ولنقعن من هذه الفتنة مقيمها وعابرها»³ ، وههنا وظف الكاتب أفعالا قولية كالقسم (ويمينا بالذي طهر المعهد، وأنزل في كتابه ألم أعهد)، كما استعمل أدوات التوكيد منها (نون التوكيد) المباشرة و(لام الابتداء) لتحقيق

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص201.202.204.

². ينظر: الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: مقارنة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، السعودية، نادي أهما العربي، ط1، 2013، ص282.

³ - عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص232.

الفعل الالتزامي، والقوة الإنجازية تكمن في تواعد البشير الإبراهيمي لأولئك المفسدين بما ستفعله الجمعية بهم مستقبلاً.

4. التعبيرات (Expressives): وهدفها هو «التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي»¹، وتقابل هذه الأفعال أفعال الممارسة عند "جون أوستين John Austin" مع شرط صدقها، ويشترط في الأفعال التعبيرية الإخلاص، و «يندرج ضمن هذه المجموعة أفعال التهنئة والشكر والاعتذار والتعزية»².

وقد توافرت هذه الأفعال التعبيرية في "عيون البصائر" عند تساؤل البشير الإبراهيمي عن القضية الفلسطينية التي دبّج فيها مقالات طويلة مشحونة بأصدق الكتابات عاطفة وأرقها مشاعرا من بينها ما كتبه بمناسبة عيد الأضحى المبارك إذ يقول: «النفوس حزينة، واليوم يوم الزينة، فماذا نصنع؟ إخواننا مشردون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجردون؟ تتقاضانا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج، وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم، وأن نتهادى البشائر. وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنها ونغتم، ونعنى بقضيتها ونهتم... أيها العرب، لا عيد، حتى تنفذوا في صهيون الوعيد، وتنجزوا لفلسطين المواعيد، ولا نحر، حتى تقذفوا بصهيون في البحر. ولا أضحى، حتى يظلم صهيون في أرض فلسطين ويضحى. أيها العرب: حرام

¹. العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ص 219.

². تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، الأردن، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2012. ص 73.

أن تنعموا وإخوانكم بؤساء، وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئن

بكم المضاجع وإخوانكم يفترون الغبراء¹. فالبشير الإبراهيمي عبر بصدق و

إخلاص وبحزن عميق عما يعانيه الشعب الفلسطيني من ويلات الاستعمار الصهيوني،

ولسان حاله يقول كيف لنا أن نحتفل بعيد الأضحى وإخواننا الفلسطينيين مهانين و

مشردين؟ هل يحلو لنا هذا العيد؟ إنه عيد بنكهة بائسة، وقد وظف أفعالا تعبر عن

صدقه. ومن أفعال التهئة والشكر نجد "نفرح في العيد ونبتهج، نتبادل التهاني،

نتهادى البشائر" أما فعال الحزن والتعزية والاعتذار منها "تتقاضانا فلسطين أن نحزن

لمحنها ونغتم، ونعنى بقضيتها ونهتم، تنفذوا في صهيون الوعيد، وتنجزوا لفلسطين

المواعيد، ولا نحر، حتى تقذفوا بصهيون في البحر. ولا أضحى، حتى يظمأ صهيون في

أرض فلسطين ويضحى"، ولما اشتد حزنه وألمه قال: "إن بين جنبي ألماً يتنزى، وإن في

جواني نارا تتلظى، وإن بين أناملي قلماً سمته أن يجري فجمع، وأن يسمح فما

سمح، وإن في ذهني معاني أنحى عليها الهم فتهافتت، وإن على لسان كلمات حبسها

الغم فتخافتت"²، وقد استعمل لذلك أفعالا دالة على شدة الحزن والأسى للوضع

الذي آلت إليه فلسطين، منها: "ألماً يتنزى، نارا تتلظى، أنحى عليها الهم..."

كما تتبدى أيضا أفعال كلامية صاغها "البشير الإبراهيمي" في مقال "قضية

فصل الدين... خصمان... فمن الحكم..؟" إظهارا لقوة الشعب الجزائري «إن

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 526.

². المرجع نفسه، ص 526.

الاستعمار لا يؤمن بالله حتى نسأله الإنصاف لدينه الحق، ولكنه يؤمن بالقوة، فلنحذره عواقب الاغترار، فإن هذه الأمة في مجموعها قوة... قوة بعددها، بالمعاني التي استيقظت فيها، وبإيمانها بحقها، وبتصميمها على استرجاعه، فإذا تعامى عن هذه القوات كلها فإن تقلبات الدهر ستفتح عينيه منها على ما يكره، وإن الله للظالمين لبالمرصاد»¹. وقد حققت الأفع ال الكلامية المباشرة (يؤمن، فلنحذره، استيقظت، تعامى،)، الغرض الإنجازي الذي يريده الكاتب وهو الوعيد والتحذير للاستعمار الذي يزداد في سيطرته وطغيانه، ولأجل هذا الازدياد المتجدد وقع التعبير بالمضارع.

كما نجده في موضع آخر يتمي في قوله عن المعلمين المتهاونين : «ولو أنهم – سامحهم الله- قاموا بواجباتهم أو ببعضها، لخففوا عنا الكثير، وهونوا علينا العسير، كما خففنا نحن وهوننا على الجيل الآتي»²، والغرض الإنجازي هو تمني ورجاء الكاتب لو أن المعلمين على زمنه قاموا بواجبهم، باستعماله أداة التمني (لو) وهي أداة تستعمل للشرط، والتي جاء جوابها باللام (لخففوا) فهو يتمي ما هو مستحيل حدوثه لأن التمني وقع بعد فوات الأوان.

وفي سياق آخر نجد أفعالا أخرى تعبيرية تتمثل في الندم وظّفها "الإبراهيمي" في

قوله: «إن التّقصير في الواجب يعدّ جريمة من جميع الناس، ولكنه في حقنا

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص182181.

²- المرجع نفسه، ص289.

يضاعف مرتين، فيعد جريمتين... وإن لما يبوء به المقصرون من الندامة لمرارة

تجتمع في العقبى مع الخسارة، فيكون منها حال من الحسرة يحلومعه بخع

النفوس، وإتلاف المهج، وتلك هي الحالة التي نعيد أنفسنا ونعيدكم بالله من

تسبب أسبابها، وتقريب وسائلها، وقد نهى ديننا الإسلام عن التقصير في

الواجبات...¹ هي أفعال كلامية مباشرة وصف بها الكاتب شعور المعلمين بالندم

والحسرة حيال تقصيرهم في عملهم ويؤدي بهم إلى قتل النفس غيظا وهما، ونلاحظ

استعمالا لمفردات تدعم تحقق هذا الغرض منها (الندامة، المرارة، الحسرة،

الخسارة...).

5. التصريحات (Déclarations): وتسمى كذلك الإعلانات، وهدفها إحداث تغيير في

العالم بتمثيله وكأنه قد تغير². ولا تحتاج هذه الأفعال لشرط الإخلاص، ونجاح هذه

الأفعال في مطابقة المحتوى القضوي للعالم الخارجي؛ «واتجاه المطابقة في هذه

الأفعال قد تكون: من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، وأهم ما يميز هذه

الأفعال أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم وهذا الأخير غايتها³. وتكون هذه الأفعال

¹ عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص289.

² ينظر: اللغة والعقل والمجتمع، الفلسفة من العالم الواقعي جون سيرل، ص217

³ خطاب الحجاج والتداولية. دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشراني ص265

حين التلفظ ذاته، ويتضمن هذا الصنف «أفعال الإعلان عن الحـ رب والتعيين والتعميد (فعل يتعلق بمؤسسة الكنيسة) ...»¹.

ومن نماذج ذلك في خطاب محمد البشير الإبراهيمي في حديثه عن واجبات فلسطين على العرب يقول: «ثم كان المظهر الرابع اجتماعات وزراء الدول العربية باسم جامعتها، وزعماء العرب السياسيين وقادتهم العسكريين، لتنسيق الآراء وترتيب الخطط وتدير المقاومة المشتركة، وقد بلغوا من ذلك ما أقر عيون العرب وهذا خواطرهم، وإن قال قائلون: إنهم تباطؤوا في أمر يجب فيه الاستعجال، وأطالوا الرؤية فيما يلزم فيه الارتجال...أما الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسمة من اللوح، فهو ما قام به عرب فلسطين الأبطال الذين كشفوا عن صواب الرأي القناع، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع ونبذوا التردد، وأخذوا بالمغافصة. ومحو بالسيف ما قال ابن دارة، وفتحوا باب الموت على مصرعيه، وتأسوا فسنوا للكرام التأسيا وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام، وهذا هو الواجب شرعه عرب فلسطين لجميع العرب»²، فإذا ما انطلقنا من فاعلية نجاح الفعل الكلامي وتحقيق التطابق بين المحتوى القضوي والعالم نجد أن جملة الأفعال الكلامية المباشرة (تنسيق، ترتيب، تدبير، أقر، أطالوا، حذفوا، أخذوا، محوا، فتحوا، تأسوا) التي وظفها الكاتب قد حققت قوتها الإنجازية المطلوبة،

¹. تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، ص 73

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 516.515.

لأنها كانت تدعو إلى تحقيق الدفاع عن أرض وشعب فلسطين بحدّ السيف لا بالاجتماعات المتكررة لوزراء الدول العربية وزعمائها السياسيين وقادتها العسكريين. لأن هذه الممارسات السياسية لا تؤدي في جوهرها إلى نتائج ميدانية تحمي القضية الفلسطينية، بل استعمال القوة بنزد التردد والأخذ بالمغافصة والمحو بالسيف وفتح باب الموت هي إنجازيات تمثل ردا صريحا على التباطؤ الممنهج للتماطل في نصرة الشعب الفلسطيني. والغرض الإنجازي هو تأكيد البشير الإبراهيمي على بسالة المقاومة الفلسطينية وتصديها للمحتل الصهيوني بالقوة.

الفصل الثاني

الأفعال الكلامية غير المباشرة

في عيون البصائر

1. ماهية الفعل الكلامي غير المباشر

يقول " جون سيرل John Searle " في حديثه عن الفعل الكلامي الحرفي وآخر غير الحرفي: «أبسط حالات الخطاب هي تلك التي ينطق فيها المتحدث جملة بمعنى ما يقوله بالضبط وبصورة حرفية. في هذه الحالة ، يعتزم المتكلم إحداث تأثير غير مباشر على المستمع ، ويسعى في إنتاج هذا التأثير إلى جعل المستمع يتعرف على نيته أو رغبته بطريقة مباشرة ؛ بالإضافة إلى ذلك ، يسعى أن يعرف المستمع بهذه النية بحكم علمه بالقواعد التي تحكم النطق بالحكم ¹ ، ف " سيرل Searle " هنا يقصد بأبسط حالات الخطاب الأفعال الكلامية المباشرة والحرفية، ثم يقول " لكن الجميع يعلم أن الخطابات ليست كلها بهذه البساطة ، فقد تكون غير مباررة في حالات مثل التلميحات والسخرية والاستعارة ² ، التي لا يمكن إدراك فغل الكلام فيها بطريقة مباشرة من خلال فهم المعنى الحرفي ، لأنه ينزاح إلى معنى آخر هو المقصود، فحسب " سيرل Searle " : « معنى التلفظ يكون لدى المتكلم، أما معنى الجملة، فهو مندرج في إطار النظام اللساني الذي تنتمي إليه الجملة ³ . أي في السياق الذي وردت فيه ، والذي تنتج عنه دلالات متنوعة، ويسمى هذا النوع الأخير الأفعال الكلامية غير

¹. Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle, traduit par Joelle Proust, les édition de m inuit, Paris, 1982, p71.

². Ibid, p 71.

³. فلسفة الفعل، من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، عبد العزيز العيادي والبشير ربوح، ص347.

المباشرة وهي: «الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عرفية وحوارية»¹؛ أي التي تتحقق بواسطة قوة إنجازية مستلزمة، وقيل عنه «إذا ما تم القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول، فالفعل الأول يسمى فعلا كلاميا غير مباشر Indirect speech act»². وهناك من يعد الأفعال الكلامية غير المباشرة «استراتيجية تلميحية يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق»³.

ومن ثمة فالركن الأساس في عملية الفهم الصحيح للأقوال والخطابات التي تشمل أفعالا كلامية غير مباشرة هو السياق الذي جاءت فيه هذه الملفوظات باعتباره الحاوي لكل ملابسات وظروف انتاج الخطاب. ونظرا لأهمية هذا الصنف من الأفعال الكلامية أفاض "جون سيرل John Searl" في الحديث عنه والسعي إلى تطويره ويعتبر هذا بمثابة العمل الضخم الذي أضافه إلى محاولات أستاذه "جون أوستين John Austin".

¹. ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ص35.

². في البرغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، الصراف، ص 124.

³. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، الشهري عبد الهادي ص 370.

1. تصور "جون أوستين John Austin" للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يرى "جون أوستين John Austin" أن أساس إنجاز فعل الكلام هو الجانب الصريح المباشر لذلك خصص مساحة واسعة للحديث عنه في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات How to do Things with Words" وانصرف عن الاهتمام بالجانب الأولي المتمثل في الأفعال غير المباشرة¹. وهذا لا يعني أنه لم يعترف بوجودها بل أدرك «أن هناك أفعالا لا يمكن أن تنجز غرضا من خلال اللفظ فقط بصورة مباشرة؛ لأن طبيعة اللغة قد لا تسمح بذلك، وأن صور الحياة والعرف الاجتماعي اللغوي هما اللذان يتحكمان في صياغة الإنجاز؛ من ثم يتخذ نمطا محددا قد يبعده عن الشكل المباشر»². هذا ما جعله يقسم الأفعال إلى صريحة (Explicit performatives) وأولية (Primary performatives) وهي ذات طابع غير مباشر وهو "يعتقد بأن هذه الأفعال الأولية أسبق في وجودها التاريخي من الأفعال الصريحة»³.

في حين أن هناك من الباحثين من اهتم بهذا الصنف وسار بخط متواز في الجانبين المباشر وغير المباشر.

2. تصنيف "جون سيرل John Searl" للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يبدو تصنيف "جون أوستين John Austin" للأفعال الكلامية إلى صريحة وأولية تصنيفا مفتوحا ومرنا، مما جعل "جون سيرل John Searl": يخطو خطوة مكملة

¹. ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي حجي الصراف، ص 124.

². المرجع نفسه، ص 123.

³. المرجع نفسه الصفحة، نفسها.

محاولا توسيع هذا التصنيف واقتراح تصنيف آخر مشابه أسماه "المباشر وغير المباشر" فهو يرى أن الأفعال المباشرة هي: «التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب»¹. وهو ما سبق لنا التفصيل فيه، أما الأفعال غير المباشرة فهي: «أقوال يرمي من خلالها المتكلم إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات و السخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى»². وهنا يتدرج الخطاب من المعاني الحقيقية إلى المعاني المجازية وتمثل الاستعارة والأقوال المجازية بكل أنواعها فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية ميز "جون سيرل Searle John": بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذان المعنيان لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر، وقد حدد في هذا المقام مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة مسألة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم، كما لو قلت: "زيدٌ أسدٌ" فأنا أريد بذلك القول مدحه ووصفه بالشجاعة.

ومن صور الإنجاز غير المباشر ما يقوله المتكلم، وهو يقصد ما يقول، بالإضافة إلى أنه يقصد شيئا آخر ومن أمثلة ذلك ما أورده "جون سيرل Searle John": في

¹. إستراتيجيات الخطاب، الشهري عبد الهادي، ص 137

². التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلا نشيه، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط1 2007، ص

بمؤشرات مقالية (معجمية)، وتتمثل في معنى الأمر (فأتوا، وادعوا)، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا، تفتقر إلى مثل هذه المؤشرات، وتتمثل في معنى التعجيز....¹

من ثمة أكد " جون سيرل John Searle" على أن الإنجاز غير المباشر يحتوي على قوتين إنجازيتين حرفية مباشرة وأخرى أولية غير مباشرة، وعليه فالفعل الإنجازي غير المباشر بنوعيه «محول عن الفعل الإنجازي المباشر؛ ومن ثم فإن الفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن الفعل الإنجازي المباشر ولا ينعكس»²؛ أي أن الفعل الإنجازي غير المباشر يتحقق من خلال الفعل الإنجازي المباشر والعكس غير صحيح.

فالإشكالية المحورية التي تطرحها الأفعال الكلامية غير المباشرة حسب "سيرل Searle" تكمن في كيفية معرفة أن المتكلم يقول شيئا ما، ولكن في نفس الوقت يقول شيئا آخر مخالف للمعنى الحرفي للجملة، إضافة إلى أن الإشكال الكبير الذي طرحه سيرل Searle يعود إلى المستمع وكيفية فهمه للملفوظ الكلامي وإدراكه أن الملفوظ يريد أن يقول شيئا آخر غير دلالاته الحرفية والمباشرة.

وفي إشارته إلى ملابسات العملية التخاطبية ودورها في فهم الفعل الكلامي غير المباشر، وهي فرضية جديدة جاء بها لتطوير فرضية كان قد جاء بها سنة 1972 لحل مشكل الأفعال الكلامية غير المباشرة، يقول سيرل Searle: " في الأعمال اللغوية غير المباشرة، يُطْلَع المتكلم السامع على أكثر مما يقول عمليا وذلك بالاعتماد على

¹. الأمر والنهي في اللغة العربية، نعيمة الزهري، ص 166

². آفاق جديدة فب البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة، ص 84.

الفصل الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة في عيون البصائر

معلومات الخلفيّة، اللّغويّة وغير اللّغويّة معا، المُشتركة بينهما، وعلى القدرة العامّة للسامع على العقلانيّة وعلى الاستنتاج¹ فهي فرضيّة لا ترى ضرورة في «المسلّمات الحواريّة» ولا في «القوى الأمريّة المستترة» ولا في أيّ عناصر أخرى 'ملتبسة'. ويبيّن أنّ لـ«لمواضعة» شأنٌ كبيرٌ، في بعض الحالات. وهي فرضيات عولجت من طرف "بول غرايس Paul Grice" من خلال أهم مبدأين، هما:

1. الخلفية المعرفية المشتركة (المتكلم . المتلقي).

2. القدرة على الاستدلال لدى المتلقي².

ولتوضيح ظاهرة الفعل الكلامي غير المباشر قدم "جون سيرل John Searle" المثال

الآتي:

شخصان يتحدثان، نرّمز للأول بـ (س) والثاني بـ (ع).

(س): رافقني إلى السينما هذا المساء.

(ع): عليّ أن أحضّر نفسي لامتحان الغد.

فالجملّة (س) تمثل فعلا كلاميا مباشرا وهو الدعوة، أما الجملّة (ع) فهي تمثل

فعلين كلاميين: الأول حرفي ثانوي (مباشر) وهو التحضير للامتحان والثاني أولي (غير

مباشر) وهو الرفض.

¹ - Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p73

². Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p73.

ويمكن تأكيد ذلك من خلال اقتراح "جون سيرل John Searle" المتمثل في مراحل أساسية لاشتقاق الفعل الأولي الداخل في القول عن طريق الفعل الثانوي وهي كالتالي¹:

مرحلة 1: قدمت عرضاً لـ (ع)، وجواباً عنه قال: إنه سيراجع لامتحانه (إقامة الحوار)

مرحلة 2: أفترض أن (ع) هو متعاون في الحوار، وأن ملاحظته هي ملائمة، أي في محلها (مبادئ التعاون الحوارية)

مرحلة 3: الجواب الملائم قد يكون قبولا، أو رفضاً، أو اقتراحاً مضاداً، أو تنمة للحوار... إلخ (نظرية أفعال الكلام).

مرحلة 4: لكن عبارته الحرفية لا تعبر عن شيء من هذا، ومن ثم لا تشكل جواباً ملائماً (استدلال من المرحلتين 1 و 2).

مرحلة 5: إنه يقصد على الأرجح أكثر مما يقول ه المعنى، فإن كانت ملاحظته ملائمة، لا بد أن يختلف غرضه الأولي عن غرضه الحرفي (الاستدلال من المرحلتين 2 و 4). وهي مرحلة مهمة إذ قال عنها سيرل Searle: «هي مرحلة حاسمة، لأن المستمع لا يملك أية وسيلة لفهم الفعل الكلامي غير المباشر، إذا لم تكن لديه استراتيجية استدلالية

¹. Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p75,76.

تسمح له أن يكتشف في أيّ من الحالات يكون فيها الفعل الأولي المتضمن في القول

منحرفاً أو خارجاً عن الفعل الحرفي المتضمن في القول»¹.

مرحلة 6: أعلم أن المراجعة من أجل الامتحان تتطلب وقتاً طويلاً من السهرة،

وكذلك الذهاب إلى السينما (معلومات واقعية من خلفية المخاطبين).

مرحلة 7: لا يمكن إذن الذهاب إلى السينما والمراجعة للامتحانات في سهرة واحدة

(استدلال من المرحلة 6)

مرحلة 8: أحد الشروط التحضيرية للقبول بعرض ما، أو بأي وعد هو إمكانية القيام

بالفعل المسند في شرط محتوى القضية (نظرية الأفعال الكلامية).

مرحلة 9: أعلم إذن أنه قال شيئاً يستلزم على الأرجح عدم قبوله بالعرض المطروح

(استدلال من المراحل 1 و7 و8).

مرحلة 10: إذن غرضه الأولي المتضمن في القول هو رفض العرض (استدلال من

جميع المراحل).

¹. sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p,76.

يتبين لنا من هذه المراحل أن الإستراتيجية الاستدلالية قائمة على إثبات الغرض

الأولي للفعل الداخل في القول ينحرف عن الغرض الحرفي أولاً، ثم تقوم بتعيين

الغرض الأولي غير المباشر¹؛ أي أن المتكلم عندما ينجز فعلاً هو يقصد تحقيق عمل

أولي متضمن في القول من خلال عمل ثانوي و المتلقي على علم بذلك .

وقد علق " سيرل " Searle على هذا التحليل الاستدلالي بقوله: «إننا نجد هذه

المراحل العشر، على الرغم من أنها دقيقة إلى حد معين، إلا أنها غير مكتملة، لذا

يجب علينا عدم اعتبارها منوالاً نهائياً مكتملاً لعملية التأويل الاستدلالي لدى المتلقي،

لأنني لم أستحضر ولم أضع في الحسبان فرضية الصدق، ولا ظروف التحقق

الواقعية للتحليلات، كذلك، إننا نلاحظ أن الخاتمة أو النتيجة هي نتيجة ترجيحية إلى

حد معين، لأنّ الإجابة لا تستدعي بالضرورة والتأكيد أن يكون ذلك الرد رفضاً

للعرض الذي قدم ف (ع) يمكن أن يقصد عبارة:

1. عليّ أن احضّر لامتحان، ولكن هيا بنا إلى السينما.

2. عليّ أن احضّر لامتحان، ولكّني سأقوم به بعد عودتي من السينما»²

وهناك خطوات يسلكها المتكلم عند التلفظ بالأفعال غير المباشرة وهي كالآتي³:

¹. ينظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، الصراف، ص 127.

². Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle, traduit par Joëlle

Proust, les édition de minuit, Paris, 1982, p. 76.

³. ينظر: إستراتيجيات الخطاب، الشهري، ص 384.

1. يدرك أن معنى الخطاب العرفي لن ينساب السياق، ولن يعبر عن القصد المراد، فيختار التعبير وفق أسلوب التلفظ بالأفعال الإنجازية غير المباشرة.
 2. يبحث عن آلية مناسبة ينتج بها خطابا ليبلغ قصده .
 3. يختار الآلية التي تؤدي المعنى المستلزم من الخطاب، والمغاير للمعنى الحرفي .
- وفي طرحه لقضية الأفعال الكلامية غير المباشرة، واجهت " جون سيرل Searle John" بعض الإشكاليات البحثية، حيث يقول: «إنّه من المهم أن نشير أنّه إلى حد الآن في هذا الفصل لم نصل إلى ضبط الكيفية الدقيقة لتحليل الأفعال الكلامية غير المباشرة، فأنا لم أصل إلى خطاطة عامة تحكم كيفية اشتغالها وسيرها»¹. وتمثلت في ثلاث إشكاليات، وهي كالآتي:

1. الأولى: تتمثل في كون " سيرل Searle " اختار جملا معينة، فيقول: «لماذا نختار جملا بعينها بدل جمل أخرى»²، وهو نقد ذاتي من قبله، وحجة ذلك الانتقاء، وهي أنّه لا يمكن أن يلمّ على كل الجمل، لدراستها ما جعله يسقط في مطب الجمل الجاهزة التي تملك خاصية الطقوسية أو التي تدخل في خانة الممارسات والسلوكات³، كما يسميها "أوستين Austin"، مما سهل عملية تأويلها⁴.

¹. Sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle, p90.

². Ibid, p90.

³. نظرية أفعال الكلام العامة، جون لانكشو أوستين، تر: عبد القادر القيني، ص187.

⁴. ينظر: فلسفة الفعل، من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، عبد العزيز العيادي والبشير ربوح، ص358.

2. الثانية: وتتمثل في تجاذب وتنافر بين قاعدة الصدق والقاعدة الأساسية مع بقية

القواعد، حيث يقول " سيرل Searle ": « لا نستطيع أن نتم طلباً غير مباشر إذا

اعتقدنا أنّ قاعدة الصدق كافية، لكننا في الحقيقة لا نعلم كيفية التأكد من تحققها

ووجودها»¹، فهي قواعد تختلف درجة الحاجة إليها حسب نوع الفعل، طلب أم وعد

أم دعوة.

3. الثالثة: وتتمثل في أنّ الجملة المتضمنة في جمل أخرى غير قابلة للتحليل بطريقة

دقيقة ومضبوطة²، فالفعل المتضمن يكون دائماً مرتبط بالقول الآخر، حيث لا

يملك الاستقلالية حتى يتم تحليله بطريقة دقيقة واستخراج الفعل المتضمن فيه

والقوة الإنجازية التي تحتويها

3. مساهمات "بول غرايس Paul Grice":

أشار "بول غرايس Paul Grice" إلى ظاهر الفعل الكلامي غير المباشر في

محاضراته، واصطاح على تسميتها بظاهرة الاستلزام الحواري " implication

conversational" التي تميز كل اللغات الطبيعية ؛ وهو «المعنى التابع للدلالة

الأصلية للعبارة»³، ومن ثمة فإنه يلاحظ أثناء عملية التفاعل الخطابي ويقوم على

أسس تداولية. وفي تعريف آخر "هو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلاً

¹: Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle, p93.

². sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle. p94.

³. الإستلزام الحواري في التداول اللساني ، العياشي أدراوي ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ط1 ، 2011، ص 18.

مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر لكلامه إلى معنى آخر"¹. فالاستلزام الحوارى بحث فى المعنى المتضمن فى العبارة، والذي يتحقق بعد معناها الحرفى . كما نستنتج أن هناك اختلافاً بين ما يقال وما يقصد ؛ فما يقال يتجلى فى الكلمات حرفياً، أما ما يقصد فهو ما يريد المتكلم توصيله بطريقة غير مباشرة إلى المتلقى، ولذا حاول "غرايس Grice" توضيح الاختلاف بين القوة الإنجازية الحرفية التى نستدل عليها من خلال الخصائص البنيوية للمقال كصيغة الفعل الإنجازية والتنغيم وبعض الأدوات كأدوات الاستفهام والنهي ...، وبين القوة الإنجازية المستلزمة التى تدرك من خلال الطبقات المقامية أو السياقية بصفة عامة². وتساءل لماذا يقول القائل شيئاً وهو يقصد ما يقوله ولكنه يريد أن يقول أيضاً شيئاً آخر ؟ وكيف يمكن للسامع أن يفهم العمل اللغوى غير المباشر فى حين أن الجملة التى يسمعها تقول شيئاً آخر؟³.

يؤكد "بول غرايس Paul Grice" فى هذا المقام أن التأويل الدلائلى للعبارات فى اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط الشكل الظاهرى لهذه العبارات . وحتى يتحقق ذلك اقترح جملة من الضوابط يجب توافرها وهى⁴:

1 . معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم فى علاقة بمستمع؛ أى تفاعل خطابى.

2 . المقام الذى تنجز فيه الجملة؛ أى الظروف المحيطة بعملية التلفظ.

¹ . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

² . اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، أحمد متوكل ، منشورات عكاظ ، الرباط ، د ط 1987 ، ص 22

³ . التداولية اليوم ، علم جديد فى التواصل . آن روبول وجاك موشلار ص 268 .

⁴ . الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ، العياشى أدراوى، ص 18.

3. مبدأ التعاون "Principe de coopération"

ولتوضيح هذه العلاقة القائمة بين المعنى الحرفي والمعنى الاستلزامي نقف بشيء من التفصيل عند هذا المبدأ الأخير الذي أسماه بـ "مبدأ التعاون" Le principe de "coopération" وهو من أهم المبادئ التي تعتمدها التداولية في إنجاح عملية التواصل بين الناس، وصيغة هذا المبدأ «اجعل تدخلك مطابقاً لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه، في المرحلة التي تتدخل فيها»¹. ويتجسد هذا المبدأ في أربعة أحكام²:

1. حكم كمية (Quantité): مؤداها "اجعلوا خطابكم أكثر غنى بالأخبار على أن لا يتعدى ذلك حده، ليصبح هدفاً في التواصل".

2. حكم كيفية (Qualité): مؤداها "لا تقل ما تعتقد في خطئه، ولا تفتقد البراهين الكافية عنه".

3. حكم العلاقة (Relation): "كن دقيقاً!".

4. حكم الصيغة (Modalite): "كن واضحاً دون التباس، وموجزاً ومنظماً، ومن ثمة فمبدأ التعاون قائم على ضبط القول وعدم حشوه بما لا فائدة منه؛ أي ألا يكون في التواصل الكلامي زيادة أو نقصان، كما لا يوجه للمتكلم ما يشك في صحته

¹. اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، أحمد متوكل، ص 23

². المقاربة التداولية، فرانسواز، أرمينكو، تر: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، ط1 1987، ص

الفصل الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة في عيون البصائر

ولا دليل له عنه وأن يكون الكلام مناسباً للموضوع، إضافة إلى تجنب اللبس والغموض مع ترتيب وإيجاز ما يقال .

وقد قدم "بول غرايس Paul Grice" توضيحاً للدلالة اللغوية للعبارة وهو ينقسم إلى معاني صريحة وأخرى ضمنية¹:

1. المعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

أ. المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إستناد.

ب. القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات، والنفي...

2. المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن

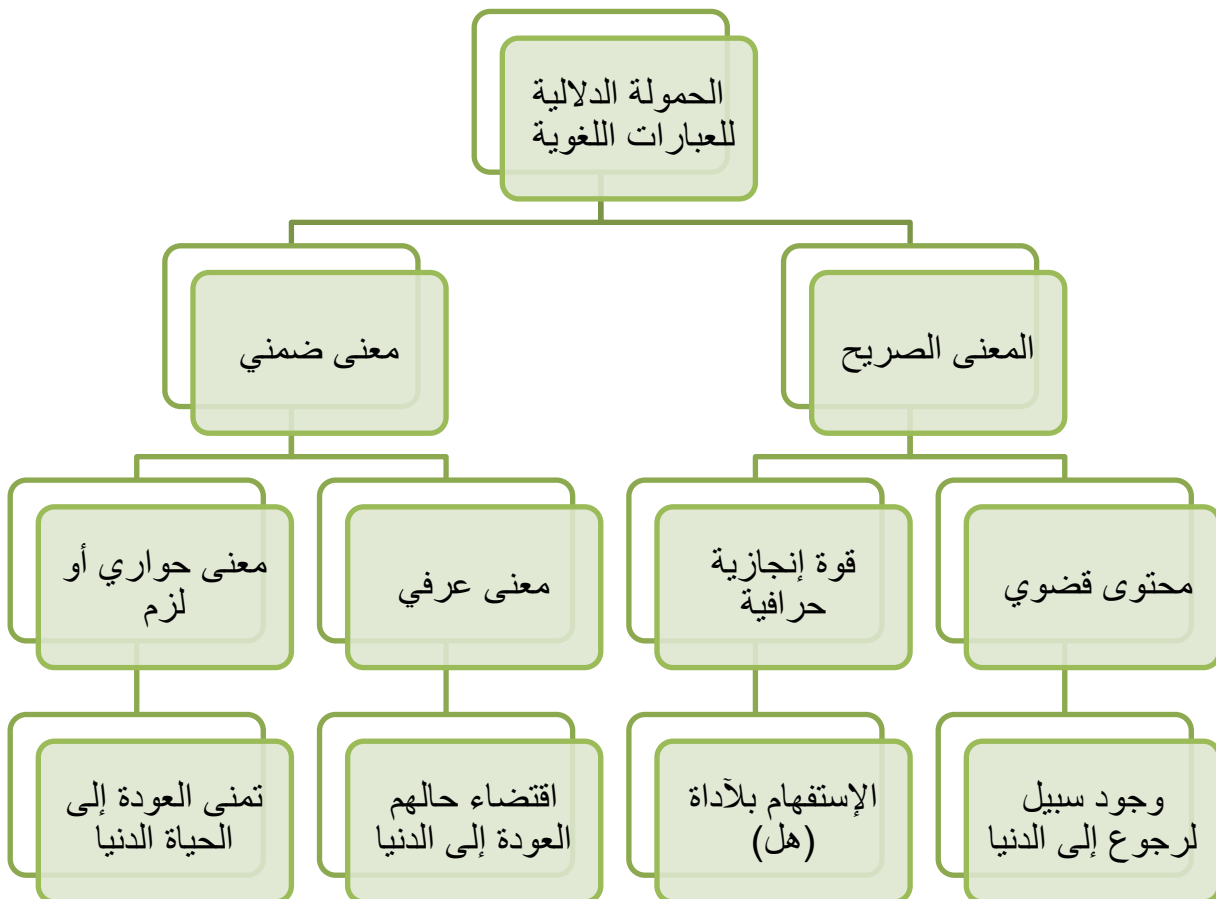
للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

أ. معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب. معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.

¹. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحرأوي، ص 34، 35.

ولتوضيح ذلك نورد عبارة " هل إلى مرد من سبيل؟" كمثال لمعرفة دلالات هذه العبارة وضع " مسعود صحراوي " شكلاً مشجراً وضَّح فيه ذلك كالآتي¹:



¹. التداولية عند العلماء العرب , مسعود صحراوي ، ص36.

وفي الأخير نشير إلى أن هذه المبادئ التي وضعها "بول غرايس Paul Grice" كان لها دور كبير في تفسير المعنى الظاهر والمعنى الخفي غير أنها غير كافية وغير قادرة على تفسير كل الأفعال الكلامية. كما صرح بذلك بعض الباحثين اللسانيين كأحمد المتوكل.

4. أهمية الفعل الكلامي غير المباشر:

لاحظ بعض الدارسين من منطلق عملية التواصل اللغوي القائمة على التفاعل بين المتخاطبين أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة، أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة، ونظراً لأهمية هذا النوع من الأفعال فقد كانت محط أنظار العديد من اللغويين الذين تناولوها بالدراسة والتحليل من بينهم "د.فرانك D.Frank" الذي حاول وضع الوظائف الاجتماعية لهذه الأفعال في قوله: "يمكن أن تتوفر الأفعال غير المباشرة، على سبيل المثال على الوظائف التالية: تحاشي المحظورات، التحايل على حواجز غير مرغوب فيها وتفادي مطلب غير مبرر (أو تخف (ما لمنزلة ما أو حق ما، وخلق إمكانات واسعة للذات وللطرف الثاني، تمكن من الاهتداء إلى مخرج وهذه المعطيات هي في الغالب أشكال لبروز مبدأ الكياسة بمعناه الواسع أي لبروز تكتيكات tactiques تحمي التفاعل الاجتماعي»¹.

¹. مدخل إلى اللسانيات التداولية، جبلاي دلاش، ترمحمد بحياتن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية

الفصل الثاني: الأفعال الكلامية غير المباشرة في عيون البصائر

نستنتج من خلال هذا القول أن هناك مجموعة من الوظائف الاجتماعية التي تسهل عملية التواصل بين المشاركين في الحديث، لذلك نجد أن أغلبهم يلجأ إلى هذا النوع من الأفعال للأسباب الآتي ذكرها :

. إن استعمال هذا النوع من الأفعال أثناء الحديث يسمح للمتكلم بأن يتحاشى المحظورات في كلامه وذلك باكتفائه بالتلميح إلى ما يقصده.

. يسمح هذا النوع من الأفعال للمتحدث أن يرفض أمراً ما بطريقة غير مباشرة ومهذبة.

. تسمح أيضاً بأن يكون الأمر مخففاً في بعض الوضعيات.

. تتيح هذه الأفعال السؤال عن أمر ما أو طلب شيء بطريقة غير مباشرة تفادياً لاحتمال الرفض أو عدم الاستجابة.

. كما أن قانون العبارات المسكوكة أو المتحجرة الذي اقترحه "بول غرايس Paul

Grice" كالصيغ والتعابير التي تستعمل في مقام الإقرار والحقائق أو في مقام التأدب

والتودد لإفادة طلب فعال ومفيد لأن متطلبات الحوار وأدبياته تصرفنا عن التلفظ

بجمل أمرية يطغى عليها طابع العنف والإكراه مثل:

أ . أنظر أمامك، هل أنت أعمى؟

ب . أمرك بالمجيء.

حيث يمكننا التخلي عن مثل هذه العبارات القاسية ونعوضها بعبارات أخرى غير مباشرة تنم عن اللطف و حسن الأخلاق والسلوك، كما تظهر تأدينا أثناء تعاملنا مع الغير، نحو قولك مثلاً:

أ. من فضلك انتبه.

ب. هلاً تفضلت بالمجيء، تعال من فضلك.

وعليه يجب توخي الأدب أثناء تعاملنا مع الغير، مما يجعلنا نميل إلى اختيار الأفعال الإنجازية غير المباشرة. «فالمتكلم يختار استعمال الأفعال غير المباشرة عوضاً عن الأفعال المباشرة؛ وذلك بدافع عوامل معينة أبرزها التأدب في الحديث»¹. ولهذا فإن مبدأ التأدب يعد ضرورياً لتحقيق التناغم الخطابي والرضى والقبول بما يعرض من أفكار وطروحات، ومن ثمة الفاعلية الإقناعية.

كما يعد " الرازي (ت606هـ)" من العلماء الذين أشاروا إلى مبدأ التأدب في معرض حديثه عن دواعي استعمال المجاز في قوله : « إن العدول عن الحقيقة إلى المجاز: إما لأجل اللفظ، أو المعنى ... وأما الذي يكون لأجل المعنى. فقد ترك الحقيقة

في البرجماتية , الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة , الصراف , ص124¹

إلى المجاز لأجل التعظيم والتحقير، ولزيادة البيان، ولتلطيف الكلام¹. ومن ثمة فتلطيف الكلام وحسنه بطريقة غير مباشرة من آليات نجاح مبدأ التأدب.

وفي هذا الصدد أشار "الشهري" إلى أهم المسوغات التي ترجح استعمال المرسل للأفعال غير المباشرة وهي كما يلي²:

1. التأدب في الخطاب: وهو من أهم الأسباب، إذ يستعملها المرسل مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد، مثل البعد الشرعي، وما يمليه من ضرورة أطراح فاحش القول. والبعد الاجتماعي، بضرورة احترام أذواق الآخرين وأسماعهم. والبعد الذاتي، وهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها، أو بما قد يعكس دناءة المرسل في أذهان الآخرين، والابتعاد عن الكذب باستعمال التعريض.

وقد يكون التأدب:

أ. مع الذات، بأن ينزه المرسل نفسه عن القول الفاحش، أو ذكر ما يستغرب منه، والمحافظة على صورته المعهودة.

ب. مع المتلقي، بأن يحترمه؛ فلا يذكر أمامه ما يحطّ من قدره، أو يقلل من شأنه.

ج. مع مكان الخطاب، فينزهه عن ذكر ما لا يليق بحرمته، مثل المسجد.

¹. المحصول في علم الأصول، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، 1999، مج 1، ص 125.

². استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، الشهري، ص 371-372-373. وأيضاً في البرجماتية، الأفعال الإنجازية، في العربية المعاصرة، الصراف، ص 135، 136.

2. إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوق عليهما : بذكر معاييرهم أو الانتقاص من أقدارهم مثلاً : لأن التفوق حاجة فردية ومنزع إنساني ويمكن التلميح به عند التعريض بهؤلاء الناس واحتقارهم، مثل قول المرسل: "فلان لا يفقه في أمور الحياة شيئاً"، إذ يستلزم: أنه هو الذي يفقه الكثير في أمور الحياة.

3. رغبة المرسل أحياناً في التملّص، والتهرب من مسؤولية الخطاب ، وذلك بجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل، منها القريب ومنها البعيد، فيختار المرسل إليه من التأويلات الممكنة ما يعتقد أنه الأنسب للسياق، مع استبقاء الفرصة لدى المرسل لينكروينفي القصد الذي قد يوقعه في ورطة لو أقرّ بإنجاز فعل لغوي معيّن من خلال خطابه، مثل إنكاره أنه لم يعمد إلى اتّهام المرسل إليه أو أي طرف آخر، إذ يمكنه باستعمال التلميح أن ينفي هذا القصد عن خطابه، ويخرج الخطاب على أنه ذو قصد آخر. ويكون هذا التملّص غالباً، عند إدارة الأزمات، أو وجود توتر في العلاقات بين أطراف الخطاب وقد يتجاوز مستوى التعامل بين الأفراد إلى المؤسسات والدول. وكذلك عند عدم وجود سلطة للمرسل على المرسل إليه، مما يعيقه عن إجباره على القبول بممارسة بعض الأعمال، كقبول الرّشوة مثلاً، بيد أنه ليس هناك ما يحول دون التلفظ بذلك في خطاب تلميحي (أفعال غير مباشرة) مما يمكن أن يتيح للمرسل أن يتهرب من الوقوع في شرك العدالة. ولذلك فقد يعرض المرسل الرّشوة بالتلميح إليها، قائلاً: "يا فلان، لا يخدم البخيل". أو "ساعدنا في هذه المسألة، وسوف نطيّب

خاطرك" أو نعلم أنّ تكاليف الحياة أصبحت باهظة، ومن حقك أن تعيش في أحسن حال".

4. استجابة للخوف، لذلك يستعمل المرسل هذه الاستراتيجية لئلا يتخذ المرسل إليه خطابه دليلاً عليه. وذلك فقد يجيبه المرسل إليه بخطاب تلمحي (بأفعال غير مباشرة) يشوبه الحذر أيضاً، كي لا يتهمة عندها، بأنه يستطيب الرشوة ويطلبها من المتكلم فيصبح كلامه عرضة للمساومة. ومن أمثلة الاستجابة للخوف هو قول الأستاذ في مثال طرح المسألة وعدم درايته بحلها) للتلميذ الذي بدأ مناقشته بالمسألة: إنّه مسألة لن تعرض لكم في الامتحان.

فقوله هذا جاء نتيجة خوفه في انفضاح أمره أمام الجمع فأثنى الموضوع بقوله السابق حتى لا يستمر النقاش ويقع المحذور.

5. العدول عن محاولة إكراه المتلقي أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه، بمنحه فرصة الرفض والمناورة باللغة، فلا يعتمد المتكلم على إحراجه، إن كان لا يرغب في تنفيذ ما يريده منه. ويحدث هذا عندما يمتلك المتكلم السلطة، ولكنه يراعي مشاعر الآخرين، وفي هذا حفظ لماء الوجه وإعادة الاعتبار؛ ولذلك يكثر استعمالها في النصيحة وتوجيه المتلقي إلى الفعل الأصح، ومثال هذا المسوغ قول المتكلم لمتلقيه تريدين دراسة الأدب، وهو يرى أنها غير قادرة على دراسته أو هي غير مؤهلة لذلك مبدئياً:

.كل شيء في الإمكان، مادامت الإرادة قوية.

فالمتكلم لم يُخرج المتلقية المصرة على تعليمه لها بالقول، إنك ذات سلوك سيء، وتفتقرين للإرادة؛ وبالتالي لن تصلحي لدراسة الأدب، بل استخدم الإنجاز غير المباشر حين دفعها للدراسة ولكن بشرط تحليها بالإرادة، وهنا أعطاهما الخيار بين أن تبتعد عن فكرة دراسة الأدب إن استمرت في سلوكها غير المتزن وبين إمكانية نجاحها في دراسة الأدب إن تمسكت بالعزم والإرادة دون أن يتسبب في إحراجها أو إكراهها على تغيير سلوكها غير المتزن ودون أن يعبر عن ذلك لها صراحة.

6. الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين؛ هما المعنى الحرفي ، والمعنى غير المباشر في الآن نفسه؛ إذ يعبر المرسل عن قصد مباشر، وآخر غير مباشر بخطاب واحد، ومن أمثلة الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد قول جماعة من المتجمهرين حول جسد مصاب بصوت خافت:

.النيابة حضرت.

فالناس هنا استخدموا الإنجاز المباشر في الإخبار والتنبيه على وصول النيابة لموقع الحدث، واستخدموا نفس العبارة للتعبير عن جوانب أخرى غير مباشرة من خلال نفس الجملة كوجوب التزام الهدوء، وطمأنة بعضهم البعض بوصول رجال القانون الذين بإمكانهم حفظ حقوق الناس وغيرها من المعاني.

وبصورة عامة نحن نحاول في خطاباتنا غالبا الموازنة بين تعارض الرغبات في الانخراط مع الآخرين والاحتفاظ بالاستقلالية في الوقت نفسه، وذلك من خلال استعمال الإنجاز غير المباشر ممثلا في الأقوال المجازية، وإدراك إشارات الآخرين غير المباشرة، وبالإحجام عن قول بعض الأشياء وتخمين ما يعنيه فيما أحجموا عن قوله.

5. أهم الفروق بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

ميّز الباحثون بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة بوضع جملة من الضوابط وهي كالتالي¹:

1. أنّ القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فموكولة إلى المقام الذي لا تظهر قوتها الإنجازية إلّا فيه.
2. أنّ القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغي، فإن قال لك صاحبك: أذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغي القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.
3. أنّ القوة الإنجازية غير المباشرة لا نتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه. من هنا لم تكن النظريات الشكلية إلا بالقوة الإنجازية أو الحرفية، أما غير المباشرة أو غير الحرفية فتقع خارج نطاق اهتماماتها.

¹. ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد متوكل، ص22.

كما يعتبر (العرف) من المميّزات الأساسية بين ما هو مباشر وغير مباشر من الأفعال، ويتضح ذلك في قول "محمد العبد": "إن العرف هو ملمح رئيس للتمييز بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر"¹؛ أي أن المتلقي بإمكانه التمييز بين الفعل المباشر وغير المباشر بتخمينه وقد يختلف ذلك من متلق إلى آخر، فلإنشاء عند القانونيين رافدان أساسيان²:

الأول: رافد لغوي يتمثل بالإنشاء الصريح الذي يأتي بالصيغ اللغوية: يجب، ويخطر، ويمنع، ولا يجوز، ويجوز، وهذا الإنشاء يختص بألفاظ دالة عليه.
والآخر: عرفي يتمثل بالإنشاء الأولي (غير صريح) فمن الأحكام ما لم توضع له صيغة إنشائية خاصة به، والعرف هو الذي جعل من بعض العبارات دالة على الإنشاء، فالبيع والزواج ليس لهما إلا صيغة الإخبار، وجعله العرف القانوني إنشاء.

يتّضح مما سبق أنّ «المنوال المفهومي للأفعال الإنجازية الصريحة يتحقق عندما يطابق الفعل الإنجازي قصد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقة حرفية لما يريد أن يقول»³. ومن ثمة الفعل الإنجازي المباشر هو ما يتم إدراكه من خلال اللفظ، متى لم يخرج عن أصل استعماله، وذلك ضمن سياق لغوي محدد. أما الفعل

¹ ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص289.

² اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني (قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين)، مرتضى جبار كاظم، دارالأمان، الرباط، ط1، 2015، ص46.

³ التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترسيف الدين دغفوس، ومحمد شيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2003، ص268.

الإنجازي غير المباشر ، فهو الذي يتجاوز المعنى الحرفي للقول ومطابقته له إلى المعنى المجازي المتضمن في القول الذي يحيل عليه السياق.

6. الأفعال الكلامية غير المباشرة في عيون البصائر وفق تصنيف "جون سيرل Searle John"

اعتمد سيرل في تصنيفه للأفعال الكلامية غير المباشرة على جملة من المعطيات اللغوية وغير اللغوية وانطلق مما قدمه أستاذه أوستين وطوره ومن بينها:

1. الإثباتيات (Assertives): ويطلق عليها الإخباريات و التقريريات و يتم فيها تقديم الخبر من طرف المتكلم من خلال تركيزه على قضية ما كحقيقة واقعية للمستمع بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، وتنطوي على اتجاه ملائمة من الكلمة إلى العالم، و شرط الصدق فيها هو الاعتقاد، ويمكن أن تكون صادقة أو زائفة، ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والأوصاف الطيبة والتصنيفات والتفسيرات وغيرها¹، ولهذا الصنف أغراض إنجازية مباشرة كالوصف والإخبار وأغراض إنجازية غير مباشرة كالمدح والوعد والوعيد والدعاء وغيرها. ونحن بصدد الوقوف على هذه الأخيرة بالدرس والتمحيص.

وقد تجلت جملة من الأفعال الكلامية غير المباشرة من هذا النوع في خطابات

"محمد البشير الإبراهيمي" ومن بينها:

¹. ينظر: اللغة والعقل والمجتمع، جون سيرل، ص 217.

قوله لرجل من رجال الإدارة الحكومية الجزائرية أثناء تفاوضه معه في أسباب

حرمان المعلم من إعطائه رخصة التعليم: «قلت له: وأنا أؤكد لك أن كل ما

زرعتموه في المستعمرات من خبائث ورذائل، وسقيتموه بماء الحرية لينمو

ويترعز، فتفسدوا به أهلها وتهلكوهم- ستجنون ثمراته المرة في أبنائكم وفي

وطنكم. فأنتم تسخرون الشيطان للإفساد من حيث يشعر، ولكنه يعود فيسخركم

للفساد من حيث لا تشعرون»¹، فلطالما اهتم "البشير الإبراهيمي" بالجانب التربوي

في منهجه الذي خطه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعيا منه بقيمة هذا

الجانب في تحقيق النهضة المنشودة، لأن « نهضة الأمة مرهونة بنوع الجهود الفكرية

والتربوية والعلمية التي يبذلها العلماء والمعلمون في مجال التوجيه والإرشاد والبناء

الفكري، وتصحيح واقع المجتمع»²، فقد حمل هذا القول أفعالا كلامية غرضها

الإنجازي تمثل في الإخبار والتوكيد في قوله (قلت، أؤكد، زرعتموه، سقيتموه، ينمو،

يترعز)، فالبشير الإبراهيمي يؤكد لرجل الحكومة أن كل أعمال الفساد التي يقومون

بها في أرض الجزائر والتي هي بلدهم، سيكون ضحيتها أبنائهم بالدرجة الأولى، ويمثل

هذا المعنى الصريح للقول، أما القوة المتضمنة في القول هي الوعيد في قوله

(ستجنون) فالبشير الإبراهيمي يتوعد هؤلاء المفسدين والفساق بالعقاب المتمثل فيما

ينعكس عليهم سلبا وجني ثمراته المرة في أبنائهم ليعكروا صفو حياتهم ، وتكمن القوة

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص240.

². التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عبد القادر فضيل، مجلة الوعي، ع2، ص40.

الإنجازية لهذا القول الكلامي غير المباشر في أنّ قرارات الحكومة مكرسة لتبعية التعليم للحكومة.

كما نجده يتكرر في خطابات أخرى متعددة في "عيون البصائر"، قد نذكر منها قوله في مقال "الحج" الذي تناوله كركن خامس من أركان العقيدة، ليرز مواضع الخلاف بين الجمعية والاحتلال ويستهل مقاله بـ : «وانظر ما تشترطه الحكومة في الحاج تتبين صدق ما قلناه ، وتعلم أننا غير متجنين عليها ولا مبالغين في نقدها، تقول الحكومة في أول شروطها ما نصه: أولاً: البراءة من التهم والإجرامات المدنية والسياسية. يا للعجب أيكون الإجرام المدني مانعا من الحج؟ أيكون الإجرام السياسي مانعا من الحج؟ وما هو الإجرام المدني؟ إنه السرقة وأكل أموال الناس بالباطل وشهادة الزور...ثم ما معنى الإجرام السياسي؟ إنه حب الوطن، والعمل على نفع أبنائه، وبغض الاستعمار، والعمل لمقاومته، فهذا هو الإجرام السياسي الذي تعتبره الحكومة الجزائرية مانعا من أداء واجب ديني، ولا ندري لماذا لم تجعله مانعا من أداء الصلاة والصيام؟»¹.

فالأقوال هنا معظمها استفهامية ؛ والاستفهام غرضه الإنجازي غير المباشر هو التعجب، حيث يقول: (أيكون الإجرام المدني مانعا من الحج؟ أيكون الإجرام السياسي مانعا من الحج؟ وما هو الإجرام المدني؟)، كما تحمل هذه الأقوال قوة

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 58.

متضمنة متمثلة في إنكار الشروط التي فرضتها الحكومة على الحاج وعدم مطابقتها للدين الإسلامي الذي ينص على أن المسلم إذا تاب من كبيرة يعتقد أن كمال التوبة أن يكثر من الطاعات ، والتي من بينها الحج باعتباره مكفراً لكل الذنوب إذا قُبِلَ من الله تعالى، وعليه فالمذنب أحق الناس بالحج، والسياسة التي هي جرم يمنعه من الحج، فهي وسيلة من وسائل خدمة الوطن. وتتواصل سلسلة الاستفهامات التي استخدمها الكاتب للتعبير عن القوة الإنجازية المتضمنة والتي غرضها التعجب والإنكار، فقصده من كل هذا هو إبراز مواقف جمعية العلماء المسلمين المتمثلة في أنّ أعضاء الجمعية سائرون على منهج لا يتبدل في المطالبة بالحق الديني للأمة الجزائرية ، والتظلم من الحكومة والتشنيع عليها، وأنهم لهم بالمرصاد. وهي أسس كفيلة بالإفصاح عن خطة جمعية العلماء في التصدي لإجراءات الحج، من أجل التوصل إل تحرير هذه الفريضة من أسر الاحتلال.

وفي خطاب آخر استعمل الكاتب "الإثباتيات Assertives" وكان ذلك أثناء

حديثه عن عمل جمعية العلماء المسلمين للعرب والعروبة: «إن العروبة، جذم

بشري من أرسخها عرقا، وأطيها عذقا، عرفه التاريخ باديا وحاضرا، وعرف فيه

الحكمة والنبوة، وعرفته الفطرة لأول عهودها فتبنته صغيرا وحالفته كبيرا. وإن

العربية هي لسان العروبة، الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع

للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتر بالعروبة فهو ذليل، إلا أن تمده هذه المضغة

اللينة بالنصر والتأييد ¹، فالإطار الحضاري الذي يتحرك داخله "الإبراهيمي" ويستمد منه مادته الخامة هو إطار الحضارة العربية الإسلامية بمفهومها العام، ومن شرايين هذه الحضارة تستسقي شخصيته الأدبية والفكرية، شعورها القومي وروحها الإسلامية اللذين يكونان عنده الوتر الحساس والعرق النابض، كما يكونان عند المثقف العربي بالجزائر إرثا استطاع ليل الاستعمار الطويل أن يخفيه ويخنقه ويشلّه زمنا طويلا ولكنه لم يستطع أن يقضي عليه أو يتلفه ². فنجد الكاتب ههنا أفعالا كلامية غير مباشرة تضمنتها أقواله وهي إبراز أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمتمثلة في عملها للإسلام، ولإحياء اللغة العربية وكذا دعوتها إلى الالتفات حول الإسلام والعروبة، والوحدة والتماسك الاجتماعي وظّفها الكاتب بغية تحقيق أغراض إنجازية متمثلة في المدح والافتخار بجمعية العلماء المسلمين ، وتكمن قوتها الإنجازية في وإبراز دورها في تحقيق النسب العربي ، وإرجاع الكرامة للغة العربية، بعدما ابتلاها الاستعمار عن قصد.

وفي البداية عندما أشار "الإبراهيمي" إلى موضوع كتابه، قال: «اللهم يا ناصر المستضعفين أنصرنا، وخذ بنواصينا إلى الحق، واجعل لنا في كل غاشية من الفتنة، رداء من السكينة، وفي كل داهمة من البلاء درعا من الصبر، وفي كل

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص35.

². الأديب العربي والشعب ، عبد الله شريط، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 13، 1973، ص54.

داجية من الشك علما من اليقين...¹، حيث وظف أقوال كلامية في دعوته الله لإعانتته على الصبر، ويسأله النصر والصبر واليقين في أمور الحياة، فهو يقصد الدعاء بصيغة الأمر.

2. التوجيهيات، الطلبيات (Directives): وهدفها توجيه المستمع إلى فعل شيء ما، يفرضه عليه المتكلم، كما تعد من الطلبات والأوامر، ولا يمكن أن تخضع للصدق أو الكذب. حيث نلاحظ استعمالا متنوعا لأغراضها في "عيون البصائر"، نذكر منها قول "البشير الإبراهيمي": «دع الطنطنة لعشاق المظاهر، والتهاول، ودع الأصداء الفارغة تجب نفسها، ودع الدعوى للمتشبعين بما ليس فيهم، وهات الحقيقة التي لا تدحض، والحجة التي لا تنقض»². كلها أفعال كلامية أمرية (دع، هات) تلائم غرض الكاتب المتمثل في النهي الطلبي الداعي إلى الحقيقة في وصف جمعية العلماء المسلمين ودورها في حماية اللغة العربية، وينهي عن كثرة الكلام والأصداء الفارغة المبنية على النوايا السيئة بغرض الظهور والإبانة وهنا خرج النهي عن معناه الأصلي إلى معنى فرضه عليه السياق ممثلا في قوته الإنجازية المتضمنة في القول وهي الدعوة إلى إظهار الأعمال الحقيقية والمواقف السامية والأهداف النبيلة المبنية على الحجة والبرهان لجمعية العلماء المسلمين في خدمة العروبة بعامة واللغة العربية بخاصة.

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص15.

². المرجع نفسه، ص35.

كما تتجلى أغراض أخرى في خطابات البشير الإبراهيمي نذكر منها النداء في إبرازه لمواقف وأعمال جمعية العلماء المسلمين قوله: «إن منكم من يحتقر لغة الأمة فلا يقيم لها وزناً ، وفيكم من يحتقر دينها فلا يقرأ له حساباً، وفيكم من يحتقر بناتها فلا يتزوج منهن، وفيكم من يأنف من خوولتها لأبنائه فيختار لهم أخوالاً غرباء، وإن بعض ذلك لقدح محسوس في أمتكم الحاضرة، وإن بعضه لسم مدسوس في أعراق أمتكم المقبلة، فيا ويحكم هل هذا كله إلا من آثار الاستعمار في نفوسكم، شعرت أم لم تشعروا؟»¹.

هي أفعال كلامية تضمّنت النداء غير المباشر للساسة الجزائريين في قوله: (إن منكم من يحتقر ... فلا يقيم لها وزناً ، وفيكم من يحتقر ... فلا يقرأ له حساباً...)، والذي بيّن فيه "البشير الإبراهيمي" احتقار الأمة للعربية والدين الإسلامي وكذا احتقار نساء الأمة وعدم القبول بهن كزيجات، وقد وصف ذلك بالقبح والطعن في قيم الأمة حيث جاءت هذه الأفعال مناسبة للقوة الإنجازية المتضمنة في القول والدالة على التحذير من مزاحمة المرأة الفرنسية للمرأة الجزائرية في أمر الزواج، وكذا التحذير من المعتقدات السامة الدسيصة في نفوس الأمة بفعل الاستعمار.

وفي مقام آخر يواصل البشير الإبراهيمي نداءه وهذه المرة هو موجه لأعضاء جمعية العلماء المسلمين حيث قال: «يا قومنا! إن الأمة تنظر إلى الأعمال لا إلى

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص48.

العقائد، وإننا لنتوقع أن تشعر الأمة بما في سلوككم من اضطراب وتناقض بين المبادئ والأعمال فتتزعزع ثقتها بالأحزاب جميعا، ويذهب الحق في الباطل، وإننا - والله لا نرضى لكم هذه العاقبة، ولا نرضى لأمة فقيرة من الرجال أن يسوء ظنها برجالها»¹. فهو ينادي بشكل مباشر أعضاء جمعية العلماء المسلمين في قوله: "يا قومنا" بوجوب جعل المعتقدات والمبادئ أعمالا تلمسها الأمة، فتوجه بأفعال مباشرة منها: (نتوقع أن تشعر الأمة، تتزعزع ثقتها بالأحزاب، يذهب الحق في الباطل) وهي أقوال كلامية لاءم محتواها القضوي القوة الإنجازية المتضمنة التي كان الكاتب يبتغي تحقيقها والمتمثلة في النصح بالعمل في الميدان، للمحافظة على مكانة الجمعية وبقاء مبدئها فوق كل المبادئ والذي طالما كان كذلك.

وفي مقام التوجيه دائما نورد نداء آخر للبشير الإبراهيمي موجه للطلبة المهاجرين في سبيل العلم فهو يقول: «يا أبنائي إذا عرفتم هذا، وعرفتم واجب أنفسكم التي تحملت الأتعاب، وتجرعت مرارة الاغتراب، وذاقتم طعم الحاجة والشدة، وواجب آبائكم الذين غدوا وربوا، وأجابوا داعي اللوم فيكم ولبوا، وواجب الوطن المجذب الذي جعلكم رواده إلى القطر، وأرسلكم وانتظر، ورجا من إيابكم الحيا والحياة، إذا عرفتم ذلك كله، فماذا أعددتكم لهذه الواجبات؟»². فهي أنماط قولية لها علاقة مباشرة بطبيعة الأفعال الإنجازية المقصودة تمثلت في قوله:

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص50.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص216.

تحملت، تجرعت، ذاقت غدوا، ربوا، أجابوا، لبوا)، وظفها البشير الإبراهيمي أثناء تعرضه للطلبة وواجبات الأولياء والوطن نحوهم، تكمن قوتها الإنجازية في إبراز تضحيات الأولياء من أجل أبنائهم في سبيل تربيتهم وتعليمهم، لكي يصل في الأخير إلى تحقيق الغرض الإنجازي المتمثل في الاستفسار عن واجباتهم هم نحو الأولياء والوطن ويظهر ذلك في قوله: فماذا أعددتكم لهذه الواجبات؟ كما أن لهذه الأقوال معنى آخر متمثل في توجيه وإرشاد طلبة العلم، وتذكيرهم باحتياج الوطن إليهم فيما بعد، والذي لا تقوم له قائمة إلا بهم.

وفي الخطاب نفسه يوجه الكاتب نداء غير مباشر للطلبة نورد منه ما يلي: «لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني، ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد، إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، وتصلون به مجاري التاريخ. خذوا من كل ذلك بمقدار ووفروا الوقت كله للدرس النافع والمطالعة المثمرة»¹. كلها أفعال كلامية صرح بها في قوله: (لا تقطعوا، تستعيدون، تدفعون، تطلعون، تصلون، خذوا، وفروا) تكمن قوتها الإنجازية في النهي، يهدف الكاتب من خلالها إلى تحقيق غرضها إنجازي غير مباشر تمثل في النصيحة، فالتربية في منظور

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص218.

"الإبراهيمي» لا تخرج عن هذه الأطر التخطيطية، ولا تميل عن هذه المعاني الفكرية،

فهي " وسيلة الجماعة للإبقاء على نفسها ثقافيا والمحافظة على كيائها قوميا ¹

ودائما ضمن التوجيهيات (Directives) نورد أغراض النفي التي تضمنتها

خطابات البشير الإبراهيمي، منها قوله في رسالة موجهة إلى الرئيس الفرنسي: «إن

الشعب الجزائري مريض متطلع للشفاء وجاهل متوثب إلى العلم، وبأس متشوق

للنعيم، ومنهوك من الظلم، مستشرف إلى العدالة، ومستعبد ينشد الحرية،

ومهمضوم الحق يطلب حقه في الحياة، وديمقراطي الفطرة والدين، يحن إلى

الديمقراطية الطبيعية، لا الصناعية، ولكنه ليس كما يقال عنه: جائع يطلب

الخبز، فإن وجده سكت ². حيث وظف فيها أفعالا كلامية لاءمت طبيعة الغرض

الإنجازي المراد تحقيقه، فالكاتب يظهر للرئيس الفرنسي الوضع المعاش في الجزائر

والذي يسوده البؤس والمرض والاستعباد بفعل الاستعمار لكي ينفي في الأخير صفة

الجائع الذي يطلب الخبز والتي نسبت إليه، وكلها أفعال غير مباشرة وظفها البشير

الإبراهيمي لإبراز الصورة الحقيقية للشعب الجزائري وأن كرامته أسمى من كل

اعتبار، إضافة إلى إبراز مكانته بين الشعوب الأخرى والتي رسم قيمتها بنفسه ، أما

القوة الإنجازية المتضمنة التي يقصدها الكاتب، ويستلزمها متلقي هذا الخطاب ، هي

¹- معالم التربية، فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974، ص21.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص79.

أن الحكومة في الجزائر لا تخدم مصالح الشعب فمهام الحكومة يكمن في ذلك في جميع دول العالم، وبالتالي حكومة الجزائر ليست حكومة أصلا.

ومواصلة لعرض التوجيهيات التي توافرت عليها خطابات "عيون البصائر"،
نورد قوله في مقال وجهه إلى الطلبة المهاجرين في سبيل العلم وخص الخطاب أولئك
الذين توجهوا إلى تونس، قال: « إذا كانت السياسة الاستعمارية تجعل منكم
جزائريين في تونس، ثم تجعل منكم تونسيين في الجزائر، فاطغوا عليها بقوة
الإرادة، وبقوة العلم، وبقوة الشباب، وكونوا وسطا عامرا لا تظهر فيه الجزائرية
ولا التونسية، ولا تفترق فيه الأنساب، وإنما تجمعكم فيه العروبة والإسلام،
ووطنيتهما العامة، وإن هذا الوسط هو الذي يسود في المستقبل القريب، وهو
الذي تمحى معه الخطوط الجغرافية، والحدود الوهمية ¹. ولتحقيق الغرض
الإنجازي الذي يبتغيه وظف "البشير الإبراهيمي" مجموعة من الأفعال الكلامية التي
تتلاءم مع طبيعة غرض الدعوة إلى التحلي بالإرادة والعلم وقوة الشباب في القضاء
على الفرق الذي وضعته السياسة الاستعمارية والأنساب بين بلدهم الجزائر والبلد
المقيمين فيه بغرض طلب العلم وهو تونس، كما رسم لهؤلاء الشباب «صورة عقلية
دامغة الحجة في إيجاد التفرقة بين المعرفة المطلوبة، والسياسة المنكوبة ليربط

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص220.

الشباب في النهاية بالوطنية في أظهر صورها، وأنبل مبادئها¹، مصورا بذلك رفض الاستعمار لعروبة الشمال الإفريقي، وإنكاره لها، وسعيه لمحوها، وتمثلت هذه الأفعال في قوله: (اطغوا، كونوا، لا تظهر، ولا تفترق، تجمعكم)، كما يبرز لهم بصفة غير مباشرة الأخوة التي يفرضها الإسلام والعروبة بين هذين البلدين.

ويتوجّه البشير الإبراهيمي في مقام آخر بخطاب إلى المعلمين الأحرار نورد منه قوله: «وأوصيكم بالرفق والأناة في أموركم كلها، وبخفض الجناح للناس كلهم، وباتقاء مواطن الشبه، واجتناب مصارع الفضيلة، وما أكثرها في وطنكم هذا، وبإجراز الألسنة عن مراتع الغيبة والنميمة، وفطمها عن مراضع اللغو واللجاج، فهي-لعمري- مفتاح باب الشر، وثقاب نار العداوة والبغضاء»². وهنا يوصي الكاتب المعلمين بالتحلي بمجموعة من الصفات منها الرفق بما فيه من يمن والتأني بما فيه من سعادة والتواضع للناس لما فيه من فضل وكرامة وبركة، والابتعاد عن النميمة واللغو، فاستعمل لذلك أفعالا كلامية غرضها الانجازي المتضمن هو النصح والإرشاد أتت في قوله: (أوصيكم، خفض، اتقاء، اجتناب...)، حيث تكمن قوتها الإنجازية في التزام المعلمين بهذه الأخلاق أمام النشء بعد ها أسلوبا للنجاح.

كما يورد "البشير الإبراهيمي" الاستفهام لأغراض متعددة، منها قوله في مقال "دعوة مكررة إلى الإتحاد" : «إن في أحزابنا كفاءات، وفيها رجال وفيها كنوز من

¹. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص 17.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 291.

الإخلاص، وقد غطى الخلاف على جميع ذلك، فهل من يد جريئة تزيح ذلك الغطاء

البغيض؟»¹، ففي دعوته رؤساء الأحزاب إلى نبذ الفرقة والتشتت والخلافات

المستمرة استعمل الكاتب أفعالا كلامية لتحقيق القوة الإنجازية للمعنى المتضمن في الاستفهام الذي أفاد هنا تمنّيه اتّحاد الأمة السياسي .

وفي مقام آخر ذكر "البشير الإبراهيمي" استفهاما آخر في خطابه الموجه إلى

الأئمة الحكوميين قائلا: «أنصفونا ولو لمرة واحدة أكون شفيعا للمسلمين عند

ربهم من يصليّ (للبايليك) ويقرأ الحزب (للبايليك) ويتردّد على أبواب الحكام... لغير

حاجة؟»²، فقد وظّف أقولا غير مباشرة منها (يصلي للبايليك، يقرأ الحزب

للبايليك...) قوتها الإنجازية تكمن في معنى الاستفهام هنا المتمثل في توعّد الكاتب لكل

متآمر ومتعاون مع سلطة الاحتلال بعقاب الله عز وجل.

أما في حديثه عن جمعية العلماء وموقفها من السياسة والساسة فيعبر عن

غضبه من تحكم الاحتلال في كل صغيرة وكبيرة في الدين، ويسأل : «وكيف تبيح

لنفسك التّدخل فيما لا يعنيك من شؤون ديننا، ثم تحرّم علينا الدخول فيما

يعنينا من شؤون دنيانا؟»³ وهو قول استفهامي إنكاري غرضه إنجاز فعل غير مباشر

وهو التوبيخ على هذا التصرف المشين المعبر عن فكره المتحرّج المبني على الظلم

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي ، ص340.

². المرجع نفسه، ص205.

³. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي ، ص43.

والجور، وتكمن القوة الإنجازية لهذه الأفعال في تصوير منهجية الاستعمار في طمس المعالم البارزة في بلادنا، وعلى رأسها « محور الإسلام من الجزائر حتى تصفوله، فتدسى دينها ولغتها وتاريخها وأمجادها وعروبته، وشرقيتها وتصبح فرنسية الهوى والعاطفة والفكر واللسان والاتجاه »¹، وهو يدرك أنه الدين الذي يخرج الأمة من الظلم إلى النور، ويعمق روح الجهاد في النفوس ليسمو بها إلى الارتقاء نحو الأفضل، ولذلك فهو يسعى لطمسه من الوطن ومحوه من النفوس.

ومن الأفعال الكلامية الموجودة في "عيون البصائر" إضافة إلى ما سبق ذكره نورد الأمريات التي وجهها الإبراهيمي إلى النواب المسلمين في قضية فصل الدين عن الدولة قائلا : « فليفهم النواب المسلمون هذا جيدا، وليحاسبوا ضمائرهم، وليعلموا أن الدين لا مساومة فيه ولا مهادنة »² ، وليوضح للنواب المسلمين دورهم في التصدي لقضية فصل الدين التي تماطلت الإدارة في الفصل فيها استعمل أفعالا كلامية في قوله: (ليفهم، ليحاسبوا، ليعلموا) تلاءمت مع طبيعة غرضها الانجازي الذي يريده الكاتب وهو الإرشاد والنصح، كما حملت هذه الأفعال قوة إنجازية تمثلت في إبراز مكانة الدين الإسلامي العظيمة في نفوس المسلمين الجزائريين، والدعوة إلى الدفاع عنه، معاتبا النواب المسلمين على تفكيرهم فيما يضر، وانصرافهم عما ينفعهم وينفع الناس.

¹. في قلب المعركة، محمد البشير الإبراهيمي، دار الأمة، الجزائر، دط، 2007، ص68.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص70.

كما يظهر النهي جلياً في مناشدة إبراهيمي للأئمة الموظفين لدى السلطة المحتلة بالحرص على قول كلمة الحق في الاستعمار، إذ يقول : « إن نزاعنا مع الاستعمار في ميدان من صميم الدين، فلا تقفوا في طريقنا، ولا تكونوا عوناً له علينا، وإننا لا نسكت حتى نؤدي حق الله فيه، وفيكم إن أبيتم إلا ذلك »¹ ، فقد أفادت الأفعال الكلامية الواردة في هذا الخطاب في تحقق الفعل التوجيهي وهو النهي منها (لا تقفوا في طريقنا، لا تكونوا عوناً له...) والذي تضمن بدوره فعل التهديد.

وفي سياق آخر توجه "الإبراهيمي" بمقال إلى المعلمين الأحرار، يطلب منهم التحلي بمجموعة من الصفات الحسنة، والتي تجعل منهم رجالاً أقوياء، فقال: « إننا نريد عليكم – بعد الاشتراك في الأمانة العامة- باستحكام التجربة، وعرك الأيام، وعجم الحوادث، والتمرس بالخصوم، والصبر على المكار، والاستخفاف بالحساد الذين أكل الحسد أكبادهم، فما بالينا أطاروا أم وقعوا، وملابسة الأمة على البر والجفاء، وعلى الإحلال والإمرار، وعلى الخشونة واللين، وبأننا الغرض المنسوب للسهم، لأننا – دائماً- في مكان القيادة في الصفوف، فلا تصل الرمية إلى أحدكم، إلا بعد أن نثخن ولا يبقى فينا موضع لسهم ! فإذا رأيتمونا نمسكم بالشدة أحياناً، ونقسو عليكم في التثقيف، فذلك لكي يخلص لنا من عشرتكم، آحاد، يخلفوننا في هذه الخلال، إذا خلت أمكنتنا في المراكز الأمامية، بعد أن يقطعوا من مراحل العمر

¹ - عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي ، ص205..

ومقامات التدريب ما يؤهلهم لذلك»¹ ، فأفعال الكلام التي تضمنها القول تشترك في الشروط التأسيسية نفسها له ، منها ، إلى جانب إيرادها بطريقة توجيهية طلبية، تحقق الغرض الإنجازي الذي أراده الكاتب والمتمثل في النصح والإرشاد، والذي تضمن بدوره التمني.

وفي أثناء مخاطبته للمعلمين الأحرار قال: «أنتم جنود العلم، ولكلمة "جندي" معنى يبعث الروعة، ويوحى بالاحترام، ويجلب الشرف، ويغلي القيمة، لأنه في غاية معناه حارس مجد، وحافظ أمانة، وقيم أمة، لذلك كان من واجبات الجندي الصبر على المكارِه واللزيات، والثبات في الشدائد والأزمات، والسمع والطاعة فيما يغمض على الأذهان فهمه من العلل، ويعسر على العقول هضمه من الحكم، فإذا استرسل الجندي في الجزع والشكوى، أو خان الصبر فلاذ بالضجر- أخطأ النصر، وضاع الثغر، وإنما أنتم حراس دروب، ومرابطة ثغور، فاصبروا واثبتوا، وقد كفيْنَاكم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل»²، فالكاتب يوضح للمعلمين واجباتهم نحو الأمة باعتبارهم جنودا للعلم معتمدا في ذلك على أقوال كلامية غرضها الإنجازي غير المباشر ككل هو توعيتهم بهذه الواجبات، وتوجيههم إلى سبيل العمل منها قوله: "فاصبروا واثبتوا، وقد كفيْنَاكم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل". كما حمل الأقوال فعلا متضمنا

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 293-294.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 297.

في القول هو تعظيم مكانة المعلمين، والتشديد بدورهم الكبير في المجتمع، فيراهم أجندة يكافحون الأمية بسلاح العلم، فيرسم لهم صورة رائعة تزيد هيبة شجاعتهم وهيبتهم.

3. الإلتزاميات (commissives): يحيل هذا النوع من الأفعال إلى معنى التزام المتكلم بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل، ويكون شرط الإخلاص في هذا الإلتزام هو القصد، وأما عن اتجاه المطابقة لهذه الأفعال فيكون من العالم إلى الكلمات، وخير ما يمثلها نجد أفعال الوعد والوعيد¹.

وقد نال هذا النوع نصيباً في "عيون البصائر"، نحاول إخراجها في قول "الإبراهيمي" مخاطباً أولئك الذين تولوا تقسيم فلسطين : « كذبتكم المخيلة أيها الأقوياء!... إن العرب إذا سيموا الحيف. حكموا السيف، وإنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر. وإن الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقبة. أخذ الأرض بفرس سراقه؛ وإن التاريخ سيتعصب بكم عارها وشنارها، وسيئاتها وأوزارها »²، ففلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، واستقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وفي هذا القول فعل كلامي غير مباشر وهو الوعد للعرب بأخذ حقهم وتحررهم، وتضمن هذا الوعد فعلاً كلامياً آخر وهو الوعد لغير العرب (اليهود)

¹. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص79.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص502.

بتحمل العيب والعار والإثم، ولدعم القوة الإنجازية لهذه الأفعال لمَح الإبراهيمي إلى أنَّ فلسطين ليست لعرب فلسطين لوحدهم، وإنما هي للعرب كلهم.

وهو ما نستلزمه في قول آخر في نفس المقام: «أما والله لو استطعت لأعطيت

المعلم جما، ثم لأوسعت العطاء ذما حتي تقوى فيه نزعة الكرامة وشرف العلم،

والشعور بأن العلم كالعبادة، وكفاؤه الأجر من الله لا الأجرة من المخلوق، ولكن

التمني تعلق بخيال...»¹ ، فالإبراهيمي بسخطه على الأوضاع آنذاك يحفز- في فكر

عميق دارك لهذه العراقيل والصعوبات- المعلم على التحدي، لأنّه في رسالة تكون

نبوية، وأنّ جزاءه عند الله، وأنّه إذا فكر في مكافئته لغلبه خياله في هذا العطاء، وقد

تحقق الفعل الإلتزامي بطريقة مباشرة على لسان البشير الإبراهيمي الذي يلتزم بحبه

وعطائه للمعلم في قوله: (لو استطعت لأعطيت المعلم جما، ثم لأوسعت العطاء

ذما)، فحقق بذلك غرضه الإنجازي المتمثل في تعظيمه مكانة المعلمين، وتمجيد

قيمتهم، كما تضمن هذا الإلتزام فعلا كلاميا غير مباشر أظهره السياق وهو الوعد

للمعلم بالثواب من الله عز وجل وذلك بدعمه القوة الإنجازية للفعل الوعدي بكلمة

(الأجر).

¹. المرجع نفسه، ص309.

4. التعبيرات (Expressives): «فهي تعبر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت»¹. و ترتبط بالحالة العاطفية للمتكلم وما ينجر عنها من ردود أفعال واقعية تمثل غرضها الإنجازي الذي يتلخص في الإخلاص كشرط أساسي. وسنحاول رصد هذا النوع في خطابات "البشير الإبراهيمي" ومنها:

تعبيره عن حزنه على حال المعلمين الأحرار قوله : « أي أبنائي! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم، ما تنبت منه الحبال وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالككم من الغربة وإلحاح الأزمات ويودّ بقطع وتينه لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهنية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التدليل؟ وهو يشعر أن التدليل تدليل»²، هي أفعال كلامية تعبيرية غير مباشرة أعانت الكاتب على تحقيق الغرض الانجازي المباشر المراد وهو الحزن والرثاء، كما تضمن هذا الأخير فعلا غير مباشر هو إظهار القوة، مدعما قوته الإنجازية باستفهام وظف فيه مفردات تشتمل معنى القوة منها (الجندي، القوة).

وقد تعددت هذه المواقف (الحزن) بتعدد القضايا المطروحة في "عيون البصائر" وقد عبّر "الإبراهيمي" عنها بكل صدق وإخلاص، نضيف منها إظهاره للحزن

¹. التداولية، جورج يول، تر: قصي العتاي، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2010، ص90.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص292.

والتألم من القضية الفلسطينية في قوله: «يا فلسطين! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً داميةً، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير، وفي عنق كل مسلم جزائري- يافلسطين- حق واجب الأداء، وذمام متأكد الرعاية، فإن فرط في جنبك، أو أضاع بعض حقك، فما الذنب ذنبه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته»¹، تحقق الفعل التعبيري ضمن هذه الأقوال الدالة على مدى تألمه من حال فلسطين التي تمثل نقطة ضعف كل مسلم، وهي أفعال كلامية مباشرة وظفها الكاتب لدعم القوة الإنجازية التي يبتغيها وهي الحزن والحسرة، «فانصهرت كلماته مع المشاعر المتدفقة تحت وطأة النكبة وخسارة التفريط في جنب فلسطين، ولكنه تفريط مفروض له أعذاره عند الشعب الجزائري لأنه مكبّل بأغلال الاستعمار»²، فتتضمن الأفعال بدورها قوة إنجازية تكمن في فعل الذم وهو غير مباشر أظهره السياق الذي تضمن مدى دناءة المستعمر التي تجعل منه حائلاً دون ترابط وتماسك الدول العربية بما في ذلك الجزائر وفلسطين.

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص491.

². البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص108.

ونلاحظ في مواطن أخرى تعبيره عن الألم من تخلي العرب عن فلسطين،

فيقول: «يا بخس فلسطين !...أبيعها من لا يملكها ويشتريها من لا يستحقها؟ يا

هوان فلسطين !... أكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات التي لم تخلق

خلقا طبيعيا وإنما خلقتها المنافسات ¹، فقد الشيخ الإبراهيمي كثيرا بالقضية

الفلسطينية لدافعين أساسيين، الأول: أنها قضية دينية، ففلسطين هي أرض النبوات

التي لا إيمان لمن لا يؤمن بها، وهي موطن كثري من الرسل، وهي ثالث أقداس

المسلمين، وهي قبلتهم الأولى، والمستهدف فيها هو الإسلام. أما العامل الثاني: أنها تشبه

القضية الجزائرية، فالهوى يريدون استئصال الفلسطينيين، كما يريد الفرنسيون

استئصال الجزائريين من الجزائر ². وهي أفعال كلامية وظفها الكاتب في ندائه الذي

أفاد فعل كلامي متضمن فيه وهو الحسرة على الحال الذي آلت إليه أرض فلسطين

ولم تجد من يقف إلى جانبها من العرب.

ونورد ضمن التعبيرات (Expressives) كذلك موقفه من رجال الدين في

خطابه الموجّه لهم، والذي علّق فيه عن شهادة الشيخ "ببرك" عليهم، فقال: «أيها

السادة: لقد أقمت عليّ القيامة يوم كتبت فيكم ما كتبت، ولم أصفكم إلا ببعض

ما وصفكم به الشيخ "ببرك"، وثارت ثائرتكم عليّ، ورميتوني بالعظام، وأطلقتكم

العنان لألسنتكم العيبة، وأقلامكم المفلولة، فنضحت بسبيّ، ورشحت بثلي، ولم

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص503.

². آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ص31.

تتركوا سبيلا، للتأليب عليّ، والإغراء بي إلا سلكتموه...فما لكم لا تثورون عليه
 بعض ثورتكم عليّ؟ وما لكم لا تحشدون الأنصار للرد عليه ونقض كلامه؟ ...
 لتعلموا أن قعودكم عن نقض شهادته عليكم، هو آخر الشهادات وأقطعها على أن
 كل ما قاله فيكم حق وواقع، وأنكم جواسيس... وأن الصلاة خلفكم باطلة...¹ ،
 كلّها أفعال كلامية غير مباشرة في قوله: (أقمتم، وثارت ثائرتكم، أطلقتم، فنضحت
 بسبيّ، ورشحت بثلي ...) حققت الغرض الإنجازي الذي يهدف إليه الكاتب وهو
 الاستفهام ، حيث تساءل عن سبب عدم الرد على ما كتبه فيهم الشيخ "ببرك"،
 بالرغم من أنهم ثاروا ضده هو عندما كتب فيهم وشتموه وطالبوا بطرده، وقد تضمن
 السياق فعلا كلاميا غير مباشر يتجلى في الغضب.

ولكي يعبر عن اندهاشه من إدعاء فرنسا نشر العلم في مستعمراتها مع أنها
 في الوقت نفسه تسنّ قانونا يمنع ذلك، يتساءل في خطابه المكتوب إلى رئيس فرنسا:
 «... وإن قانونا يمنع التعليم كيفما كان لونه، ويعاقب المعلم كيفما كان جنسه لهو
 قانون عدو للعلم !! فكيف تسيغه فرنسا (العالمية) وكيف تشرعه فرنسا

(المعلمة)؟»²، كما يبين الإبراهيمي أن هذه القوانين الجائرة ما هي إلا مؤامرة من
 فرنسا تهدف إلى القضاء على حركة التعليم العربي في الجزائر ذلك لأنها تدرك جيدا
 قيمة العلم في الحياة، والغرض الإنجازي غير المباشر الذي تضمّنه الاستفهام هنا

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص212.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي ، ص79.

التعجب من هذه المفارقة التي تعبر عن نفاق الفرنسيين حيال تعاملهم مع قضية تعليم الجزائريين،

أما في تعليقه على من يروج أكذوبة الجزائر الفرنسية في مقال (الشك في الإيجاب نصف السلب)، فقال إبراهيمي: «لو أنّ البحر الأبيض جفّ والتأمت حافّته، حتى أصبحت الجزائر بوضاً من أرباض مرسيليا، لما كان لهذه الكلمة موضع في العقل مادامت تلك الفوارق قائمة»¹، والغرض الإنجازي لهذه الأفعال الكلامية هو التمني، وهو تمني حقيقي لأن تحقيقه مستحيل، فلا البحر يمكن أن يجف، ولا ضفتاه تلتقيان ولا الجزائر ستصبح ضاحية فرنسية، وتبرير ذلك أنّ الصبغة التي أصبغ بها التاريخ الجزائر وموروثها الثابت المثبت لها: العروبة والإسلام، زيادة على فوارق الدين والعرق والتاريخ وهي كلها مسوغات مانعة جامعة وهذا ما لمح إليه الكاتب من خلال كلامه.

كما يتبدى تمنيا آخر تضمنه خطاب إبراهيمي حينما أثنى على مناعة العرب الذين صمدوا أمام ظلم الاحتلال رغم الجراح التي أنهكتهم، قائلا: «يا الله... لما يحمل هذا الجسم المثخن بالجراح من حصانة ومناعة، ولما يكمن فيه من دفاع ومقاومة، هي آثار الخصائص الأصيلة في الجنس العربي، ولولاها لكان في الغابرين، وهي بقايا المزايا السامية في الدين المحمدي، ولولاها لختم به تاريخ طسم وجديس

¹. المرجع نفسه، ص 387.

وعاد الأولى، ولو أن ما حل بهذه الأمة حل أيسره بأمة أخرى – لانعكست فيها نظرية "داروين"¹، وهي أقوال كلامية لاءم معناها طبيعة قوتها الإنجازية فهي تمنيات حقيقية لا يمكن تحققها في الواقع ، فقد زواج البشير الإبراهيمي بين القديم والحديث من مواضيع معارفه ي تلاحم وانسجام، فأنت الفكرة قوية عميقة ثرية مما تحمله من دلالات متعددة المصادر والمناهل، ويمتزج فيها لمحات من التاريخ القديم بالنظريات العلمية الحديثة².

5. التصريحات، (Déclarations): ويطلق عليها الإيقاعيات والإعلانيات كذلك وهي التي تسعى بدورها إلى تغيير الواقع بألفاظها كما تهدف إلى تحقيق أغراض إنجازية صحيحة كألفاظ النكاح، والطلاق، والأحكام الصادرة عن القضاة وغيرها، والشرط الأساس فيها هو المطابقة بين الكلمات والعالم الخارجي أو العكس فباستعمال التصريحات من طرف المتكلم نجد أن العالم يتغير بهذه الأقوال المصريح بها³.

وقد توافرت هذه الأفعال في "عيون البصائر". في مواطن عدة من ذلك قول البشير الإبراهيمي في مقال متعلق بالطلاق: «يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت، وتمزيق أسرة، وتشريد بنين. ويتناقش آخر مع

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي ، ص403.

². ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، محمد محيي الدين، ص185.

³. ينظر: التداولية، جورج يول، ص89.

صهره في زيارة أو استزارة فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق، وتكون النتيجة تقطيع أرحام، وتكوين فتنة. ويتنازع اثنان الحديث في السياسة أو التفضيل بين شخصين أو في الغيم أو الصحو، فتجرى ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة، كأنها لازمة الحديث، وكأن الكثير منهم لم يتزوج إلا ليجعل الزوجة أداة يمين، أو ليصدق الناس حين يحلف لعلمهم أنه متزوج. وكثيرا ما تطلق الزوجة بهذه الإيمان والالتزامات العابثة، وهي لا تعلم من ذلك شيئا ولم تتسبب فيه... ليت شعري أيدي المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمهم؟¹، وهو أسلوب استفهامي يحمل الكثير من المعاني المستترة خلفه ضارب في الصميم، ينطوي على حشد فكري ضخيم يمس القارئ في الأعماق، ويدعوه إلى مراجعة النفس وترتيب معطياتها بما يتوافق مع الفكر السديد، فقد تحقق الفعل التصريحي على لسان "الإبراهيمي" ضمن هذه الأقوال (تمزيق أسرة، تشريد بنين، تقطيع أرحام وتكوين فتنة) بشكل غير مباشر، حيث صرح بعواقب النطق بألفاظ الطلاق التي يعبث بها الناس، فأدى بذلك الغرض الإنجازي والقوة المتضمنة في هذه الملفوظات وهي النهي عنه لأن أبغض الحلال إلى الله هو الطلاق، والتشدد في إيقاعه لما يصحبه من مأس متمثلة في الحقد والبغض والتآلم والتظلم.

ونورد ضمن التصريحات (Déclarations)، تصريح "البشير الإبراهيمي" من خلال

وصفه قرار تقسيم فلسطين، قائلا: «أسفر الانتخاب عن تقسيم فلسطين تحديا

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص331.

للعرب وحقهم، وللمسلمين ودينهم، فكان حظ اليهود منها بغير انتخاب ولا قرعة، الجهات الخصبة، المتصلة بالعالم، القريبة من الصريح، الموطأة الأكفاف، المأمونة الأمداد والمرافق، وكان حظ العرب منها الجهات الرملية القاحلة والجبلية الجرداء، وكان حظ البيت المقدس ميراث النبوة عن النبوة أن يصبح إرثاً لأحفاد الصليبيين»¹، كلها أفعال كلامية منها: (أسفرا الانتخاب عن تقسيم فلسطين، فكان حظ اليهود منها بغير انتخاب ولا قرعة...) تمثل ردا صريحا على الانتخاب الذي أجري من أجل تقسيم فلسطين ونتائجه التي كانت لصالح اليهود، ولقد حققت القوة الإنجازية المتضمنة في القول وهي الحسرة على انقسامها، وعلى بيت المقدس الذي كان من حظ اليهود.

ويصرّح "البشير الإبراهيمي في خطابه الموجه للحكومة عن ما فعلته هذه الأخيرة في التعليم العربي، فيقول: «وقلنا لها: إن هذه الأمة أصبحت منك بمنزلة الهرة التي دخل صاحبها النار بسببها، لأنه لم يطعمها، ولم يدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا أنت علمت الدنيا، ولا أنت سمحت لنا بتعليم الدين»². يشبه الكاتب الأمة الجزائرية بالهرة التي دخلت صاحبها النار، والتي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص497.

². عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص238.

خشاش الأرض»¹، لأنّ حكومة الاحتلال لم تسمح بحرية التعليم الديني، ولا أسهمت في بناء المدارس، فكان حالها كحال صاحبة الهرة، فقد وظف الكاتب أقوالاً غير مباشرة منها (لم يطعمها ، ولم يدعها تأكل) حققت غرضه الإنجازي وهو الوعيد للحكومة بعقاب الله عز وجل ، وهي أقوال تكمن قوتها الإنجازية في التصريح بأن تبعية التعليم للحكومة تقيده، ذلك أنّ قرارات الحكومة في التعليم مبنية على خلفيات فاسدة مما يجعل التعليم فاسد.

¹. ينظر: صحيح البخاري، 3/1205.

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية غير المباشرة

المجازية في عيـون البصـائر

يسعى هذا النوع من الأفعال الإنجازية غير المباشرة إلى بناء واقع معين عن طريق التمثيل القائم على مجموعة من العناصر المجازية منها التشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها. والاستدلال بواسطة التمثيل المجازي يعني: «تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقية عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر»¹، فالاستدلال بالتمثيل المجازي يهدف إلى بَنِيْنَة وقائع معينة الهدف منها هو إقناع المتلقي بقضايا استدلالية أو برهانية.

تطرق الدارسون اللغويون القدامى بعامة والبلاغيون بخاصة إلى ظاهرة التمثيل المجازي وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)، في فصل (في مواقع التمثيل وتأثيره)، إذ يقول: «واعلم أن مما اتَّفَق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته، كساها أُبْهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباغةً وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبةً وشغفاً»². ثم يسترسل في الحديث عن التمثيل حتى يصل إلى دوره في الإقناع؛ أي إذا توافر في الخطاب «كان برهانه أنور

¹. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص225.

². أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني القاهرة، ط1، 1991، ص88.

وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر»¹. فقد وضع الجرجاني في كلامه هذا دور التمثيل في تحقيق الفاعلية الإقناعية لدن المتلقي، وأقر أن التمثيل كلما تخلل الخطاب كلما كان استدلاله أشد وأقوى وإقناعه أعم.

ومن ثمة فإن تحقيق التمثيل المفضي إلى الإقناع يرتبط أساساً بوجود مقوماته التي يقوم عليها في السعي لبَيِّنَةِ الواقع في أي خطاب لغوي، وهي التشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها من الركائز البلاغية باعتبارها أصولاً ضرورية لمحاسن الكلام، لأنها الأساس في البناء البلاغي للنص الأدبي الذي يبحث عن الجودة، كما أنها «أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها في كل جهاتها»². باعتبارها عبارات بيانية تتضمن أفعالاً إنجازية أو غير مباشرة، ذلك أن المتكلم يختار من أساليب البيان ما يتناسب مع قصده، بسبب قصور الحقيقة عن إفهام المراد؛ إفهاماً يناسب المقام فتمس الحاجة إلى استعمال الألفاظ في غير معانيها الوضعية³، أي يلجأ المتكلم إلى التلميح بدلاً من التصريح، فعلم البيان كما عرفه السكاكي (ت626هـ) هو «معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام

¹. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص88.

². المرجع نفسه، ص27.

³. نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، محمد هشام وسعيد نجار، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص63.

لتمام المراد منه¹. وسنتطرق إلى كل واحدة من آليات التمثيل بشيء من التفصيل والتطبيق.

وقبل الحديث عنها مفصلةً يمكن تلخيص مبادئ "سيرل" الخاصة بتأويل هذا النوع من الأفعال غير المباشرة من خلال عرض ما يلي:

رأى "سيرل Searle" أنّ العبارة البيانية تميّزها سمتان أساسيتان هما:

1. أنّها مقيّدة بمعنى أنّ هناك عملية يسمح أمر ما بواسطتها باستدعاء أمر آخر.
2. أنّها نسقية بمعنى أنّها يجب أن تكون قابلة للتبليغ من المتكلم إلى المتلقي استناداً إلى نسق من المبادئ العامة المشتركة².

كما رأى أنّ المتلقي يمرّ عند تأويله للعبارة البيانية البسيطة بثلاث مراحل هي:

أ. يجب أن تتوافر لديه مبادئ تسمح له بأن يقرر ما إذا كان عليه أن يبحث عن تأويل مجازي (استعاري) للفظ.

ب. يجب عليه -بعد ذلك- أن تتوافر لديه مبادئ تعينه على حساب القيم الممكنة لمعنى المتكلم.

ج. يجب أن تتوافر لديه مجموعة من المبادئ التي تمكنه من تحديد مجال معاني المتكلم كي يحدد المعاني التي يقصدها المتكلم حسب احتمالات الجملة.

¹. مفتاح العلوم، السكاكي، ص 249.

². في البراجماتية - الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجّي الصرّاف، ص 145 . 148.

فإذا قال المتكلم مثلاً: زيدٌ خنزيرٌ. فإنَّ المتلقي سيعرف أنَّ هذا الملفوظ لا يمكن أن يكون صادقاً في صورته اللفظية الحرفية المباشرة، وأنَّه إذا تلقَّاه حرفياً فسيكون مختلاً ظاهرياً. وهذا الاختلال خاصية مشتركة بين جل المنطوقات والعبارات البيانية. وقد لخص "سيرل Searle" الاختلالات الظاهرية التي تقود المتكلم إلى التأويل في هذا النوع من الأفعال غير المباشرة، وهي كالتالي:

. معنى اللامعقول.

. خرق قواعد أفعال اللغة.

. خرق القواعد الحوارية.

وقد قرَّر "سيرل Searle" أنَّ المتلقي إذا وجد نفسه أمام عبارة مختلة ظاهرياً، يعتمد على المبدأ الآتي:

- إذا كان القول الملفوظ حرفياً مختلاً يجب أن يبحث عن معنى المتكلم الذي يخالف معنى الجملة.

ويستعين المتلقي في بحثه عن معنى المتكلم المخالف لمعنى الجملة بعدد من المبادئ التي تمكنه من حساب القيم الممكنة لمعنى المتكلم، ومن بينها:

1. كي يعثر على القيم الممكنة لمعنى المتكلم حينما يسمع منطوق الجملة هو معنى

الجملة يبحث عن علة شبه منطوق الجملة بمعنى الجملة، كي يحدد مظهر شبه

منطوق الجملة بمعنى الجملة يبحث عن السمات البارزة والمعروفة بصورة أكبر والمميزة لمنطوق الجملة واستناداً إلى هذه المعرفة يضع سمات مميزة لـ(خنزير) مثل:

(+ سمين + شره + وسخ + عمل...)

إنّ هذه المجموعة من المميّزات غير المحصورة تشكل القيم الممكنة لمعنى المتكلم.

وحتى يتمكن المتلقي من تأويل هذه العبارة البيانية ينتقل إلى مرحلة أخرى يحصر فيها حقل (معاني المتكلم الممكنة) مستعيناً بعدد من المبادئ التي تمكنه من حصرها، من بينها المبدأ الآتي الذي يرى "سيرل" أنّه أكثر تداولاً، وهو:

2. يعود المتلقي إلى الجملة ويبحث بين السمات المتعددة المرشحة التي قد تتضمن قيمة معنى المتكلم، تلك التي تشكل السمات المحتملة أو الممكنة لـ(منطوق الجملة).

فإذا قال المتكلم مثلاً:

- سيّارة زيد خنزيرة.

فإنّ المتلقي لن يؤوّل هذه العبارة بما أوّل به:

- زيد خنزير.

لأنّه سيفترض عند استماعه إلى القول أنّ المتكلم يقصد أنّ سيّارة زيد (تستهلك البنزين) كما (تستهلك الخنازير المواد الغذائية)، أو أنّ سيارة زيد (شكل خنزير).

وقد ذهب "سيرل Searle" إلى أنّ الفرق بين نظرة المشابهة- التي تحاول تفسير

العبارة باعتبارها علاقة بين دلالات الكلمات- ونظرية التفاعل- التي ترى أنّ هذه

العبارات تمثل علاقة بين المعاني أو الاعتقادات المرتبطة بدلالات الكلمات لا بين

دلالات الكلمات نفسها- يكمن في أنّ نظرية المشابهة تحاول الإجابة عن سؤال المرحلة

الثانية، وهو: كيف يمكن حساب القيم الممكنة لمعنى المتكلم؟ وأنّ نظرية التفاعل

تحاول الإجابة عن سؤال المرحلة الثالثة، وهو: إذا علمنا بوجود مجال للقيم الممكنة

لمعنى المتكلم، فكيف نحدّد العلاقة بين الجملة ومعناها الحرفي؟

وذهب "سيرل Searle" أيضا أنّ نظرية التفاعل قد تتمكن من الإجابة عن

سؤال المرحلة الثانية، إذا برهنت على أنّه توجد قيمتان لمعنى المتكلم قابلتان للتمييز

عند وجود الجملة ومعناها الحرفي، ولكنهما لا تكونان قابلتين للتمييز في الحالة التي لا

يوجد فيها إلا المعنى الحرفي المباشر، إذ ينبغي البرهنة على أنّ الجملة لا تحصر مجال

معاني القول، بل تدع بالفعل معاني جديدة للمتكلم.

ويمكن إيجاز رأي "سيرل Searle" في المبادئ التي تسمح بحساب معاني المتكلم

في العبارة البيانية انطلاقا من معنى الجملة في المبادئ الثمانية التالية:

1. قد يكون معنى الجملة هو معنى المتكلم بالتعريف؛ أي أنّ معنى المتكلم في العبارة

البيانية سيكون إحدى السمات التعريفية البارزة لمعنى الجملة:

- زيد عملاق.

فإنّ معنى المتكلم سيكون: زيد كبير؛ لأنّ العمالة (كبار) بالتعريف، إذ هذه سمتهم البارزة المتميّزة.

2. قد يكون معنى الجملة مصادفة هو معنى المتكلم؛ أي أنّ سمة معنى المتكلم في العبارة البيانية ينبغي أن تكون سمة بارزة أو معروفة في مكونات معنى الجملة. فإذا قلنا مثلاً:

- زيد فيل.

فإنّ معنى المتكلم سيكون: زيد (مملّ وشره ومهمل.....)

ومعنى هذا أنّ المبدأين الأول والثاني السابقين يعلقان العبارات البيانية بالمشابهة الحرفية:

- زيد يشبه عملاقاً.

- زيد يشبه فيلاً.

3. يكون معنى الجملة اعتقاداً هو معنى المتكلم، حتى وإن علم المتكلم والمتلقي أنّ معنى المتكلم كاذب بالقياس إلى معنى الجملة، فقولنا مثلاً:

- زيد دبّ سيّ التربية.

يمكن أن يستعمل للدلالة على معنى: زيد إنسان قبيح غير مألوف.

حتى وإن علم المتكلم والمتلقي أنّ الدّببة (حيوانات أليفة)، ذلك أنّ الروايات المتواترة عن الدّببة خلقت تداعيات تسمح بحصول الاستعارة حتى ولو كان المتكلم والمتلقي يعلمان أنّ اعتقادهما مخطئ.

4. لا يكون معنى الجملة هو معنى المتكلم، ولا شبيهاً بمعنى المتكلم، ولا مأخوذاً بمعنى باعتباره معنى المتكلم. ولكننا قد نعثر على نسبة بينهما استناداً إلى حسّن الثّقافي أو الطبيعي، فجمل مثل:

- زينب ثلج.

- خديجة حلوة.

جمل يمكن أن تستعمل للدلالة على المعاني الآتية:

- زينب عديمة الإحساس.

- خديجة لطيفة وطيبة...

حتى وإن لم تكن العلاقة الاستعارية مبنية على مشابهة حرفية؛ لأنّ التداعيات تميل إلى احترام النّسب، فدرجة الحرارة مثلاً تتداعى مع مجموعة من العواطف.

5. قد لا يكون معنى الجملة شبيهاً بمعنى المتكلم. ولكنّ الحالة التي يوجد فيها معنى الجملة تكون شبيهة بالحالة التي يوجد فيها معنى المتكلم. فقد أقول لشخص حصل على ترقية مثلاً:

. لقد أصبحت برجوازيًا.

قاصداً بذلك أنّ حالته الجديدة تشبه حالة البرجوازيين، لا أنّه أصبح هو نفسه شبيهاً ببرجوازي.

6. هناك حالات يكون فيها معنى الجملة مطابقاً لمعنى المتكلم أو شبيهاً به. لكنّ أحدهما وهو معنى الجملة عموماً يكون ذا تطبيق مقيد، بحيث لا يمكن تطبيقه حرفياً على الجملة. فكلمة (غامقاً) نستعملها حرفياً للدلالة على لون الثوب، ولكن يمكن أن تقول استعارة:

. هذه المرأة غامقة.

. هذا المجلس غامق.

. روح زيد غامقة.

7. رأى "سيرل Searle" أنّ هذا المبدأ ليس مبدأً خاصاً، ولكنه أسلوب لتطبيق المبادئ الستة السابقة على الجمل البسيطة التي ليست من صنف (منطوق الجملة هو معنى الجملة) بل عبارات بيانية علاقية أو منتمية إلى صور تركيبية، كالجمل التي يكون فيها المسند فعلاً أو صفة. وكمثال لذلك العبارة الآتية:

. السفينة تشقّ البحر.

في هذا المثال لا ينتقل المتلقي من معنى الجملة إلى معنى المتكلم، بل ينتقل من الجملة في علاقتها بمعناها إلى الجملة في علاقتها بمعنى المتكلم، فكلمة (تشقّ) في المثال تستلزم- تحديداً - النشاط الذي يتجلّى في نقل مادة مدبّبة إلى الأمام. أي أنّ دور المتلقي سينحصر في اكتشاف العلاقة التي تشبه العلاقة المعبر عنها حرفياً في العبارة البيانية، أو تكون مستدعية لها بواسطة أيّ رابط آخر، وتقوم مبادئ التأويل هنا بانتقاء هذه العلاقة أو السّمة عن طريق تعيين المظهر الذي يمكن أن تتشابه فيه العلاقتان: معنى الجملة ومعنى المتكلم بأيّة صورة من الصور (السفينة تشقّ البحر كما يشقّ المنشار الخشب).

8. هناك نوع آخر من العبارات البيانية أورده "سيرل Searle" يتداعى فيه معنى الجملة ومعنى المتكلم بواسطة علاقات معيّنة كالعلاقة الجزئية والكلية والحالية والمحلية. أي أنّ المحتوى الدلالي لمعنى الجملة يستحضر المحتوى الدلالي لمعنى المتكلم استناداً إلى مبدأ تداع محدّد.

وقد مثّل "سيرل Searle" لذلك بإمكان الإحالة على ملك بريطانيا بكلمة (التاج)، وعلى السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة الأمريكية (البيت الأبيض) عن طريق استغلال مبادئ التداعي النّقية.

وظّف الشيخ البشير الإبراهيمي صوراً بيانيةً متعددةً بهدف تحقيق أغراض إنجازية بصورة غير مباشرة، فالتصوير عنده سمة بارزة في آثاره تنبئ عن قوة مخيلته

وسحر اللغة على لسانه، وقد تحقق ذلك في قوالب بلاغية متعددة منها التشبيه والاستعارة والكناية وكلها قوالب تحمل معها الأصالة والإبداع والإيجاد، فتزد أحياناً مثقلة بالواقع والجدية، خاصة عندما يقف عند القضايا الحساسة المتعلقة بالاستعمار والدين واللغة، وأحياناً يرتقي التصوير سلم الخيال المحض فيرد لغاية الجمال.

وسنورد فيما يأتي من الدراسة نماذج لمختلف القوالب البيانية التي ضمّنها إبراهيمي تصويره الفكري، بما تقتضيه طبعة البحث مركزين على دوره في إيصال المعنى وتشخيص الصورة لدى المتلقي متمثلة في أقوال كلامية غير مباشرة دون التعمق في التقسيمات والتفريعات البلاغية.

1. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على التشبيه:

يتمحور م عنى التشبيه في اللغة حول التمثيل¹. وهو من المقومات المجازية الأكثر استعمالاً في الخطابات اللغوية، وأقرب إلى خيال الإنسان ، وأدنى إلى إدراكه وتصوره وهو من أكثر صور البيان تداولاً وتوظيفاً²، كما يعد الاستدلال بالتشبيه هو طريقة « إثبات الشيء بآخر، وهو ما يأخذ ظاهر الاستدلال، دون أن يحمل دائماً

¹. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله الكبير وزملاؤه، القاهرة، مج4، ج25، ع3، ص2189. (مادة ش ب ه).

². ينظر: النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن ، صلاح الدين محمد عبد التواب، ص72.

المعاني الدقيقة للكلمة في المنطق الطبيعي أو الرياضي»¹. فالتشبيه إذن يسعى إلى بناء الواقع عن طريق الربط بين القضايا المتباينات في الجنس.

وقد ذكر "أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني" (ت 384هـ) أنّ: «التشبيه هو العقد على أنّ أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسّ أو عقلٍ. ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس... فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بينا فهيمًا»²، فالرّماني يرى أن بلاغة التشبيه تكمن في الرابط السببي الذي يحقق القرينة بين المشبه والمشبه به. وهو عين ما ذهب إليه "ابن رشيق" (ت 456هـ) كذلك في حده: «التشبيه: وصفُ الشيء بما قاربهُ وشاكلهُ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان أياه»³. فالتشبيه عند "ابن رشيق" يتحقق ما لم تكن فيه مطابقة كلية بين المشبه والمشبه به، بل تكون المطابقة في بعض الأجزاء أو الصفات.

وقد ذكر "ابن حزم الأندلسي" (ت 456هـ) التشبيه في قوله: «قال علي: التشبيه بين الأشياء المشتبهة حق مشاهد، فإذا شبه الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم شيئاً بشيءٍ فهو صدق وحق وتنبيه على قدرة عظيمة ؛ لأنه ليس في العالم شيئان إلا وهما مشتبهان. من وجه ما، وغير مشتبهين من وجه آخر، وقد قال تعالى: ﴿

¹ L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux -p25.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرّماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (رسالة النكت في إعجاز القرآن للرّماني) مصر-دار المعارف-ط3-1976-ص80 و81.

³ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، لبنان-دار الجيل، ط5، 1981، ص174.

ق ق ق ق ج ج ج ج¹، فهذا الذي قلنا هو ارتفاع التفاوت لأن التماثل هو حد التفاوت، وإذا بطل التفاوت صح التماثل². فابن رشيق القيرواني في مفهومه للتشبيه ربطه بالاشتراك الجزئي في خاصية معينة بين شيئين وهذا الاشتراك يقوم على التفاوت المتدرج.

ومن ثمة إذا كان التشبيه هو «الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما أو بواسطة الكاف»³، فهو يستعمل للمقارنة بين الأشياء وأشباهها، وأركان التشبيه هي: «المشبه، المشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه»⁴.

يعد التشبيه من المنظور التداولي آلية من الآليات اللغوية التي يستخدمها المرسل للتلميح إلى قصده، إذ يتسنى من خلالها انتقال الكلام من ظاهره إلى معانيه المستلزمة، شريطة ألا يصح بوجه الشبه، وإلا فإن التلميح ينتفي، ويصبح معنى الجملة مطابقاً للمقصود⁵، فلو قلنا: (أحمد كالأسد) فقد استخدمنا التشبيه لإنجاز فعل إنجازي غير مباشر يدل على مدح أحمد من خلال تشبيه شجاعته بشجاعة الأسد، ويختار المرسل آلية التشبيه عبر عدة سبل استدلالية، وهي «معرفة السمات الدلالية لكل مفردة في معجمه الذهني، فمقابلة كل منهما بالأخرى، فإسقاط جميع

¹ . سورة الملك ، الآية 3.

² . الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ج 4، ص 468.

³ . فنون بلاغية، أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1، 1975، ص 33.

⁴ . البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2002، ص 20.

⁵ . استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 410.

السمات؛ ذلك أنّ علاقة المشابهة والمماثلة تفترض أن يكون هناك شيئان: أصل وفرع، ولضبط العلاقة بينهما يحلّل الأصل إلى مكوناته أو مقوماته أو صفاته الذاتية والعرضية فيختار بعضاً منها لإسقاطه على الفرع، على أنّ ما يسقط يجب أن يكون جامعاً متفقاً عليه بأنه وصفٌ منضبطٌ، وهذا ما يصنعه المرسل في كفاءته التداولية بعملية ذهنية سريعة جداً؛ إذ يستحضر سمات المشبه أولاً ثم يختار السمة الإضافية، أي الأكثر وروداً وتميّزاً في سياق معيّن¹. فلو قمنا بعملية إسقاط لذلك على المثال السابق لوجدنا أن مجموع السمات الدلالية للمشبه تتلخص في كون أحمد (إنسان، ذكر، بالغ، حي)، وهي سمات عامة يشترك فيها مع غيره، أما السمة الإضافية فهي الشجاعة وهي سمة عرضية بارزة.

والتصوير بالتشبيه من الوسائل البلاغية التي استعان بها الأدباء في رسم الصورة الفنية لمحو الغموض وكشف الخفي وإجلاء المعاني وإنارة العمل الأدبي، وإبراز الغامض بالظاهر الشبيه له من الواقع الحسي². ومن ثمة فهو ذو بعد تفاعلي تداولي.

يعدّ البشير الإبراهيمي من أبرز الأدباء الذين استوعبوا قيمة التشبيه في تقريب الرؤية الفكرية للمتلقّي، فما كادت تخلو من نصوصه وخاصة وأنه مصلح يهدف إلى إيصال الحقائق للقارئ بشتى الطرق، لذلك أشاع قلمه ولسانه التصوير

¹. المرجع نفسه، ص 410-409.

². الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، إعداد: لبنى دلندة، إشراف: محمد منصوري، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2015. 2016، ص 295.

بالتشبيه في فنون نثره الأدبي لإيضاح معانيه وإضفاء قوة إنجازية تعبيرية في كتاباته الإصلاحية التي لها تأثيرها الخاص على مشاعروعواطف المتلقي.

وقد وُظِفَ التشبيه بشكل لافت في "عيون البصائر" لما له من أثر في تحريك المشاعر والنفوس، ودفعٍ لإمعان العقل والتدبّر. بأنواعه وأغراضه المتعددة، إذ استخدمه "البشير الإبراهيمي" للتعبير عن أفعالٍ إنجازيةٍ غير مباشرة، منها استعماله في قوله: « جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت »¹، إنّه تصوّرٌ بارعٌ يجسّد «عبقريّة النص في خطاب الإبراهيمي من خلال الإبداع البياني »²، فقد شبّه " الإبراهيمي " الاستعمار بالمرض الدّخيل الوارد، الذي يحمل فيروسات قاتلة تؤدي بحياة الأشخاص إلى الممات، فحقّق بذلك فعلاً كلاميًّا غير مباشر، عوض أن يصفه بصفة مباشرة وهي قتل الجزائريين، وهو تشبيه مفصل يحتوي على كل أركانه من مشبّه (الاستعمار)، ومشبّه به (المرض)، أداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه (القتل أو الموت)، الغرض الإنجازي منه هو ذم الاستعمار وتبيان مساوئه، إضافة إلى الدعوة إلى الحذر منه، ومن نتائجه الوحيدة والسلبية على الأمة الجزائرية التي لا يرجى من ورائها إلا الفتك والدمار.

وفي السياق نفسه نذكر له تشبيهاً آخر ورد في خطابه الموجه للشعب الجزائري، حيث يقول: «والاستعمار سلّ يحارب أسباب المناعة في الجسم

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص21.

². آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي ج3، ص11.

الصحيح»¹، فما أبلغ الإبراهيمي وهو يوظف الأساليب العلمية والعقلية في إعطاء حكمه على الاستعمار بلغة العلم²، وهو تشبيه مؤكّد حُذِفَ منه أداة التشبيه، شبه فيه الكاتب الاستعمار الذي يمارس طرق التضليل والتغفيل بمرض السل الذي ينقص مناعة الجسم المصاب به، فالطب الإستعماري لم يقض على المرض، وإنما قضى على الصحة، ذلك أنّه كلما تفاقمت مسببات التضليل كلما كانت السيطرة على الأمة أسهل، فقد عبر الكاتب عن الغرض الإنجازي باستخدامه هذا التشبيه وهو فعل إنجازي غير مباشر تمثل في التنفير أو النفور الذي لا يمكن تحقيقه بتعبير مباشر.

وفي مقام آخر وهو يخاطب الرئيس الفرنسي استعمل "البشير الإبراهيمي" تشبيهاً لا يكلف المتلقي عناءً في فهمه، كقوله: «يسوء الحقيقة والواقع أن تزوروا الجزائر هذه الزيارة التقليدية التي تقابل بالمظاهر المصطنعة، والخطب المصنوعة، وأن تحاطوا بالموكب الرسمية التي تحجب عنكم الحقائق كما يحجب الضباب نور الشمس»³. وهنا تجسد تشبيهه مراسلاً مفصلاً بسيطاً يفهمه المتلقي بمجرد سماعه، شمل جميع أركانه حيث شبه التستر عن الحقائق الواقعية الموجودة في المجتمع بالضباب الذي يحجب نور الشمس بذكره أداة التشبيه (كأن)، كما عبّر عن خلاله

¹ - عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص22.

² . ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي ج3، ص15.

³ . عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص77.

عن غرضه الإنجازي المبتغى؛ وهو بيان حال المواكب الرسمية التي لا تظهر حقيقة ما يكنه الشعب الجزائري للرئيس الفرنسي و أتباعه وتتعمد إخفاءها .

أما في تعليقه على خطبة "مارسال نيجلان" فنجد أنه يؤكد «إن الاستعمار القائم

على الجندي والمعلم والطبيب والراهب هيكل حيواني يمشي على أربع... وإن الاستعمار قد قضى بواسطة هؤلاء على عشرة ملايين من البشر»¹. فالكاتب يشبه

الاستعمار بالحيوان مهما بلغ من مراتب التقدم والرقى والتحضّر وهو تشبيه مؤكد

مفصل، حذف فيه أداة التشبيه وذكر فيه وجه الشبه (المشي على أربع)، وقد

تضمن التشبيه هنا فعلا كلاميا غير مباشر وهو السخرية من خلال الصورة التي

رسمها عن الاستعمار، وهي سلاح معنوي قاتل، استخدمه الكاتب لفضح الأعداء،

والحط من قيمتهم والاستنقاص من هيبتهم، وهي «تهكم معنوي شديد اللدغ، ثقيل

الوطء، عنيف الوقع»²، ويظهر وجه السخرية في استثماره للجانب العلمي لتجسيد

حقيقة الدخيل وأعدائه، فالاستعمار هو مادة يتم بها تلقيح وتعقيم الرهبان والمعلمين

والأطباء والجنود، فيفقدون خصائصهم الأصلية، ويكتسبون خصائص مخافة

لطبائهم التي جبلوا عليها، والنتيجة كما يرى إبراهيمي أن الجزائر حوربت هؤلاء

جميعا، فالاستعمار باعتماده على هؤلاء الأربعة (الجندي، الطبيب، الراهب، والمعلم)

لا يعدو أن يكون مجرد حيوان يمشي على أربعة، وهي صورة بيانية وظفها الكاتب

¹. عيون البصائر، البشير إبراهيمي، ص85.

². فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،

1983، ص384.

يهدف إقناع والذي بدوره يحدث الانفعال النفسي للمتلقى، فعمد على إضفاء عنصر الإمتاع الذي هو غرض من أغراض التشبيه ، ذلك أن البيان مهمته التأثير بفنون التعبير، فيتعدى مرحلة الإفهام وبعبر إلى التأثير والإمتاع حتى يصل إلى الإقناع¹.

كما يتبدى في سياق آخر أن "الإبراهيمي" ينتقد بعض السياسيين الانتهازيين الذين كانوا يعارضون جمعية العلماء من أجل إرضاء فرنسا خدمة لأغراضهم ومصالحهم الشخصية، وأنّ عملهم الدنيء واللامسؤول هذا لا طائل من ورائه: «نقول لهم على اختلاف نزعاتهم من أفراد وجماعة: إنّ السّياسة لباب وقشور، وإنّ حظّ الكثير منكم- مع الأسف والمعذرة- القشور دون اللّباب»². وفي هذا المقام تشبيه بليغ وهو «التشبيه الذي تحذف أدواته ووجه الشبه فيه»³، فحذفت أدواته ووجه الشبه وذكر المشبّه (السياسة) والمشبّه به (اللّباب والقشور - الثمرة) في مستوى واحد وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه، وقد قصد الكاتب باللّباب منفعة الوطن، أما القشور خسارته، بغية توعية هؤلاء السياسيين، محققا بهذا التشبيه غرضه الإنجازي غير الصريح وهو التنفير والحذر من المشبّه؛ أي من السّياسة التي لا فائدة منها في ظل وجود الاستعمار.

¹. ينظر: الاتصال اللساني وآلياته التداولية، سامية بن يامنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص186.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص44.

³. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986، ج2، ص180.

وفي مواطن أخرى نجده يستعمل التشبيه لغرض الترغيب في المشبه بصفة غير

مباشرة، فيقول: « لا يعذلكم في حب وطنكم إلا ظالمٌ، ولا يصرفكم عن اتقان

وسائل النفع له إلا أظلم منه، أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غدا

جنود العمل»¹، وهو تشبيه بليغ حذف فيه الأداة ووجه الشبه، حيث شبه طلبة

العلم في مكافحتهم للأمية بسلاح العلم بالجنود في الدفاع عن الوطن، فيعظم بذلك

مكانتهم ويمجد قيمتهم، ويشيد بدورهم الكبير في المجتمع وهنا غرضه الإنجازي هو

التحفيز الذي يهدف إلى تحمل المسؤوليات الجسام لحماية الوطن وصيانتها.

أما في حديثه عن الانتخابات التي تعدّ واجبا يختار فيه المواطن ممثله بكل

حرية ومسؤولية ووعي نجده يوجهنا إلى مفهوم آخر أعطاه لها الاستعمار، حيث قال:

«وكل ما قلناه عن الانتخابات فهو قاعدة، فإن شذّ عنها شيء فهو (تعويذة) يدفع

بها النقد، وستارتغطى به الحقيقة»². وههنا تشبيهان في الأول شبه الانتخاب

بالتعويذة لدفع الأذى والمكاره، وفي الثاني شبه فيه الانتخاب بالسّتار الذي يخفي

الحقائق، حقق بهما غرضه الإنجازي، وفي ذلك تمويه عن عملهم المجد وهما تشبيهان

مؤكّدان مفصّلان حذف فيهما أداة التشبيه ووجه الشبه، عبّر بهما "الإبراهيمي" عن

قوة إنجازية غير صريحة وهي كشف العمل الإداري السري الفرنسي الدسيس، وذلك

من خلال الوصف (وصف المشبه) الذي يعدّ من أغراض التشبيه.

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص219.

²- المرجع نفسه، ص126.

وفي مقام آخر عندما خاطب "الإبراهيمي" الأمة يبلغها عن عواقب سكوت علماء الدين عن الضلال في الدين، واستشهاده بحكم بني أمية عندما أراد معاوية استخلاف ابنه يزيد، وكيف تمّ ذلك، قال: «بايع معاوية لابنه يزيد، وحمل الأمة على البيعة له بالترغيب والترهيب والمطاوله، فتم له ذلك، ولكنه كان يرى تلك البيعة كاللغو، ما لم يبايع العبادلة والحسن، لمكانتهم في العلم ومكانتهم من الأمة»¹. حيث شبّه الكاتب بيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان من قبل الأمة باللغو ما لم يبايعه العلماء والأشراف وأهل البصيرة والعقل الراجح، واللغو في اللغة هو ما لا يعتد به من الكلام؛ والمثل يقول: «إسمع لغواهم ولا تخف طغواهم»²، حيث جاء الكاتب بهذا الشاهد لتبيان مكانة خلفاء علماء الدين ووظيفتهم الحقيقية المتمثلة في تنفيذ مصالح العلماء، وهو تشبيه مرسل مجمل ذكر فيه الكاتب أداة التشبيه وحذف وجه الشبه عبّر عن خلاله عن غرضه الإنجازي غير الصريح المتمثل في إقناع الناس بأنّها باطلة في مضمونها، ولا يعتد بها رغم تحقيقها في أرض الواقع.

ويورد "الإبراهيمي" أحيانا أخرى تشبيهات تتطلب من المستمع جهداً على قدر معلوم من الوعي حتى يفهمها ويدركها، منها قوله: «الاستعمار عمل أوله ختل، وآخره قتل، وشر لا بقاء عليه، ثم لا بقاء له، ووحش مروّض آخر صرعاه رائضه...»³. فهي

¹ عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 342.

² الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، دط، دت،

ج 10، ص 14.

³ عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 416.

تشبيهات بليغة حذفت أداة التشبيه فيها، ولم يذكر الكاتب فيها وجه الشبه، إذ شبه الاستعمار الفرنسي الغاشم بالعمل الذي في أوله خداع وفي نهايته قتل، ويبقى في المجرد ثم يشبهه بالشر الذي يقضي على كل شيء ويزول لا محالة، ثم المحسوس إذ شبهه بالوحش المدرب الذي يفترس كل شيء أمامه حتى صاحبه وهو مدرك عقلي، فالتشبيه عند إبراهيمي مرآة عاكسة للأمور الحسية التي تقف عند التشابه الحسي بين الأشياء من مرئيات، وبين المعنويات من مجردات، وهي في كل ذلك ترتبط بانفعالاته النفسية وحالاته الشعورية، فتفاعل وفق الواقع المحسوس بأبعاده، وتتعامل مع الجوانب التجريدية والفكرية، ومع الإحساس النفسي الداخلي فتتنوع بحسب المواقف الانفعالية¹، كلها تشبيهات عبّرها الكاتب عن قوة إنجازية متضمنة في الخطاب وهي كما تدين تدان؛ أي كما فعلت يُفعل بك عاجلاً أم آجلاً، فأعمالك سترد عليك، إذ أنّ الجزاء هو من جنس العمل، وهذا دليل على عدل الله سبحانه وتعالى ورحمته على الأرض، فمن عمل خيراً سيلاقي الخير، ومن عمل شراً، فسيلاقي الشر.

ويبقى الفعل الكلامي القائم على التشبيه من أكثر العبارات البيانية تداولاً وروداً في مجمل الخطابات اللغوية بعامة وفي عيون البصائر بخاصة، حيث بلغ استخدام التشبيه عند إبراهيمي مبلغه من التصوير الفني البليغ، فأجاد فيه إلى

¹. ينظر: جماليات الأسلوب، فايز الداية، مطبوعات جامعة حلب، 1982، ص73.

حد البراعة خدمةً لبيانه الساحر، وتطويعاً للغته القوية، واستعماله ينبئ بقوته الإنجازية في تحقيق التأثير في المتلقي واستمالته أو تغيير مواقفه العاطفية.

2. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على الاستعارة:

إذا كانت دلالة الاستعارة في اللغة تدور حول رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر. فإنها تتبوأ مكانة بالغة الأهمية في حقل الدراسات البلاغية وكذا اللسانية التداولية.

اهتم علماء البلاغة بعامة والبيان بخاصة بالاستعارة كمقومٍ من مقومات علم البيان، ومن الذين اهتموا بذلك درساً وتنظيراً الإمام "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471 هـ)، الذي حدّثها بقوله: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية»¹. فالجرجاني أشار إلى انبناء الاستعارة على مفهوم النقل المجازي باعتبار وجود القرينة المشتركة بين المستعار منه والمستعار له سواء كانت لفظية أو معنوية، لكنه نقل يعتمد على الشبه، مما يجعله يختلف عن سائر أنواع المجاز.

أما "الشريف الجرجاني" (ت 816 هـ) فقد ركّز على المعنى المجازي الذي تحمله الاستعارة وحدها على أنّها: «ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع

¹. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد الفاضلي، لبنان، المكتبة العصرية، ط3، 2001، ص27.

طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: "لقيت أسداً"، وأنت تعني به الرجل الشجاع»¹؛ أي أنها لفظ استخدم في غير معناه الحقيقي لمعنى آخر مجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

فاستعمال الاستعارة كاستدلال في الخطابات اللغوية يحمل المتلقي على الإذعان أو تغيير مواقفه العاطفية على الأقل، وتجعله يمعن عقله في تأويلها، وإدراك حقيقتها. وهنا تكمن قوتها الإنجازية.

أما في حقل الدراسات اللسانية التداولية فإن الاستعارة تضطلع بدور إقناعي قائم على قوتها الإنجازية التي تحملها والقوة المتضمنة فيها، ويرجع الفضل في إخراج الاستعارة من حقل البلاغة التقليدية التي اهتمت بها درساً وتمحيصاً، إلى "بيرلمان Perelman" الذي أُلْمِها طاقةً حجاجيةً في مجال الدراسات المتعلقة بالبلاغة الجديدة، إذ «طهر البلاغة الحجاجية من البلاغة المحسناتية...ولهذا فقد احتلت الاستعارة مكاناً إلى جانب التشبيه أو المقارنة ضمن الجنس الثالث من أجناس المقومات الحجاجية. هذه واحدة من إضافات بيرلمان: إبطال مفعول بلاغة المحسنات وإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج»². فالباحث يعتبر المقارنة

والتشبيه والاستعارة حُجَجاً تسهم في بلاغة الخطاب، وتهدف إلى إقناع المتلقي بما يعرض عليه من أطروحات، كما تشخص أكثر الالتباس القائم بين التشبيه

¹. معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيحة، مصر، دط، دت، ص20.

². الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص457.

والاستعارة، كما أن دراسة الاستعارة من منظور تداولي يثري هذه الدراسة بما يقدم من أبعاد تتجاوز حدود النظرة الضيقة التي تكتفي بالتركيز على العلاقة بين المستعار والمستعار له، بل تبحث في كيفية تحقق عملية الفهم والتأويل، بوصف الاستعارة وسيلة لغوية تواصلية.

أما في إطار نظرية الأفعال الكلامية فهي تضطلع بدور إنجازي ، كما تجسد مثلاً جوهرياً لاستعمال اللغة الأمر الذي أكدّه علي محمود حجي الصراف في قوله: «إذ يدرك بها عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة الحرفية للملفوظ، وهو المعنى الأساسي غير المباشر الذي سعى المتكلم لإيصاله، ومن ثم تكون الاستعارة وسيلة رئيسة ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة»¹، حيث تأتي فكرة التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى التداولي، بمثابة الفكرة الأم، التي تجمع بين القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق رؤية تداولية، ومن هنا جاءت معالجة "سيرل Searle" للاستعارة من خلال عرضه للمميّز التداولي بين المعنى النحوي للجملة والمعنى التداولي، الذي يتخذ قصد المتكلم أساساً له². فهي تعبّر بطريقة ملتوية وغير مباشرة، بغرض الحفاظ على جمال النص، وعمق الفكرة، حيث تتطلب في ذلك خيالاً واسعاً قوياً يجمع بين السياق وما يحيط به من عوامل طبيعية وثقافية واجتماعية وغيرها من الروابط المتنوعة، ومن جهة أخرى تفادي التّفوه بكلمات تنافي القيم الاجتماعية،

¹. في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف، ص150.

². التداولية: البعد الثالث في سيميوطيقا مورس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، مكتبة بلنسية، مصر، ط1، 2009، ص365.

فالاستعارة قادرة على تغيير مشاعر المتلقي ونظراته تجاه حقيقة ما، فتوصله إلى رؤية خبايا كانت مخفية عن أنظاره، فتتجلى وتتضح في عينه، فإما يعجب بما كان شنيعا في عينه، أو يمل مما كان جميلا أمامه، وهنا تنتقل من الطرح التقليدي الذي يعتبرها من صور البيان إلى التصور النظرياتي للفعل الكلامي القائم على الإنجاز.

تتأسس الاستعارة بدورها على أركانٍ ثلاث وهي: «مستعار وهو اللفظ، ومستعار منه وهو المشبه به، ومستعار له وهو المشبه»¹، والعلاقة بين المستعار منه والمستعار له تقوم على وجود رابط سببي- قرينة لفظية أو معنوية - بينهما لكي يتحقق النقل الاستعاري بينهما في الخطابات اللغوية.

وقد وردت أمثلة متعددة عن الاستعارة بجميع أنواعها وتنوع أغراضها في "عيون البصائر"، ذلك أن البشير الإبراهيمي عني بالتصوير الاستعاري البليغ في مختلف صوره عنايةً كبيرةً، وبرع في ذلك لما يمتلكه من سحر البيان، فلا يكاد مقال من مقالاته أو خطاب من خطابه أن يخلو من هذا التصوير الذي يسعى من خلاله توضيح الرؤية وتوصيل الفكرة وتعميق المعنى، فجاء حاملا لجماليته، وحسن ذوقه، وقوة تعبيره، عبّر بها "الإبراهيمي" عن أفعالٍ إنجازيةٍ غير مباشرة، منها:

ما ورد في حديثه عن واقع الانتخابات في الجزائر على زمانه، يقول: « فإنّ

الديمقراطية عند الأمم التي تنتحلها وتزعمها لنفسها – تتجلى في عدّة مجالي أرفعها الانتخاب... أما في الجزائر فالانتخابات – منذ سنّت لعبة لاعب، وسخرية

¹ علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص 259.

ساخر، ورهينة استبداد، ولدت شوهاء ناقصة، ومازالت متراجعة ناكصة...
وسنّت للانتخابات الجزائرية دستورا عنوانه "الحيف والسيف" ¹. إذ شبّه الكاتب
الانتخابات بالمولود الناقص وغير المكتمل عند الولادة؛ حيث حذف المشبّه به وأبقى
على لازمة دالة عليه وهي الفعل (ولدت) وهي استعارة مكنية ، وظّفها الكاتب للتعبير
عن معان كثيرة بألفاظ قليلة وبصورة غير مباشرة، ففي قوله: «ولدت شوهاء
ناقصة»، عبارة قصيرة تتضمن قوة إنجازية تتمثل في الكثير من المعاني الخفية على
المتلقي من بينها:

. التنظيم العشوائي دون سابق إنذار كالولادة الطبيعية التي تأتي فجأة في قوله:
(ولدت).

. المفارقة التي تحملها مناسبة الاستحقاق الانتخابي، فعوض أن تكون فرصة سعيدة
للتغيير، نجدها مناسبة لتكريس النظام السائد في قوله: (ولدت شوهاء).
. التزوير الذي لا يمثّل رغبة الشعب الحقيقية، فالنوّاب الممثلون للشعب مزيفون في
قوله: (شوهاء).

. نتائج الانتخاب هي برلمان أوهيئة سياسية فارغة، لا فائدة منها بسبب عجزها
وفقدانها الصلاحيات في قوله: (ناقصة).

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص382.

فقد حقق الكاتب غرضه الإنجازي غير المباشر المتمثل في الكشف عن معنى الانتخاب في الجزائر والتي عنوانها الحيف والسيف في ظل الديمقراطية، والذي يختلف عن معناه عند الأمم الأخرى، فهي تتجلى في أرفع اختيار الشعب، وبالتالي لا ديمقراطية في الجزائر.

وفي مقام آخر يتحدث عن أهمية الزواج ودوره في الحياة الاجتماعية في خطاب يوجه فيه الشباب الجزائري بصفة غير مباشرة ، فمن أدوات التوجيه التي تقوي إنجازية الفعل الكلامي، ذكر العواقب، وكذلك ربط الإنجاز بالوعد والوعيد، وكذلك ذكر ما يتوقف عليه المطلوب¹، حيث يقول لهم: «وإن الإعراض عن الزواج فرار من أعظم مسؤولية في الحياة، ولمن تخدم الأوطان؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرَم، ومن في بطنها من رفات ورمم»²، فالبشير الإبراهيمي ككاتب اجتماعي يواجه المشاكل الاجتماعية بوعي عميق، هذا الوعي الذي يمثل حقيقة وجود الكاتب الذي يرى الأشياء من زاوية معينة تهتم المجتمع³، فهو ينظر إلى الزواج من حيث أنه السبب الأول بذرة الوطنية وإقامة القومية، وتدفع إلى الشعور بالكرامة والإحساس بالمسؤولية⁴، وهي استعارة مكنية شبه فيها الكاتب الوطن بالإنسان وحذف وجه الشبه، وأبقى على قرائن دالة عليه (ظهرها، أولاد، بطن....)، تحمل قوة

¹. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تعليق: محمد حسنين مخلوف، دار الفكر، ج 3، ص140.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص326.

³. ينظر: مقالات في النقد الأدبي، رشاد رشدي، دار الجيل للطباعة، مصر، ط1، 1962، ص74.

⁴. ينظر: البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص92.

إنجازية متمثلة في حث الشباب الجزائري على الزواج وترغيبهم فيه، حقق بها غرضه الإنجازي المراد بصفة غير مباشرة وهو توجيه هذه الفئة من المجتمع إلى الاعتناء بظاهرة الزواج عناية فائقة، امتثالاً لأوامر الله تعالى، وسنة نبيه الداعية إليه للمباهاة بالمكاثرة يوم القيامة، وصيانة للنفس من الانزلاق وراء الشهوات، والمكاثرة لحماية الوطن وبنائه، ودعائه لهم إلى التعجيل بالزواج لأن الزواج المبكر صنيع حميد يحبّده الإسلام ويشجع عليه، فقد أثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»¹.

وفي مقام آخر يتهم الإدارة الفرنسية بمحاولة إحداث الخلاف بين المسلمين، قائلاً: «... والحكومة الاستعمارية هي زارعة الخلاف بيننا، وهي التي تسقيه كلما ذبل، وتغذيه كلما ضعف...»². وهنا شبّه الكاتب الخلاف بالنبات، وحذف المشبّه به، وأبقى على قرائن دالة عليه وهي (زارعة، تسقيه، ذبل)، تحمل قوةً إنجازيةً تمثلت في نفي التهمة على المسلمين، ذلك أنّهم طالبوا بحقّهم في تولّيهم شؤون دينهم الإسلامي، مثلما هو الحال في المسيحية واليهودية، فاستعمل الكاتب النفي لتقوية إنجازية الفعل الكلامي، فبمجرد التلفظ بالقول يتحقق الإنجاز، بهدف التأثير في المتلقي وإقناعه بمحتوى القضية، فهي استعارة مكنية أدّى بها "الإبراهيمي" فعلاً إنجازياً غير مباشر وهو المطالبة بحق فصل الإسلام عن حكومة الجزائر، هذه القضية التي تماطل

¹ صحيح مسلم بن الحجاج، أبو الطيب صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، تح: عبد الله بن إبراهيم

الأنصاري، نشر وزارة الشؤون الدينية، قطر، ج5، 1984، ص130.

² عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص195.

الاستعمار في حلها، ودلّ على صعوبة هذه القضية بإشارته إلى عدة حقائق تاريخية، من بينها قضية "الجلء" في مصر، فهذه القضية على عظمتها وصعوبتها صارت أسهل وأيسر من قضية فصل الدين عن الحكومة الجزائرية إبان الاستعمار طبعاً.

وكما وظّف "الإبراهيمي" استعارةً أخرى في مخاطبته الطلبة عبّرها عن فعل إنجازي غير مباشر تمثل في التشديد على لزوم طلب العلم في قوله: «إنكم لا تضطلعون بهذه الواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبتلتم إليه تبتيلاً، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتم على أخذه من أفواه الرجال وبطون الكتب»¹، فالتعليم في نظره رسالة شرفية يحملها المخلصون من أبناء الشعب، وهي استعارة مكنية شبّه فيها الكتاب بالإنسان وحذف المشبه به، وأبقى على قرينة دالة عليه وهي (بطون)، تمثلت قوتها الإنجازية في الإلحاح الشديد على طلب العلم في قوله: (انقطعتم، تبتلتم، أنفقتم، عكفتم)، لأنه يرى أن السبب الأساس في خراب الأمم وضياعها وانهيائها، وأنّ العلم هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذ حياة الشعوب، لأنّه يفتح أبواب الحياة الكريمة.

كما يعدّ بثّ الحياة والنطق في الجماد من الأغراض التي تؤدّيها الاستعارة، كقول "الإبراهيمي": «وإذا ذكرت ذلك فاذاكر أنّ العاصميّ في تقريره المملوء بالمنطق الأعوج، المبني على التاريخ الأعرج»²، وهذا أسلوب يعكس تمكن الإبراهيمي من

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 216.

². المرجع نفسه، ص 89.

ناصية اللغة، وتحكمه المتقن في معاني الكلمات فهو يبت الحياة في المعاني المجردة عندما يسند الفعل المستعار له فيثري الاستعارة بالحركة، والحيوية؛ ولذلك يعتبر تشخيصه للصورة وتجسيمها ناجما عن إدراك تام بمضمونها، ووعي شديد بأهميتها في إنارة المعنى وتوضيحه؛ لأن " العلاقة بين طرفي الاستعارة هي علاقة انصهار واتحاد، إذ يتحول المستعار له إلى كائن يحمل كل صفاته وخصائصه وملامحه"¹، وههنا استعارتان مكنيتان، الأولى شبّه فيها الكاتب المنطق بالعود، وحذف المشبّه به وأبقى على صفة دالة عليه وهي الاعوجاج، والثانية شبّه فيها المنطق بالإنسان حذف المشبه به، وأبقى على قرينة دالة عليه وهي الإعاقة، فكان الغرض الإنجازي غير المباشر الذي يبتغيه الكاتب هو التهكم والسخرية نحو المفتي محمد العاصمي وهو من الموظفين العملاء لفرنسا، عينتهم لتدبيرهم شؤون المسلمين، والذي يقول عنه عبد المالك مرتاض: "فقد نال من قلم الإبراهيمي ما لم ينله رجل في الجزائر منه، وقد كان الشيخ يقذفه بسخرية فضيعة كأنّها شظايا النار المحرقة، أو السهام المارقة"²، والقوة الإنجازية الداعمة لهذا الغرض متمثلة في انتقاده للتقرير، وإبطاله كل بنوده ومبادئه بالحجة والبرهان.

وفي سياق آخر من الخطاب يحقق نفس الغرض الإنجازي المتمثل في السخرية بصورة غير صريحة في قوله: «وفي هذا المطبخ طبخ التقرير العاصمي ملفوفا بتوابله، وفيه ولد محفوفا بقوالبه، فجاء كما رأيناه وفيه طعم الإدارة ولونها

¹ الصورة البيانية في شعر أبوريشة، وجدان عبد الإله الصائغ، دار مكتبة الحياة، ط1، 1997، ص5958.

² فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص388.

وريجها. لو نطق لشهد بالمطبخ والطابخ»¹، وهي استعارة مكنية، شبّه الكاتب فيها التقرير العاصمي الممتلئ بالمكائد والمؤامرات بالأكلة المطبوخة المليئة بالتّوابل حذف المشبه به ودل عليه لازم من لوازمه وهو الطّبخ. وتمثلت القوة الإنجازية الداعمة لهذا المعنى في تقديمه الدليل على أن التقرير أعدّ في مطبخ الإدارة، وهو تردد العاصمي على مقر المجلس الجزائري، ليدنو من كل عضو من الأعضاء تملقا ومداهنة.

وفي مقام آخر يصف "الإبراهيمي" وبشكل غير مباشر نفسه مع أعضاء الجمعية ويبرز للحكومة مكانتهم من الدّين والذي كانت تعتبرهم سياسيين، يقول:

«أما نحن فكنا علماء دين، ودعاة علم وتربية، وزرّاع خير ورحمة»²، وهي استعارة مكنية شبّه فيها الخير والرحمة بالنبات وهو المشبه به دلّت عليه قرينة وهي كلمة (زرّاع). حيث تمثلت القوة الإنجازية للفعل الكلامي في توضيح موقف الجمعية وإثباتها للعروبة في وطن الجزائر، وللعربية حظها في السنة بنيه، ودعوتها لهم لطلب العلم والتخلق بكمكارم الأخلاق، بعدما اتهمت بالتدخل في السياسة من طرف الحكومة. حقق بها الغرض الإنجازي المراد وهو إثبات بشكل غير صريح دور جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح الديني والاجتماعي وحتى الإصلاح السياسي، ذلك أن فكر رجالاتها لم يكن مجرد اشتغال على أبجديات الوعظ الديني المباشر، لأنهم لم يكونوا رجال دين بالمفهوم التقليدي وحسب، بل إنّ فلسفتهم الحضارية كانت بمثابة استلهام لكل ما هو جزائري عربي إسلامي أصيل، وبقدر اشتغال الرعيل الأول من رجال الإصلاح في

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص72.

². المرجع نفسه، ص275.

الجزائر على الواقع الديني والثقافي والاجتماعي، بقدر ما كان اهتمامهم بواقعها السياسي.

وعندما يخاطب المعلمين الأحرار ويقول: «أنتم حراس هذا الجيل الجديد، والمؤتمنون عليه، والقوامون على بنائه، وأنتم بناء عقوله ونفوسه، فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية»¹، فهي استعارة مكنية يشبّه فيها "الإبراهيمي" العقول والنفوس بالبناء وهو المشبه به المحذوف ودلت عليه أحد لوازمه وهي الفعل (ابنوا)، عبّرت هذه الاستعارة على فعل كلامي غير مباشر "بدليل أنّ المتكلم قال كلاما وقصد غيره، كما أنّ السامع يسمع كلاما ويفهم منه غير ما سمع"²، وهو النصّح والإرشاد وهما من المعاني التي يرمي إليها المتكلم بشكل غير مباشر، وهو موجه للمعلمين لإعمال ضمائرهم في أداء مهامهم المتمثل في تعليم النشء الأسس الصلبة الصحيحة، ولتدعيم القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي غير المباشر بالغ الكاتب في تعظيم مكانة المعلمين الأحرار بين شباب الجيل الجديد.

وفي دعائه بالتوفيق للأمة الإسلامية في كل ما يعود عليها بالخير والفائدة، يقول: «وَفَقْنَا الله جميعا إلى ما يقربنا إليه، وجنبنا ما يبعدنا عنه، وأرانا ما يسرنا

¹- عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص299.

². الاستلزام الحوار في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، ط1، 2011، ص130.

في هذه الأمة، يسرّنا جميعا لخدمة هذا الوطن وإخراجه من الظلمات إلى النور»¹،
فهي استعارة تصريحية، صرّح الكاتب فيها بالمشبه به وهو الظلمات والنور، وحذف
المشبه وهو الإسلام والجاهلية، وهي فعل كلامي غير مباشر حقق بها الكاتب غرضه
الإنجازي المبتغى والمتمثل في التمني، والذي جاء في صورة دعاء للأمة الجزائرية،
مدعما بأفعال كلامية ذات قوة إنجازية مستلزمة لم يدل عليه معنى العبارة، فعلى
متلقيها فهم معناها الصريح الذي بدوره يؤدي به إلى فهم معناها المتضمن الذي عبر
عنه بصورة استعارية جسدت الصورة النهائية المتمثلة في هذا الدعاء الصادق، الذي
يبعث في نفس القارئ الرغبة في الاستقاء من بركته.

3. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على الكناية:

أصل الكناية في اللغة «أن تتكلم عن شيء وتريد غيره»². وفي الاصطلاح عرفها
السكالي (ت626هـ) بقوله: «الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه،
لينتقل من المذكور إلى المتروك، كقولك: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو
ملزومه، وهو طول القامة...وسي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التصريح
«³؛ أي هي تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى
الحقيقي، «فهي تعبر عن معنى ما بصورة غير مباشرة؛ مما رشحها لتكون إحدى

¹ عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص317.

² لسان العرب، ابن منظور، مج5، ج44، ع3، ص3044، مادة (ك ن ي).

³ مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبطه: نعيم الزرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983،

الوسائل الفعالة لإنجاز الأفعال غير المباشرة، فالجانب غير الصريح وغير المباشر سمة مشتركة بين الطرفين الكناية والأفعال غير المباشرة، فعندما نقول: (زيد كثير الرّماد) فإنّنا استخدمنا الكناية لمدح زيد ووصفه بأنه كريم مضياف، فنحن في هذه العبارة لا نقصد المعنى الحرفي المباشر-مع إمكانية تحقيقه وإن كان غير مقصود- بل نريد المعنى غير المصرّح به، وهو مدح كرم زيد»¹، فالكناية أسلوب يعتمد الكاتب للتعبير عما يختلج في صدره، ولا يرغب في البوح به، وذلك باللجوء إلى صور «تومئ إلى المعنى وتشير عليه دون أن تفصح عنه، فهي تجعل من المعنى المراد مختفيا وراء صورة المعنى الظاهر، فتتخذ بذلك شكر التعبير بالصورة»²، وبالتالي فهي «لا تعبّر تعبيرا تقريريا مباشرا وإنما تلجأ إلى الأسلوب الأوفر تأثيرا والأعمق دلالة»³، والمتمثل في الأسلوب غير المباشر، ومن هنا يمكن إدراك الطبيعة الإيحائية للكناية، فهي انحراف عن إفائدة المعنى المراد مباشرة، إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، ويكون على المتلقي أن يقوم بحركة عكسية ينتقل خلالها من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم⁴.

يتضح من خلال تعريف الكناية أنها تستخدم للتعبير عن أفعال إنجازية غير مباشرة لما تحمله من تأثير بليغ على نفسية المتلقى في التمثيل، أما نماذجها التي وردت في "عيون البصائر" فهي كثيرة، فاستخدام أسلوب الكناية في العمل الأدبي دليل على

¹ في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف، ص152.

² الصورة الفنية في شعرين معتز، زكية خليفة مسعود، منشورات جامعة فان يونس، بنغازي، ط1، 1999.

³ الصورة البيانية في شعر أبو ريشة، وجدان عبد الإله الصائغ، ص 74.

⁴ ينظر: الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، مسعود بودوخة، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط 1،

دت، ص158.

فطنة وثقافة الكاتب الواسعة، وتنشيط لذهن القارئ لاكتشاف الخفي من المعنى ضمن الكناية، وقد وظّفها "البشير الإبراهيمي" للتعبير عن معاني عديدة غير صريحة في طبقات مقامية متعددة، نذكر منها:

حديثه عن المقومات التي تبنى بها الأمة ولا تتحقق قوميتها إلا بها، وأنّ المطالبة بالحقوق في ظل غياب هذه المقومات لا جدوى منه، وأقسم على ذلك، حيث قال: «ولعمري إذا لم توجد الأمة فما صياح الصائحين إلا نفخ في رماد»¹، وهي كناية عن صفة، فعدم اشتعال النار كان سببه غياب الجمرة التي تؤدي إلى ذلك، تحمل قوة إنجازية متمثلة في عدم جدوى المطالبة بحقوق الأمة في غياب مقومات بنائها، حقق بها غرض إنجازي متمثل في توبيخ الأمة الجزائرية على إضاعتها لأرضها، ونسيانها لتاريخها، وهي مقومات إذا تواجدت في شعب من الشعوب كانت له بمثابة الدعامة الأساسية للنضال الحقيقي. «وفي التوبيخ لا بد أن يكون المتلقي قد قام بفعل ما قبل زمان تكلم المتكلم»²، وهو غرض إنجازي لا يمكن أن يؤدّيه اللفظ الصريح. كما فضّل "الإبراهيمي" الأسلوب غير المباشر في الكثير من المواقف بحسب مقتضى الحال، فوظّف الكناية في مقامات التلميح غير التصريح كقوله في انتقاده للحكومة المحتلة في إصدارها القرارات المجحفة في حق الأمة الجزائرية، ثم تنكر فعل ذلك، فقال: «فقد بلينا بحكومة، جمع فيها كل ما تفرّق في غيرها...وقد بلوناها في

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص45.

². الأفعال الإنجازية، علي محمود حيي الصراف، ص164.

جميع حالاتها وألوانها، فإذا هي هي، تغطّي الشّمس بالغربال¹ « وهي كناية عن استحالة إخفاء الحقائق الواضحة وضوح الشمس، وقد تمثلت قوتها الإنجازية في التعبير عن أساليب المراوغة التي تتخذها فرنسا لاستغواء الشعب بطريقة غير مباشرة، حقق بها الغرض المبتغى وهو توعية الشعب، ودعوته إلى التصدي لهذه السياسة الهادفة إلى محو الشخصية الجزائرية بكل انتماءاتها.

ونورد للغرض نفسه قولاً آخر لـ "البشير الإبراهيمي" عن تربّص الأعداء بالأمة العربية، والتي تسعى إلى رميها بقوس واحدة في قوله: «... وتتناطح فيها رؤوس أموال، ووراء كل رأس مال رؤوس حيوانية تفكّر في الكيد، وأيد حريرية تحمل القيد»². وهي كناية عن تحايل ونفاق البريطانيين عند دخولهم للجزيرة العربية بهدف تطويرها، لكنّ الهدف الحقيقي هو الاستيلاء على الكنوز والخيرات هنا تكمن قوتها الإنجازية، وظّفها الكاتب لتحقيق غرضه بإيصال الفكرة بطريقة غير مباشرة.

وفي قضية فصل الدّين عن الدولة حين تحدث "الإبراهيمي" عن سياسة تأجيل فرنسا التعامل مع ذلك، قائلاً: «... أمّا إذا كان الأمر هكذا فهو أكبر دليل على أن الحكومة لا تنوي الفصل، وإنّما تنوي ضده، وما هذه الحركة الجديدة منها إلّا فعلة من فعلاتها المعروفة التي تذرّبها الرّماد في العيون³»، وهي كناية صفة عن التّمويه والتّستر عن الحقيقة التي دأبت على فعلها لتحقيق أغراضها الشريرة، حقق

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص98.

². المرجع نفسه، ص531.

³ - المرجع نفسه، ص193.

الكاتب باستعمالها غرضاً إنجازياً غير مباشر وهو كشف الغطاء عن حقيقة فرنسا وما تخفيه وراء سياستها وقوانينها، فعمل ساعياً لإظهار الحق وتجليته، كما وقف مطولاً عند جذور هذه القضية، والدافع الرئيسي الذي جعل فرنسا تحتل الجزائر، فاتضح له من خلال القرائن التاريخية أن الروح الصليبية التي تغذيها الكنيسة الكاثوليكية هي التي نفخت في القادة الفرنسيين الاستعداد القوي للهجوم على الجزائر والاستيلاء عليها¹، والسيطرة على شؤونها الإسلامية رغبة منها القضاء على الإسلام من خلال طمس معالمه، فالفعل الكلامي الكامل أو الكلي كما سماه "فان دايك Van Dijk" وهو الفعل الذي يهيمن على النص وإن تعددت الأفعال الكلامية فيه، ولعل الفعل الكلامي الكلي في هذا المقام هو فعل الذم، فهو المحور الذي تدور حوله الأفعال الكلامية الأخرى.

ومن أغراض الكناية كون المكنى عنه ممّا يحسن ستره ويقبح التصريح به، كقوله: «...ليس من العقوق أن تقول: إنّ أباك خلفك فقيراً، إذا عاش فقيراً، ومات فقيراً؟ بل من الإنصاف لهم أن نقول: إنّهم ورثونا هذه الصفقة الخاسرة التي هي رأس مالنا اليوم، من أخلاق لا تزن جناح بعوضة»²، وهي كناية صفة عبّر بها الكاتب عن دناءة وخساسة الأخلاق التي ورّثها الآباء لأبنائهم حيث تجنّب وصفها والتصريح بها، وهي فعل كلامي يحمل قوة إنجازية متمثلة في كشف واقع عيش الآباء والذي كان له الأثر الوخيم على تربية وأخلاق أولادهم والتي يرثها جيل عن جيل، وقد حقق

¹. ينظر: الأسس النظرية لمنهج التغيير عند الإبراهيمي، محمد زرمان، ص493.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص301.

الكاتب بتوظيفه هذه الكناية الغرض الإنجازي غير المباشر وهو التحذير من السير على الطريق الذي سلكه الآباء

كما يعدّ مراعاة الجانب الجمالي باستعمال أجمل الألفاظ من الأغراض التي تحقّقها الكناية أمر مستحسن في الخطاب، ومن أمثلة ذلك قول "البشير الإبراهيمي": «إنكم لا تضطلعون بهذه الواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم... ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار»¹، وهي كناية عن العمل الدؤوب، مع الإشارة أنها مقابلة أدّت معنى المكثّى عنه بصورة فنية جمالية، أنجز الكاتب بتوظيفها غرضه الإنجازي غير المباشر وهو مدح طلبة العلم وتحفيزهم على الاستمرار في طلبه بجد واجتهاد، ودعم الكاتب هذا الغرض بقوة إنجازية تمثلت في التوجيه والتحفيز وهو ما يمثل الفعل الكلامي الكامل الذي تدور حوله الأفعال الكلامية الأخرى.

ومن أغراض الكناية أيضا إبعاد اسم المكثّى عنه عن التداول بذكر ما يدلّ عليه من القاب أو كنى أو صفات، كقوله: «ومن غرائب الشّبّه أنّ مسيلمة الحنفي كان تشويشاً على النبوة الحقّة، وأن المفتي الحنفي كان تشويشاً على مطالب المسلمين الحقّة»²، وههنا بدا الإبراهيمي وكأنه يرمي المفتي الحنفي بادّعاء النبوة حين شّبّه بالنبيّ، تأكيداً لحكمه السابق حين شّبّه بمسيلمة الكذاب، وهي البراعة الفنية التي تعطي للفكرة عمقا وأهمية، وتكسيها أبعادا دلالية، وهي كناية عن الشّيخ محمد

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص216.

². المرجع نفسه، ص73.

العاصمي مفتي الجزائر العاصمة العميل، أنجزت فعلا بصورة غير مباشرة غرضه النصيح وعدم الاقتداء بالعميل الذي لا يرى من وراء فتواه إلا رضا الاستعمار ومكافأته على حساب أمتة وكرامتها ، ولعل المحور الذي تدور الأفعال الكلامية في القول هو الفعل الكلامي الكلي المتمثل في السخرية، ومن ذلك يقول عبد المالك مرتاض: «إننا نجد الإبراهيمي هنا يسخر سخرية الأديب المبدع الذي يعرف كيف يجعل من البساطة هولا، ومن الفكرة العادية غرابة وشذوذا، وهناتا وعبوبا...»¹.

4. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على التورية:

التورية في اللغة من ورى الخبر تورية، أي أراحه فأخفاه وستره، وأظهر غيره. ومنه الحديث "كان إذا أراد سفرا ورى بغيره". بمعنى أنه كنى عنه موهما إرادة غيره²، فهي بذلك تعني الستر والإخفاء.

أما في الاصطلاح فتعني التورية «ذكر كلمة مفردة بمعنيين أحدهما ظاهر وغير مراد، والثاني موري ومراد»³؛ إذن فالتورية تتركب من كلمة تحتل معنيين: الأول قريب ظاهر ولا يقصده المتكلم، والثاني بعيد خفي وهو الذي يقصده المتكلم، وهذا الأخير تداولي لأن استنباطه خاص بالسامع؛ إذ هو المطالب بفهمه. والفهم بداية الحوار

¹ فنون النثر الأدبي في الجزائر، عبد المالك مرتاض، ص 386.

² ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ج 20، ص 288، مادة (وراه).

³ البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، تح: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1987، ص 97.

يقول "ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin": «وإن يكن مع الذات الفاهمة، ولا يكتمل الفهم إلا في السياق الذي أدّى إلى التلفّظ بالعبارة أو الجملة التي تتضمّن التّورية. والسيّاق أنواع ثلاثة: السياق اللفظي التركيبي، والسياق غير اللفظي الظرفي، والسياق الحيّاتي العام، وللتكلم باللغة الحياتية ظاهر وباطن، باد ومتوار»¹. ومن ثمة فالتورية أسلوب يُعبّر به عن المعنى الضمني أي غير المباشر.

تتبدى التورية في مواطن عدة من خطابات "البشير الإبراهيمي" اللغوية للتعبير عن الأفعال الإنجازية غير المباشرة، نذكر منها:

ما ورد في مدحه للشعب الجزائري العربي المسلم بذكر أعماله للمحافظة على وطنه وفضائله في تشييد حضارته وتسجيل تاريخه، يقول: «وشاد الحضارة، ووضّح معالم التشريع، وحدا بركب الإنسانية حيناً ف أطرب»²، فالتّورية هنا في لفظة "أطرب" تحمل فعلين كلاميين: أحدهما أمتع وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أوّل وهلة، والمعنى الثاني اهتزّ وأخفّ وهو الفعل الكلامي غير المباشر الذي يمثل المعنى البعيد الذي أراده الكاتب لكنّه ورّاه وستره ولمّح له بالمعنى القريب ، حقق الكاتب بذلك غرضاً إنجازياً بصفة غير مباشرة وهو تعظيم الأمة الجزائرية، حيث يكمن وجه عظمتها في عراقية حضارته العامل الذي يؤجّج في كل حين أعداء الأمة العاملين على تدميرها وقتل أسباب الحياة فيها.

¹. اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، محمد سويرتي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، العدد3، 2000، ص29.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص21.

وفي مقام آخر نجد "البشير الإبراهيمي" قد وظّف التّورية ويتجلى ذلك في حديثه عن واقع النوادي التي يتلقى فيها الشّباب دعوة الدّين والعلم، حيث قال: «... ذلك القرار الغريب الذي يمنع بيع المشروبات المباحة في النوادي، ونتيجته هي إفقار النوادي من رّوادها»¹، فالتورية في لفظة "إفقار" لها فعّالان كلاميان، أحدهما أنّها مأخوذة من الفقر وهو الحاجة وعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة، وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذّهن أوّل وهلة، وسبب تبادره إلى الذّهن التمهيد له بقوله "يمنع بيع"، والثاني أنّها مأخوذة من القضاء، أي القضاء على رّواد النوادي، وهي القوة الإنجازية التي تنبئ عن المعنى البعيد الذي أراده الكاتب لكنّه تلطّف وورّاه ولمّح إليه بالمعنى القريب، رغبة منه في تحقيق غرضه الإنجازي غير المباشر المتمثل في التحسر على الوضع الذي آلت إليه مراكز اقتناء الدين والعلم في الجزائر.

وفي سياق آخر نجده كذلك يتحسّر على وضع الشعب الجزائري في رسالة كتبها إلى رئيس الجمهورية الفرنسي موضحاً له واقع السياسة المعيش في الجزائر، فيقول: «وإنّ الدستور الجزائري على نقصه واختلاله لم يكن للأمة فيه رأي، فكيف يجني منه ثمرة؟»²، وتكمن التورية هنا في لفظة "ثمرة" وتحقق فعلين كلاميين، الأوّل يمثله المعنى القريب وهو ما يتبادر إلى الذّهن وهو فاكهة وسبب تبادره لأوّل وهلة ما سبقه من الفعل "يجني"، والثاني بعيد وهو فائدة وهذا هو المعنى الذي ابتغاه الكاتب، لكنّه

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 27.

². المرجع نفسه، ص 79.

تلطف وأخفاه في ظلّ المعنى القريب ، والذي حقق باستعماله غرضه الإنجازي غير المباشر وهو الإنكار، الذي دل عليه الاستفهام ، ذلك أن أسلوب الاستفهام ثري له دلالات كثيرة متداخلة يتأبى في أحيان كثيرة أن ينحصر معناه في دلالة واحدة، مما يجعلنا نتساءل عن سبب تحول الاستفهام إلى دلالات متعددة؟ يرى "السكاكي" (ت626هـ) أنّ أهم شرط تخرقه جملة الاستفهام ليمتنع إجراؤها على أصل استعمالها لتنجز فعلاً آخر بطريقة غير مباشرة، هو شرط جهل المتكلم بالمستفهم عنه، مما يستلزم وجود دلالة أخرى غير مباشرة تحولت عن صيغة الاستفهام، وهذه الدلالة تستفاد من عناصر السياق ومعونة القرائن¹ المحيطة بالمنطوق الإنجازي. والأمر نفسه في كتابه إلى أعضاء المجلس الجزائري، نجد البشير² "الإبراهيمي" يصف انتخابات النواب في الجزائر من طرف شعب مسلوب الإرادة والحرية في اختيار نائبيه: «آية ذلك أنّ الأحزاب الفرنسية من اليمين إلى اليسار- وشأنها الاختلاف في كل شيء- اتّفقت على احتقارنا وعدم المبالاة بنا في شيء يخصّنا وهو دستور الجزائر»²، التورية هنا في كلمة "آية"، فإنّ لها فعلين كلاميين يتولد عنهما معنيين: أحدهما المعجزة القرآنية، أوّل ما يتبادر إلى الذّهن وهو المعنى القريب، والثاني دليل وهو المعنى البعيد الذي أراده الكاتب وستره في ظل المعنى القريب ، حيث حقّق به غرضاً إنجازياً غير مباشر وهو الإثبات دلت عليه الصيغة الإخبارية (آية ذلك أنّ الأحزاب الفرنسية....)، فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية ذات دلالة لغوية

¹. ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص304.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص197.

مباشرة وهي إخبار تبين أن الأحزاب الفرنسية تحتقر الجزائريين ولا تبالي بهم، في دستورهم، وإذا روعي ارتباط هذه الجملة بمقامات إنجازها فإن معناها لا ينحصر فيما تدل عليه، إنما تتضمن معان يرمي إليها المتكلم بشكل غير مباشر، فنجدته يقرب بعضها، ويبعد بعضها الآخريّ، من بينها إثبات مكانة الجزائريين سياسيا في ظل الاستعمار الذي يمارس سلطته عليهم في أشياء تخصهم.

وفي قضية فصل الدين عن الدولة يذمّ "الإبراهيمي" رجال الدين العملاء الذين شابوا وهم ينفذون مآرب الاستعمار، فقال: «فتنكروا لدينهم، وأصبحوا أعوانا عليه، وآلات لهدمه»¹، فالتورية في لفظة "هدمه" وقد تحققت بفعلين كلاميين قائمين على معنيين، الأول بمعنى حطّم؛ أي التخطيم وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة، وسبب ذلك كلمة "آلات" التي سبقتها، أما المعنى الثاني فهو القضاء (على الدين الإسلامي)، أي طمس الهوية الدينية وهو الغرض الإنجازي الذي يجسد المعنى البعيد الذي أراده الكاتب وورّاه بالمعنى القريب ، ليحقق به غرضه الإنجازي غير المباشر وهو التوبيخ، ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الغرض استعمل أقوالا كلامية منها (تنكروا، أصبحوا.)، تحمل قوة إنجازية متمثلة في ذم رجال الدين العملاء الذين تستخدمهم فرنسا في قضاء مصالحها.

أما في حديثه عن التعليم العربي والحرية، ندّد "الإبراهيمي" بتدخل المستعمر في شؤون التعليم وإصداره قوانين من شأنها تقييده وتضييقه، فيقول: " «كل

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 177.

الوسائل التي تتدرّج بها حكومة الجزائر لمقاومة التعليم العربي هي: إما قوانين أصدرها مجلس الأمة في فرنسا... وإما قرارات إدارية فردية، مصدرها الجزائر، ومبناها على إيعازات بوليسية، توجيها الروح الاستعمارية¹، والتّورية هنا في لفظة "بوليسية" وإنجازيتها تقوم على معنيين، أحدهما (قمع) بمعنى القمع الذي تنفذه الشرطة وهو الفعل الموكل لها دائما ويمثل المعنى القريب الذي يفهمه المتلقي لأول وهلة، أما الثاني فمعناه تقييد الحريات وهو الغرض الإنجازي الذي أراده الكاتب لكثّه أخفاه وعبر عنه بالمعنى القريب. وقد تمثل هذا الغرض في توعية الأمة الجزائرية مشيرا في ذلك إلى مختلف القوانين الجائرة التي كان يتعرض لها التعليم الحرجاء الإدارة الفرنسية التي تسعى إلى تضيق الخناق على التربية التعليمية الحرة بإرهاق القائمين عليها وشل إرادتهم بكل الطرق. كما تضمن هذا الغرض فعلا كلاميا آخر وهو التحذير. وكذلك في قوله: «والوعظ الديني هو الذي حرّكت به جمعية العلماء الهمم الراكدة»²، وههنا يبرز "الإبراهيمي" أهمية الوعظ الديني في بناء الأعمال الثابتة وإصلاح العقائد، ونشر التعليم، فالتورية في لفظة "الراكدة" إذ نجد هنا فعلين كلاميين الأول (ثبت) وينبئ عن معنى الساكنة والثابتة، وهو المعنى القريب وأول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي والسبب في ذلك هو كلمة "حرّكت" التي سبقتها، أما المعنى الآخر الذي يجسده الفعل الكلامي الثاني فهو الضعيفة الكاسدة، وهي القوة الإنجازية المتضمنة في القول التي تمثل المعنى البعيد الذي أراده الكاتب وورّاه في ظل المعنى

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 233.

². المرجع نفسه، ص 314.

القريب، حيث أنجز بذلك غرض الكاتب غير المباشر وهو الإشادة بدور جمعية العلماء المسلمين ومواقفها في ميدان التعليم العربي.

وفي الأخير نقول بأن التورية التي وظّفها "الإبراهيمي" باعتبارها عبارات بيانية إنجازية قد حققت غرضها الإنجازي، إضافة إلى جمالياتها الفنية؛ حيث كانت استجابة لموقف يستلزمها في الخطاب المنجز، كما أنها لم تكن متكلّفة، أو مجرد لعب بالألفاظ دونما فائدة في أداء الفكر والتعبير على المشاعر والعواطف.

الفصل الرابع

الأفعال الكلامية غير

المباشرة القائمة على القلازم

في عيون البصائر.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

تسعى الأفعال الكلامية غير المباشرة إلى بناء الواقع عن طريق الحالات الخاصة التي تتخذها آلية من آلياتها في تحقيق فاعليتها الإقناعية ، لأن هدفها هو الرّبط بين الأحداث المعيشة أو المتتابة، كما تعدّ دليلاً وافياً لتحقيق التفاعل بين المتخاطبين (المرسل و المتلقي)، وهذه الحالات «تربطها صلة وثيقة بالواقع ولكنها لا تتأسس عليه، ولا تنبئ على بنيته، إنّما هي التي تُؤسّس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله، وتُظهر ما خفي من علاقات بين أشياءه، أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم يُنتظر من صلات بين عناصره ومكوناته»¹. فالاستدلال عن القضايا المعيشة واقعياً بواسطة هذا الضرب من الأفعال الكلامية عن طريق التلازم يكون بقضايا أخرى ترتبط بها مكانياً وزمانياً ورمزياً.

كما يهدف هذا النوع من الأفعال الكلامية من منطلق قوته الإنجازية في الخطابات اللغوية إلى إثبات أو توضيح أو تقوية قاعدة معينة، ويختلف تبعاً للوظائف التي تسند إليه، فحينما يسعى إلى "إثبات" قاعدة يدعى شاهداً Exemple. وحينما يعمل على مجرد توضيحها يدعى مثلاً Illustration. وحينما يعمل هذا الشيء على حمل المتلقي على الاقتداء به يدعى قدوة Modèle. ويختصر "بيرلمان Perelman وظائف هذه الحالات الخاصة في عبارته «ففي حال الشاهد ستسمح بالتعميم، وفي

¹. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص242.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سلفاً، وفي حال القدوة ستدعو إلى الاقتداء¹. فإذا كان أرسطو في البلاغة التقليدية ميز بين هذه الأفعال الكلامية غير الإنجازية الشاهد والمثال والقدوة وغيرها على أساس مادتها ومحتواها، وهو بهذا يظلّ دوماً واقعياً وتاريخياً أو ابتداعياً أو أسطورياً؛ فإن بيرلمان ميز بينها في الطرح البلاغي الحديث على أساس الوظائف الحجاجية التي تؤديها داخل الخطاب اللغوي والجماعة اللسانية. إضافة إلى الاستشهاد بالنصوص ذات السلطة الدينية أو الاجتماعية أو العلمية وغيرها.

وهنا تتمظهر العلاقة بين البلاغة التداولية إذ يرى "Leich. ليتش" «أنّ البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير عن بعضهما. ولذلك فإنّ البلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي؛ على أساس أنّ النص اللغوي في جملته إنما هو "نص في موقف"، مما يرتبط لا بالتعديلات التي يفرضها أشخاص المرسل والمتلقي وموقعهم على معناه فحسب. وإنّما بالنظر إلى تلك التعديلات التي تحدث في سلوكهما أيضاً². وهو ما يفسر أن

¹ الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، المغرب، مكتبة دارالأمان، ط1، 2005، ص403. وينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد السالم ولد الأمين الطلبة، ص 130.

² بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، دط، 1992، ص98.97.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

تأويل الخطابات اللغوية في حالة تفاعلها بين المتخاطبين هي القاسم المشترك بين البلاغة والتداولية.

كما أشار "فان دايل" Van Dijk إلى المهام التي تضطلع بها التداولية والمتعلقة بالفعل الكلامي وعلاقته بالسياق التواصلي إذ يقول: « وعلى ذلك فإنّ أحد مهام النظرية التداولية هو صياغة الشروط العامة والخاصة المحددة لاستخراج كمال نجاح إنجاز قوة أفعال الكلام. وينبغي أن تصاغ هذه الشروط في حدود مكونات السياق التواصلي وبنياتها ¹. وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل من منظور نظرية الأفعال الكلامية وتجلياتها في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة.

1. الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على الشاهد Exemple:

يستعمل المخاطب الشاهد كفعل كلامي يحمل قوة إنجازية بغرض إقناع المتلقي بأطروحة معينة أو ليغير في مواقفه العاطفية، ويهدف ورود الشاهد في الطبقات المقامية المختلفة إلى الربط بين المتفقات في الجنس من قضايا. وقد حدّه "إرنست روبرت كورتيس Ernst Robert Curtius" بقوله: «إن الشاهد هو إضفاء القبول على فكرة باللجوء إلى حدث قديم واقعي أو خرافي أو أسطوري أو منتّم إلى التراث الأدبي، أو حدث صناعي احتمالي أو خيالي، فنُسلك هذه الفكرة أو الواقعة المطروحة

¹ النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر القيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000، ص 267.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

ضمن نفس الخيط الذي يُسلَّك فيه الحدث القديم أو الموروث، فنعتبرهما معا يندرجان ضمن نفس الصنف من الوقائع. إننا نُضفي القبول على الفكرة المطروحة وغير المقبولة، بسلوكها ضمن جنس الحدث القديم الذي يحظى عندنا بالقبول. إن الواقعة القديمة التي يُسند بها الشاهد ينبغي- تبعاً لهذا- أن تكون واضحة ومعروفة ومقبولة أو احتمالية¹. ولا يكمن في هذه الوظيفة الإقناعية التوسل بالخرافات و الحكايات المجازية التي تكتسب قيمة إقناعية ما، عندما نجردها من سياقها التاريخي والأصلي لأنّها في حدّ ذاتها قابلة لمعيار الكذب. وأنّها تتّسم بالقبول والاحتمالية عند القدامى في الطرح البلاغي التقليدي.

أما حينما تبلور في فعل كلامي غير مباشر، وتسلك في شاهد معين ما، فإنّها تتغلب على فنائها لكي تكتسب قوة إنجازية جديدة، تمكّنها من البرهنة عمّا لا يمكن البرهنة عليه بطريقة مغايرة.

ويبقى قبول الأطروحة التي تعتمد على الشاهد من طرف المتلقي مرهون بالقوة الإنجازية للفعل الكلامي الكامنة فيه إضافة إلى المعارف والخبرات المشتركة بين المرسل و المتلقي ومدى توظيفها في الخطاب المنجز.

أما إذا عندنا إلى أصول الشاهد المعرفية كعنصر استدلال أو برهاني في البلاغة التقليدية القديمة وخاصة اليونانية نجد أنّه ابن مخاض تاريخي طويل، قد تناول هـ

¹ الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية -محمد الولي- ص401

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

بالدرس والتمحيص كثير من الدارسين كأرسطو وسيسيرون وكنتليان الذين ألحوا على احتياج الخطيب إلى المعرفة العميقة، والعلم الدقيق بشواهد التاريخ والميثولوجيا والخرافات البطولية أيضا. الأمر الذي بيّنه "فرانسوا مورو François Moreau" في حده للشاهد بوصفه «قصة موجهة لاستخدامها كدعامة تبريرية»¹، فهو يرى أنه يكفي لكي نتحدث عن الشاهد أن يذكر اسم أو أن تستحضر سمة سلوك ما يتضمن الأول والثاني علاقة مشابهة بين الشاهد المذكور وحالة معينة مضبوطة يذكر بشأنها الشاهد لاستخلاص فائدة أو إشارة إلى السلوك الذي ينبغي اعتماده²؛ أي أنه يُستخدم للربط بين الأشياء التي تنتمي إلى الجنس أو النوع نفسه.

وقد مثل لذلك بعلاقة موسى مع بني إسرائيل إذ يقول: «أعتبرُ أن موسى كان ألين رجل على وجه الأرض في وقته وقد كان يعاقب بشدة المتمردين والعصاة من شعب إسرائيل»³، ف"فرانسوا مورو François Moreau" وظّف اسم موسى -عليه السلام - كشاهد لإثبات صفتين خلقيتين الأولى هي الليونة والثانية هي الشدة في التعامل مع بني إسرائيل، باعتبارها واقعة حقيقية قديمة لاستخلاص فائدة أو إشارة إلى السلوك الذي ينبغي اعتماده.

¹ . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، المغرب، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط1، 1989، ص38.

² . ينظر: البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، ص38.

³ . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، المغرب، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط1، 1989، ص38.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

أما في البلاغة الجديدة فقد اكتسب الشاهد طاقة حجاجية جعلت من

توظيفه في الخطب هدفاً لتحقيق الإقناع ، وهذا حسب "بيرلمان Perleman" الأمر

الذي وضحه محمد الولي في قوله: «إن للشاهد عند بيرلمان، معنى مختلفاً عن المعنى

الذي يحمله عند أرسطو فإذا كان الفيلسوف الإستاجيري يميز الشاهد على أساس

الحدوث التاريخي والأسطوري والمبتدع. فإن بيرلمان يميز الشاهد بإخراجه من هذه

الدائرة. الشاهد عنده يسعى إلى الإمساك بقاعدة عامة أو بنية مشتركة بين شيئين أو

أكثر. ومن زاوية أخرى، فإن بيرلمان يعيش في عصر تسلط العقل واحتقار الأسطورة

فإنه لا يفسح لهذه أي دور في الإقناع. بمعنى أن الشاهدية البيرلمانية واقعية وليست

أسطورية»¹.

كما يرى "بيرلمان Perleman" أن للمتلقى دوراً مهماً في تعيين وظيفة الشاهد

من خلال الاستعمال اللغوي التداولي، وأن الشاهد المستعمل ينبغي له لكي يفهم

باعتباره كذلك «أن يتمتع بوضع الواقعة {أي الموجود العيني أو الفعلي} ، على الأقل

مؤقتاً. إن أكبر امتياز لاستعماله هو لفت النظر إلى هذا الوضع»². وهو ما يمكن أن

يتجسد ضمن التحول المعرفي الذي عرفته نظرية الفعل الكلامي في تصورهما للشاهد

¹ - الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص 401.

² . المرجع نفسه، ص 405.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

على أنه يحمل قوة إنجازية عند توظيفه من لدن المرسل في إنجاز فعل كلامي الهدف منه تحقيق أغراض إنجازية معينة من طرف المتلقي.

فالشاهد يكتسب فعاليتها التداولية عندما يؤدي إلى إنجاز فعل كلامي وليس

إلى تغيير في الاعتقاد فقط مما يؤدي إلى تحقيق قوته الإقناعية، فالشاهد كفعل

كلامي غرضه الإنجازي هو تعديل السلوك لا مجرد تعديل الأفكار، وبهذا فهو في نظر

"كارل هينس ستييرل Karlheinz Stierl" «يتشكل انطلاقاً من العوامل الثلاثة الآتية:

الحال فالقرارات مخرج الحال. هذا التقسيم الثلاثي يتحدد انطلاقاً من الترابط

التداولي الذي ينبغي أن ندرج فيه الشاهد، وانسجاماً مع القصد البلاغي الحقيقي،

فإنّ الشاهد يندرج في صيرورة في مقام تداولي مفتوح يتطلب قراراً. إنّ المقام التداولي

والمقام النهائي للشاهد لهما متشاكلان وفي حدود ما تكون الحالة المعطاة والشاهد

مترابطين ترابطاً تشاكلياً فإننا نستطيع تصور مخرج الشاهد باعتباره استشرافاً لمخرج

المقام القابل. يكشف الشاهد عن النتائج الحتمية التي لهذا القرار أو ذاك المتخذ في

المقام المعطى. في هذا التشاكل تقوم القوة الإقناعية للشاهد الذي يدفع بنا إلى إنجاز

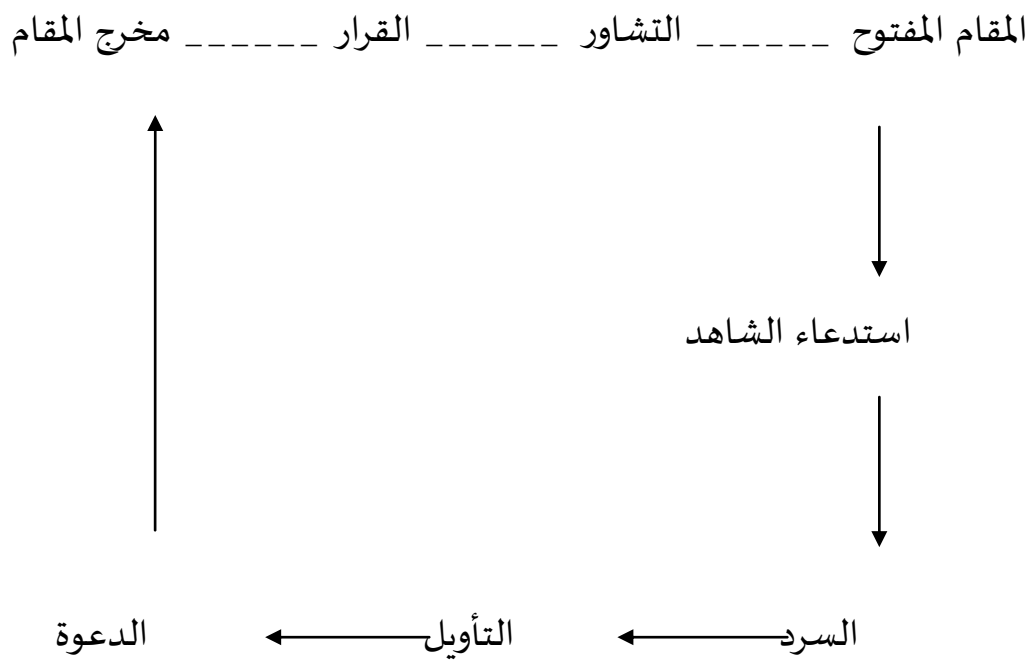
فعل أو إلى التخلي عنه¹. وهنا تصبح مراعاة ظروف المقام ضرورة لتنزيل الخطابات

اللغوية.

¹ L'histoire comme exemple. L'exemple comme l'histoire. In poétique. Stierl Karlheinz n.10. 1972.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

إن المقام التداولي الذي يندرج فيه الشاهد المؤدي إلى إنجاز فعل كلامي بطريقة صريحة أو ضمنية، والعملية التواصلية التي يساهم فيها في ثانيا هذا المقام يمكن تمثيلها بالخطاطة التالية¹:



فانطلاقاً من هذه الخطاطة نجد أنّ "كارلهينس ستيرل Karlheinz Striel" يسعى إلى توضيح الخطوات التداولية التي يقطعها الشاهد الذي ينجز فعلاً كلامياً انطلاقاً من العلاقة بين العوامل الثلاثة التي تؤسس لهذه الخطوات وهي الحال والقرار

¹. الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص418.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

ومخرج الحال. ومن ثمة فإنّ ظروف المقام هي التي تفرض اختيار الشاهد المناسب الذي ينسجم مع مقصدية المرسل والذي يؤدي بدوره إلى فعل إنجازي حتمي المعبر عنه بالسلوك لا بالاعتقاد، وهذا التشاكل بين هذه المراحل يحقق الغرض الإنجازي للشاهد.

ومن نماذج ذلك في "عيون البصائر" للبشير الإبراهيمي نجد:

ما ورد في حديثه عن حوادث الثامن من ماي ووصفه للجرائم الشنيعة التي ارتكبتها فرنسا ضد الجزائريين، يقول "الإبراهيمي": «أين النُّعمان بن منذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النّحس في أحد يوميه وقع على خائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات، بل دهره، كله يوم نحس مستمر، محيت الفواصل بين أيامه ولياليه فكلها سود حوالك»¹، فالشاهد الذي أورده الكاتب متمثل في النُّعمان بن المنذر، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام، و من الأمور التي ميزت النُّعمان يومي البؤس والنعيم، وهما يومان في السنة فمن رأى النُّعمان في يوم بؤسه قام بقتله، ومن رآه في يوم نعيمه قام بإكرامه، فهي قضية ترتبط في الجنس بقضايا الاستعمار، كلها دعائم استشهد بها الكاتب لما تكتسبه من قوة إنجازية لتحقيق غرضه بطريقة غير

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص370.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

مباشرة والمتمثل في ذم الاستعمار الذي كانت كلّ أيامه نحس يطير طائرهما على البلدان الآمنة، فينتزع أمنها واطمئنانها.

كما نورد "للإبراهيمي" مقاماً آخر وصف فيه قرار تقسيم فلسطين الذي كان بمثابة تنفيذ لوعده بلفور؛ وهو بيان أصدرته الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس "وطن قومي للشعب اليهودي" في فلسطين، حيث قال: «وعلمنا نحن أنّ ذلك الوعد وعد إنكليزي وعد بلفور به اليهود عند حاجته إلى ذهيم، كما وعد الشريف حسيناً بخلافة شاملة ووحدة كاملة عند حاجته إلى تخذيل الأتراك، وأنّ الوعود الإنكليزية شيء عرفناه - بزعمنا - بعضه من بعض، يخلف مع اليهود كما أخلف مع الشريف حسين. وتعامينا عن الفوارق العظيمة بيننا وبين اليهود، وبين وعود الإنكليز لنا ووعودهم علينا»¹، وقد استشهد الكاتب بوعد الإنكليز الشريف حسين بجعل الخلافة في العرب بدل الأتراك عندما تحالف معهم ضد الدولة العثمانية، وقد أخلفوا بوعدهم له، مبرزاً بذلك أن وعد الإنكليز لليهود غير وعدهم للعرب، ذلك أنهم ملّة كافرة واحدة ضدنا، بما في هذا الشاهد من قوة إنجازية يريد الكاتب تحقيقها بصورة غير مباشرة؛ هي أنّ علاقة اليهود بالإنكليز بعيدة كل البعد عن علاقتهم بالعرب المسلمين، ذلك أنهم كانوا يعتقدون بأمور كثيرة منها أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم،

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص499.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

وأنه ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وهذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق دائم حتى قيام الساعة، إضافة إلى ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم، وأمن النصارى أن مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية - وقيام دولة صهيون - أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام، وساد الاعتقاد أن النصارى المخلصين سوف يعيشون مع المسيح في فلسطين ألف سنة في رغد وسلام قبل يوم القيامة طبقاً لبعض التفسيرات الحرفية لسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وقد حقق الإبراهيمي باستشهاده هذا غرضه بطريقة غير مباشرة وهو توعية وتذكير العرب بحقيقة أن العروبة في حاجة إلى الاتصاف ببطولة العرب، وأن الإسلام في حاجة إلى من يضحي ويستشهد في سبيله نصرته له، كما تضمن هذا الغرض قوة إنجازية تمثلت في الدعوة إلى الاتحاد ومحاربة اليهود، فهم ليسوا أفضل منا، بل نحن أكثر عدداً وأشجع منهم، وما غلبونا إلا بالعلم والصناعة، حيث تدعمت هذه القوة بأقوال كلامية منها : «...ونعلم أن اليهود لا يكاثروننا بالرجال فرجالنا أكثر، ولا يكاثروننا بالشجاعة فشجاعتنا أوفر، وإنما يكاثروننا بالمال والعلم والصناعة»¹.

¹ - عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص499.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

وفي مقال آخر بعنوان "العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء"، استشهد "الإبراهيمي" بحادثة سراقه بن مالك المدجلي الذي قفا أثر النبي "صلى الله عليه وسلم" وصاحبه أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" يوم الهجرة، فيقول مخاطباً الأقوياء الذين تولوا أمر تقسيم فلسطين: «...إنّ الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقبة. أخذ الأرض لفرس سراقه؛ وإنّ التاريخ سيعصب بكم عارها وشنّارها، وسيئّاتها وأوزارها»¹، فسراقه بن مالك كان من أعرف الناس بالصحراء، وقد لحق النبي "صلى الله عليه وسلم" وأبي بكر "رضي الله عنه" في هجرتهما ليحصل على مكافأة قريش المتمثلة في مائة ناقة، وعندما اقترب منهم غاصت قوائم حصانه في الرمل وشلّ، فطلب من الرسول "صلى الله عليه وسلم" الأمان على أن يدفع الناس عنه، فأمنه الرسول ووعدته بتاج كسرى وسواره، فقد وظف "الإبراهيمي" هذا الشاهد لتحقيق غرض إنجازي غير مباشر هو الوعيد لأولئك الأقوياء، والذي يحمل قوة إنجازية مستلزمة وهي التهديد والذم على ذلك الموقف الشنيع من عداوتهم للعرب، حيث يندرج فعل التهديد ضمن الوعديات بتعبير "سيرل Searle"، ويطلق عليها الالتزاميات وهي تعبر عما ينويه المتكلم². «

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص502.

². التداولية، جورج يول، ص90.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

ونظرا للاطلاع الواسع للإبراهيمي على التاريخ العربي والإسلامي، والذي يتضح من

ضمن ما نقرأه من النصوص المتعلقة بفلسطين، والتي نذكر منها المقال المعنون بـ "

أما عرب الشمال الإفريقي..."، والذي تحسّر فيه عن تقصير العرب في واجبهم نحو

إنقاذ فلسطين، والذي يعتبره واجب جميع العرب، «فهو يرى أنّ اغتصاب فلسطين

وصمة عار في جبين الإنسان العربي، وذنب لا يغتفر، ومهزلة تاريخية وخيمة إذا لم

يعلنها العرب حرباً لا هوادة فيها، وجهادا في سبيل الله لفتح جديد لفلسطين¹، وإن

لم يكن ذلك بإمدادها بالرجال، فليكن بالمال، وفي هذا الموضع يستشهد "الإبراهيمي"

بغزوة تبوك -أو المسماة بغزوة العسرة- فقال: «وإنّ النور الذي أشرق في نفس

عثمان بن عفان فخرج من ماله وجهز جيش العسرة لغير غريب عن نفس مسلم²»

حيث أعسر الوضع على المسلمين قبلها، ولتجهيز الجيش لم يجد الرسول "صلى الله

عليه وسلم" في يده مالا، وكان عثمان بن عفان "رضي الله عنه" من أغنى المسلمين،

فتكفل بتجهيز الجيش من ماله الخاص، ودفع أكبر قسط من ذلك المال، كما دفع أبو

بكر الصديق "رضي الله عنه" قسطاً كبيراً، وفعل عمر بن الخطاب كذلك.

فقد وضع الإبراهيمي هذا الشاهد بين أيدي العرب محققاً به الغرض الإنجازي

الذي يبتغيه بأسلوب غير مباشر وهو استنهاض الهمم العربية لتحرير فلسطين «بدافع

¹. البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص111.

². عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص523.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

من غيرة ونخوة عربيتين، وبسالة إسلامية، بعدما تفهم برؤية عميقة أنّ اغتصاب فلسطين وحرّيتها كانا بالقوة ومحال أن يسترجعا إلا بالقوة¹، وقد تضمن هذا الغرض فعلاً كلامياً كلياً هو تعظيم صحابة الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وتندرج تحته مجموعة من الأفعال الإنجازية الجزئية المتمثلة في المدح الظاهر في قوله: "إنّ النور الذي أشرق في نفس عثمان بن عفان..."، وفي الاعتراف والاعتزاز بهذه الشخصيات الإسلامية العظيمة، والتنويه بما قدمت في سبيل الإسلام في قوله: "فخرج من ماله وجهاز جيش العسرة لغير غريب عن نفس مسلم"، وهي أفعال فيها من فاعلية الفعل الكلامي ما ليس في غيرها².

كما استخدم شواهد أخرى للإفادة منها في تبين دعواه، من ذلك أحذوثة العاصمي التي دَبَّجَ لها أكثر من مقال، نذكر منها مقال "عادت لعتراها لميس"، وهو خطاب موجه لموظفي وعملاء الحكومة والتي توجههم كما تشاء في قوله: «... ويدعى باسمها - كالعاصمي مثلاً - وقالت له: ارم بهذا. فإنما خلقتك لهذا، ورزقتك من أجل هذا، ورفعت ذكرك لمثل هذا، وانتخبتك لتنفيذ هذا، وأوطأت الناس عقبك لتقوم بهذا... ارم دينك باسم دينك، واخذع أمتك باسم أمتك، واكذب على تاريخك باسمه... ولا تنس أنّ من نعمي عليك، أنني أكتب وأنسب إليك... وكفاك

¹ البشير إبراهيمي أديبا، محمد عباس، ص110.

² ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 2005، ج1، ص307.

فخرا أن وجودي هو وجودك: وكفاني نجاحا أن كان للوظيفة لا لله سجودك،
وكفاني ثقة بك أن صرحت بأن مصلحتك هي مصلحتي¹، فقد أراد الكاتب
بتوظيفه هذا الشاهد أن يستدل بهذا على أن موظفي الحكومة هؤلاء كالألة فاقدون
لإرادتهم تماماً، وإن زعموا أن لهم سلطة الشعب، وما هم إلا مأمورون فيطبّقوا
بالحرف الواحد، فحقق بذلك الغرض الإنجازي الذي كان يريده وهو ذمّ العملاء على
خيانتهن الوطن، وخضوعهم للمستعمر، داعماً قوته الإنجازية بذكر الأفعال المأمورين
على إنجازها منها: (ارم دينك ، اخدع أمتك ، اكذب على تاريخك...)، كما تضمن
الغرض فعلاً كلامياً آخر وهو الحسرة والذي يمثل الفعل الكلامي الكلي الذي تتمحور
حوله باقي الأفعال الكلامية الأخرى.

2. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على المثال Illustration

يعتبر المثال من الآليات التي يستعملها المرسل في خطابه اللغوي ، وتكمن
قوته الإنجازية في إقناع المتلقي بأطروحة معينة أو التسليم بما يعرض عليه من أفكار.
وقد أشار إليه "فرانسوا مورو François Moureou" بقوله: «ويبدو المثل واضحاً
بوصفه التعبير عن فكرة معينة بواسطة صورة ما، إن إحداها تعوض الأخرى
اعتماداً على علاقة مشابهة»²، فالمرسل يسعى من خلال الاستدلال بالمثال في مختلف

¹. عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص380-379.

². البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، ص37.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

ونماذج¹. ومن ههنا نجد أن النفس البشرية مرهونة بإيراد المثل لإدراك المحسوس والمجرد معاً.

أما بالنسبة لاختلاف المثل عن الشاهد فإن ذلك يتبدى من «جهة وضع القاعدة التي يسعيان إلى دعمها. ففي حين كان الشاهد مستخدماً لتأسيس القاعدة فإن المثل يضطلع بدور تقوية أو دعم الارتباط بقاعدة معروفة ومقبولة، بتقديم حالات خاصة تضيء الفكرة énoncé العامة وتبين أهمية هذه عبر تنوع تطبيقاتها الممكنة وتزيد حضورها في الوعي»². ويبقى الاختلاف بينهما قائماً على الوظائف المسندة لكل منهما في تحقيق عملية الإقناع أو الحمل على الإذعان. كما أن «الشاهد يؤسس المعرفة ويخلقها حيث لا تكون. وإذا تحول الشاهد إلى مجرد مثال يساند قاعدة قائمة ومدركة فإن الشاهد يكون ترفيلاً وزائداً أو حشوياً. إنه يصبح مجرد توضيح، أي مثال»³. وههنا يتضح الفرق بينهما أكثر بناءً على الدور الذي يلعبه كل منهما في التأثير في المتلقي.

للمثل دور أساسي في تحقيق العملية التواصلية، إذ «يتم الاستدلال أحياناً كثيرة بناءً على المثل المفرد المعزول الذي يُعتمد لتعميم حكم ما أو فكرة معينة،

¹ . النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، صلاح الدين محمد عبد التواب، الكتاب الثالث، ص28.

² - الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص408.

³ - المرجع نفسه، ص408.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة، ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها»¹. فالتمثيل يلجأ إليه المخاطب لدعم القضية المطروحة وتوضيحها أكثر، لأن المثل «يعتبر حجة قياسية تقوم على المشابهة، وقد يكون خيالياً أو حقيقياً»²، ويُعتمد عليه كتقنية لشد انتباه المخاطب أكثر وحمله على الإذعان. كما يمكننا القول إن «المثال هو أقل عرضة للتأويل، حينما يقارن بالشاهد، إذ إننا نكون مسوقين بالقاعدة المعروفة و أحياناً معروفة جداً. يقول واتلي ببالغ الوضوح " إن بعض الشواهد لا تستعمل لأجل البرهنة وإنما لأجل التوضيح، for illustration»³. فدوره توضيحي، ولا يقوم على التأكيد.

يرى "رولان بارث Roland Barthes" في تصوره البلاغي أن «المثال هو الاستقراء البلاغي: فنحن ننتقل من خاص إلى خاص آخر بواسطة حلقة خفية للعامة: إننا نستنتج من موضوع ما الطبقة، ومنها ننطلق لنعطي موضوعاً جديداً. فالمثال يمكن أن يأخذ أيّ بعد، إذ يمكنه يكون كلمة، حدثاً، مجموعة من الأحداث. إنه تشبيه إقناعي، حجة بواسطة التشابه»⁴. وهو بهذا يؤكد دوره الإقناعي في الخطاب التواصلية.

¹ الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، سامية الدريدي، ص243.

² L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux –France -Edition Hatier-1999-p24

³ -الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص408.

⁴ قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارث، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994، دط، ص53.

ومن نماذج ذلك في عيون البصائر ما أورده "البشير الإبراهيمي" في مقاله المعنون بـ "فصل الدين عن الحكومة"، تحدث فيه عن تعامل فرنسا مع الإسلام بما يليق به من كرامة، في حرية الأديان جلباً للراحة والهناء وحسن العشرة ولو إلى حين، وتأثير ذلك في نفوس الجزائريين، فقال: «أكثرنا من ذكر الاستعمار في المعارض التي يلتقي بنا أو نلتقي به فيها حتى كدنا نألفه فتأنس له نفوسنا، ويشغلنا تردد اسمها عن الاستعداد للتخلص منه، كما يشغلنا الإكثار من لعن الشيطان عن الاحتراس من وساوسه، والتحفظ من مكايده»¹، فالكاتب هنا يعترف بانشغال لسانه وقلمه بكثرة ذكر الاستعمار مثلما ينشغل لسان المؤمن بلعن الشيطان، فقد مثل الكاتب تلك الألفة التي أحس بها الجزائريون بذكرهم المستمر للاستعمار، والتي شغلهم عن التفكير في التخلص منه، بلعنة الشيطان المستمرة التي تشغل عن الاحتراس من وساوسه ومكايده، وأورد الكاتب هذا المثال لإدراك المحسوس والمجرد، وعلاقة المشابهة بين الاستعمار والشيطان، وإبراز الغرض الإنجازي بطريقة متضمنة غير مباشرة والمتمثل في الدعوة إلى المجابهة والثورة، داعماً قوتها الإنجازية بسمات لفظية تعكس مدى تأثير الصراع في أسلوب الإبراهيمي.

أما في حديثه عن سياسة الاستعمار في تسيير الإدارة الجزائرية في مقال "عادت لعترها لميس"، فيقول: «ولميس هذه مورد المثل هي امرأة كانت لها عوائد شر

¹ عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 95.

تعتادها، وأخلاق سوء تفارقها ثم تقارفها، لغلبة الفساد فيها وصيرورته أصلاً في طباعها-والعتر هو الأصل- فسيرت العرب فيها هذا المثل. أما في مضرب المثل فهي الإدارة الجزائرية، وعترها هو الاستعمار البغيض إلى كل نفس، وما يقتضيه من ظلم وعنت للمستضعفين، وما يبني عليه من انتهاك لحرمتهم، وما ينتهي إليه من وحشية في معاملاتهم، وقتل معنوياتهم، ومسح لأخلاقهم»¹، استدعى الإبراهيمي هذا المثل العربي المشهور، إذ تقول العرب: "عادت لعترها لميس"، وهي مضرب الوصف في من يرجع إلى عادة سوء تركها، فالعتر، الأصل ولميس اسم امرأة، فتقول العرب عادت لميس إلى عاداتها السيئة التي كانت عليها والتي تركتها من قبل²، فقد لجأ الكاتب ههنا إلى استحضار التراث العربي من خلال هذا المثال، وهي مورد الشرّ مثلها مثل الإدارة الجزائرية، وعترتها الاستعمار وسياسته التعسفية، وذلك لدعم القضية المطروحة وتحقيق فعل كلامي مستلزم يبتغيه الكاتب وهو السخرية والتهكم، ومازالت الأمثال العربية مصدراً يستمد منه الكاتب أدواته الفنية والإجرائية، لما له من أثر بليغ بين الكاتب والمتلقي، سواءً أكان مستمعاً أم قارئاً لهذا النص الإبداعي المعاصر، لأنه يعبر عن واقع الشعب وما عايشه من ويلات الاستعمار الفرنسي، وقد وظفه (المثال) "الإبراهيمي" في عيون البصائر لتحقيق أفعال إنجازية متضمنة لعل أبرزها:

¹ عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص379.

² معجم الأمثال العربية، محمود إسماعيل صيني وزملاؤه، مكتبة لبنان، ط1، 1992، ص92.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

- تبيان مواقف وإيديولوجيات الحكومة الفرنسية، وكشف سياستها.

- تعرية حقائق بعض الشخصيات الجزائرية التي تعمل في الخفاء لصالح فرنسا.

وفي سياق آخر يوضّح "البشير الإبراهيمي" المفهوم السائد للأسابيع في عرف الناس، حيث قال : «يعرف الناس من الأسابيع المضافة إلى معانيها ما يتعلق بمصالحهم، ويتصل بحياتهم الدورية مثل أسبوع العرس، وأسبوع المأتم، وأسبوع الحصاد، وأسبوع الذباب، وأسبوع (طكوك)، وغير ذلك من الأسابيع المختلفة...»¹، فقد مثّل الكاتب الأسابيع في عرف الناس منها : أسبوع العرس، أسبوع المأتم، الحصاد، الذباب...، وكلها تمثّل الظرف الزمني للحادث أو العمل بعيداً عن المفهوم اللغوي وهو سبعة أيام، وهو عرف متعارف عليه من قبل الناس، حيث وظّف الكاتب هذا المثال بغية تحقيق الغرض الإنجازي الكامن في توضيح الأسابيع التي كانت تحدثها فرنسا بطريقة غير مباشرة، وهي ذات معان مختلفة عن المتعارف عليها من قبل الناس، متمثلة في الظلم والوحشية والقسوة، منها أسبوع الإرهاب، أسبوع سب فرنسا...، والفعل التوضيحي هو من ضمن الإثباتيات بتعبير "سيرل Searle"، ويطلق عليها الإخباريات، والغرض الإنجازي من هذه الأفعال هو أن ينقل المتكلم واقعية ما².

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص373.

². ينظر: خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، ص265.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

كما تعرّض الشّيخ "البشير الإبراهيمي" إلى صوم رمضان كفرع من فروع قضية

فصل الدّين، التي خضعت لحكم الاستعمار وجبروته فقال: «وهذا صوم

رمضان...عبادة دينية محضة، وهي أبعد العبادات عن الماديات التي تغري بتدخّل

الطّامعين في شؤونه، فهو أشبه بالفقير الذي ليس معه من المال ما يغري

اللّصوص بالاعتداء عليه، إذ ليس له من الأوقاف ما يقيمه كالصلاة والمساجد، ولا

تفتقر في إقامته وأدائه إلى سفينة أو طائرة تنقل إليه، ولا رخصة انتقال تثير غريزة

التّحكم»¹. فقد مثّل الكاتب لصوم هذا الشهر المبارك الفضيل في بعده عن كل ما هو

مادي ومغري، يدعو إلى الطمع، بالفقير الذي ليس لديه المال الذي يجلب له

اللّصوص، وهي علاقة مشابهة بين المحسوس والمجرد، وعلى الرغم من ذلك امتدّت

إليه يد التسلّط والاحتكار، فقد وظّف الكاتب هذا المثل في هذا المقام لإنجاز فعل

كلامي متضمن في القول وهو الغضب والتعجب من تدخل المستعمر في كل صغيرة

وكبيرة في ديننا الإسلامي، ويدخل فعل التعجب وفعل الغضب ضمن التعبيرات في

تصنيف "سيرل Searle"، وهي أفعال يشترط فيها الصدق والإخلاص، وهما صفتان

يتحلّى بهما الشّيخ "الإبراهيمي"، كما تضمن هذا الغرض الإنجازي فعلاً كلامياً آخر

وهو التعريض بتهاون لجنة الأهله وتقاعسها عن أداء مهامها الدينية والدنيوية، وهي

لجنة أسستها الحكومة للتحكم في هلال رمضان امتثالاً للمراسيم والقرارات الإدارية،

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص174.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

والتعريض هو «الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه، وإنما يقصد معنى آخر، وليس بين المعنيين تلازم»¹، وهو أسلوب ساخر يعتمد الكاتب في إخفاء المعنى المباشر الذي يرغب في إيصاله إلى القارئ باللجوء إلى التعبير غير المباشر.

ودائماً ضمن توظيفه للمثال تحدّث "البشير الإبراهيمي" عن واقع التعليم العربي، ذلك أنه لطالما أدرك قيمة اللغة العربية ومكانتها في توحيد الشعب وإحيائه مما أدى إلى تدخل الاستعمار في تعليمها، فيقول: «...فكلما اشتدّت حركة التعليم وامتدّت، ظهر للحكومة فيها رأي فسنتّ لشلّها قانوناً أو قراراً، وسكتت عن تنفيذه إلى حين؛ كما كانت متسامحة مع الجمعية في أول ظهورها، في إلقاء دروس التذكير في المساجد؛ فلما استفحل ذلك ورأت أنّه مضر بسياستها الاستعمارية، وأنّه تحنيث لها في اليمين الذي قطعته على نفسها، لتحاربين الإسلام في الجزائر ولتحصرنّه في مثل جحر الضب من الضيق، ولتقطعنّ صلته بماضيه وصلته بمطلعه...»²، حيث مثّل تضيق الخناق على التربية العلمية الحرة، وحصر الإسلام في المكان الضيق من قبل الاستعمار بجحر الضب، فحقق بطريقة غير مباشرة غرضه الإنجازي المبتغى وهو تظليم المستعمر، داعماً القوة الإنجازية لهذا الغرض بإشارته إلى

¹ السخرية في أدب المازني، حامد الهوال، الهيئة المغربية العامة للكتاب، 1982، ص 44.

² عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص 250.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

تعود إلى كفاءتهم أو إلى وظائفهم أو إلى المرتبة التي يحتلونها في المجتمع»¹. فتأسيس الحضارة وقيام المجتمعات، يتوقف على وجود القدوة الحسنة التي تؤسس واقع هذه المجتمعات وتبنيه انطلاقاً من سلوك القدوة وأفكارها المثالية القائمة على مبدأ العدل. ومن ثم فإن للقدوة سلطة تُوظف لقيادة الركب.

تقتضي إنجازية الفعل الكلامي القائم على القدوة قيام سلطة تستعمل بفضل شهرتها؛ لأنّ من يُعْتَبَرُ قدوةً يعيش ضمن محيط سميك من الطقوس التي تحمي الصفات المؤمّنة للقدوة ودوامها. إلا أن هذه الحماية والاستمرارية لا تتوقف على الشخص القدوة وحسب بل إن الآخرين يمكنهم الإساءة إليها إذا عملوا على التشبه بها في غير مقامها الأصل. فإذا كان التابع الذي يحاكي القدوة نزاعاً إلى التشابه معه وهو يحاكي هذه القدوة ، فإنه يجعلها بهذا العمل نفسه أقل تميزاً ومن ثمة وجب على المرسل الذي يوظف الفعل الكلامي غير المباشر القائم على القدوة إقامة سلطة تستعمل بفضل شهرتها كضمان للفعل المبتغى، «وهذا هو السبب الذي يلزم أولئك الذين يعرفون أنفسهم بأنهم قدوة ، بالحدّز مما يفعلون ومما يقولون»². لأنهم مثال يحتذى في بناء وتوجيه المجتمع الإنساني.

¹ الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص410.

² -الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، ص410.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

إن للقدوة دوراً بالغ الأهمية في حياة الإنسانية جمعاء ، لما تكتسيه من قدر واحترام في تقليد آرائها وأفعالها وسلوكاتها، وفي المقابل يجب أن نحسن استغلال مبادئ القدوة وثوابتها استغلالاً منطقياً حسناً؛ لأن بعض الآباء أو الأمهات مثلاً يسيئون استخدام طاعة الأبناء لمجرد أنهم قدوات؛ وإن كثيراً من المجتمعات الإنسانية تعاني من التناقض والاضطراب في الواقع المعيش ويرجع ذلك أساساً إلى افتقار قدواتٍ حسنةٍ مثاليةٍ يمكن محاكاة مبادئها وتصرفاتها. الأمر الذي يؤكد "بيرلمان Perelman" برأيه القائل: «إن استقرار النظام الاجتماعي يتقوى حينما تلعب عِلْيَةُ القوم في المجتمع دور النماذج {أو القدوات} وتكون أفعالها قابلة للمحاكاة، وإذا لم تكن كذلك فإن ذلك يكون علامة تفكك واجتياز مرحلة ما تبشر بالثورة، وبادة لتغيير النخب»¹. وهو ما سائر كل الحضارات الإنسانية في سقوطها بعمامة والمجتمعات العربية كأنظمة سياسية بخاصة، رغم تعدد أسباب القيام والسقوط على السواء. فتداولية القدوة يمكن أن تكون إيجابية أو سلبية وكلاهما يرتبط بثقة أفراد المجتمع فيها، فإذا أحسن استخدام ثقتها واحترامها انعكس تحقيق إنجازاتها كفعل كلامي غير مباشر إيجاباً على المجتمع كالاقتداء بالأنبياء والرسل والأعلام الصالحين في المجتمع، وإذا أسيء استخدام ثقتها واحترامها انعكست إنجازاتها كفعل كلامي غير مباشر سلبياً على المجتمع مثل النظام النازي الألماني الذي شكل فيه هتلر قدوة سيء

¹ - المرجع نفسه، ص 411.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

استخدامها لأن الشعب الألماني كان يثق فيه ثقة عمياء فمقابل طاعته له دفع الثمن غاليا في الأرواح والحضارة. فهو يعتبرها قدوة حسنة، ونحن نعتبرها قدوة سيئة لما لها من انعكاسات سلبية على البشرية جمعاء.

ومن نماذج القدوة التي أوردتها "البشير الإبراهيمي" في عيون البصائر حينما تكلم عن جريدة البصائر التي تقيّم الرجل من خلال أعماله التي تتصف بالإيجابية ومواقفه الشريفة، فقد أورد وصفها لكل من "محمد الطاهر بن عاشور" و"عبد الحميد بن باديس"، في قوله: «وقد صدّرت هذا العدد بصورة اثنين من رجال العلم والعمل بهذا الشمال الإفريقي، توافرت شهرتهما وأعمالهما إلى غاية، وتسابقنا إلى أمد، فكان السبق للأعمال. وإذا كانت الشهرة قد تكذب، فإنّ الأعمال لا تكذب، وهي قائلة في كل واحد منهما كلمة، حظ العمل فيها من التنويه أوفر من حظ العامل. ونحن حينما نذكر العمل لا نريد به المعنى القاصر في عرف الفقهاء، وإنّما نريد منه هذه الأعمال العامة النّافعة التي فيها ما في النّور والماء من غذاء وقوة وحياء، وفيها ما في الدهر من استمرار وامتداد. رحم الله الميّت. وبارك في عمر الحيّ، إلى أن تتكامل أعماله، وتتحقّق في إصلاح "الزيتونة" آمالنا وآماله»¹، مثل الشيخ "البشير الإبراهيمي" بهذين الرجلين وأبرزهما كقدوة للجيل الصاعد ليقّتدي بهما في علمه وعمله وسلوكياته، فذكر بذلك أعمالهم التي تستحق الرصد وهي بمثابة الغذاء

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 627.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

والماء والهواء لهم؛ أي هي قوا م الحياة المادية والمعنوية، حيث حقق بذكرها ال غرض

الإنجازي للفعل الكلامي غير المباشر والمتمثل في دعوة جيل اليوم الصاعدة إلى

الوقوف على ما كتبه هذان الرجلان والتمعنّ فيه، إن لم يكن بهدف الاستفادة من

المضمون، فليكن من أجل تحسّس همّ تحقيق نهضة الأمة الذي هو همّ ما فارقهما،

والذي هو غائب عن الأذهان اليوم، كما تضمن هذا الغرض فعلا كلاميا آخر غير

مباشر وهو إبراز الخصال المعنوية للقودة للتخلي بها.

وفي المقام نفسه يفرد "الإبراهيمي" لكل واحد منهما وصفاً خاصاً به، فيقول

عن "محمد الطاهر بن عاشور": «الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في

العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذّرع

بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الإطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد،

وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التّحقيق العلمي، وتفرد بالتّوسع والتّجديد

لفروع من العلم ضيقها المنهاج الزّيتوني، وأبلاها الرّكود الذهني، وأنزلتها

الاعتبارات التقليدية، دون منزلتها بمراحل: فأفاض عليها هذا الإمام من روحه

وأسلوبه حياة وجدة، وأشاع فيها مائية ورونقا، حتى استرجعت بعض قيمتها في

النّفوس، ومنزلتها في الاعتبار»¹، فقد قام "الإبراهيمي" بوصف هذا العلامة وصفاً

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 628.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

منصفاً مبرزاً دوره الفعال في الإصلاح والتجديد على مستوى وطنه (تونس)، والعالم الإسلامي ككل، وذلك عائد إلى أنه كان أوّل شيخ لجامعة الزيتونة التي لعبت دوراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية، فهي أقوال كلامية أراد "الإبراهيمي" أن يحقق بها غرضه الإنجازي بطريقة غير مباشرة وهي التقدير والإعجاب. مما أدّى به إلى الإفاضة في مدحه، فقال: «ومن شأن هذه المواهب المتجمعة في أمثال الأستاذ أنها تكمن حتى تظهرها الحاجة والضرورة، والحاجة إذا ألحّت كشفت عن رجل الساعة، وأخرجت القائم المنتظر، وقد وجدت الحاجة إلى الإصلاح في كليتنا، فوجد الرجل المدّخر، فكان الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور»¹، فهي أفعال كلامية تتضمن غرض إنجازي يبتغيه الكاتب وهو الشكر والتنويه ، وفعل الشكر يندرج ضمن التعبيرات في تصنيف "سيرل Searle"،

ثم ينتقل "الشيخ الإبراهيمي" إلى ثاني تمثيل للقدوة، واصفاً العلامة "عبد الحميد بن باديس"، بقوله: «باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية، ومنشئ مجلة "الشّهاب" مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدى المحمدي وعلى التّفكير الصحيح، ومحيي دوارس العلم بدروسه الحيّة، ومفسّر كلام الله على الطريقة السّلفيّة في مجالس

¹. المرجع نفسه، ص 628.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقن مبادئها، علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم، رحمه الله ورضي عنه»¹. لقد وصف "البشير الإبراهيمي" العلامة المفكر "عبد الحميد بن باديس" واتّخذة قدوة يقتدى به في تلقى العلوم وشتى ضروب الحياة، كيف لا وهو صديقه ورفيق دربه، فهو مفكر ومرشد ومربي، سخر كل طاقاته المادية والبشرية لإصلاح أحوال المجتمع الجزائري والحفاظ على الهوية الجزائرية، الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا. فقد وظف لذلك الكاتب أقوالا كلامية منها: (باني، واضع، منشئ، مربي....) حقق بها غرضه الإنجازي المراد وهو الافتخار والرفعة المعنوية. كما يقول عنه أيضا: «وحسبه من المجد التاريخي أنه أحيا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير، وديننا لابسته المحدثات والبدع، ولسانا أكلته الرطانات الأجنبية، وتاريخا غطى عليه النسيان، ومجدا أضاعه ورثة السوء، وفضائل قتلتها رذائل العرب»². فقد أبرز "الإبراهيمي" دوره في إحياء الأمة الجزائرية، حيث أحدثت معركته إصلاحاً شاملاً فيما وصل إليه الإسلام بعد تخلصه من التحريف والشوائب التي علقت به نتيجة للتفسيرات المشكوك في صحتها حيث

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص 632.

². المرجع نفسه، ص 632.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

تراكمت خلال قرون عدة، كما عملت على تعميم الثقافة العربية بإنشاء مدارس تتولى تدريس اللغة العربية ونشرها في الجزائر، ونشرت الوعي القومي، مما وقف عقبة في وجه السيطرة الاستعمارية، إضافة إلى إحياء مجد الوطن الذي ضيَّعه أحفاده، وبهذا توصل الكاتب إلى تحقيق الغرض الإنجازي بطريقة غير مباشرة وه و مدح الشخصية البادية، حيث تضمن هذا الغرض فعلاً كلامياً مستلزماً تمثل في ذم الاستعمار الذي عمل جاهداً على طمس الهوية الجزائرية، والذم هو أسلوب إنشائي غير طلي يلجأ إليه المتكلم عند استكراه شيء ما.

وفي سياق ثانٍ يقدم "البشير الإبراهيمي" نموذجاً آخر يمثل علماً من أعلام الإسلام وفاهما لأسرار الكتاب والسنة الأستاذ الشيخ "محمد بهجة البي-طار" إذ قال في مدحه : « والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيته فيه، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة، لا بأقدار الأئمة، ويعطي كلاً ما يستحق، جرى على قولة الحق في العلميات، ولكن الجرأة منه يلطفها الوقار، والوقار فيه تزينة الجرأة، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف، متساوي الأجزاء، ملتحم الخلايا، قل أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين»¹. فقد عدد الكاتب فضائل العلامة، كما وصف خلقه من جرأة يصاحبها لطف ووقار ووضوح مكانته ووزنه العلمي، كما لا

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص646.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

وجود لكثير من أمثاله من العلماء، كلها أقوال كلامية (والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، تراه في عالم مسلم من خلق فاضل ...) تضمّنت غرضاً إنجازيَّ أرادَه الكاتب بصورة غير مباشرة تمثل في المدح ، والذي هو من الأساليب الإنشائية غير الطلبية التي يلجأ إليها المتكلم عند استحسانه لشيء ما، حيث تضمن هذا الغرض فعلاً كلامياً آخر وهو الدعوة إلى الاقتداء بهذه الشخصية كقدوة يحتذى بها.

كما أشار "البشير الإبراهيمي" إلى زهد محمد العيد آل خليفة للألقاب التي يتمناها الموالون للأنظمة فقال في حقه: «وأما الأمر الثاني فهو أنّ محمد العيد وأمثاله من المحسنين لفنونهم، قد شبوا عن طوق هذه الألقاب الجوفاء، فزهد فيها زهداً كأنه طبيعي فيه، شأن المتشبع بفنّه، المتقن لصنعتّه، حسبه من الشهود والإتقان والإحسان، أما هذه الألقاب فإنهم لا يرونها بالعين التي يراها بها الناقصون: لا يرونها مكملة لهم، ولا زائدة فيهم، فهم كالسيوف، أروع ما تكون مجرّدة، وإذا كانت قيمة الحاوي بجراجه، فما كانت قيمة السيّف- في عقل العقلاء- بقرابه وإنما هي بالجواهر والفرند، ثم بالتصميم في الضريبة وفي المال كرائم، وما كلّه كذلك»¹، حيث أراد الكاتب من خلال قوله هذا تحقيق غرض إنجازي متضمن في الخطاب تمثل في الكشف عن سر المنزلة التي تبوءها محمد العيد بين معاصريه خلال مسيرة الحركة الوطنية، في عهد الاستعمار، فهو شاعر الشباب، وشاعر الجزائر

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي ، ص675.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

الفتاة في العشرينيات، وشاعر الشمال الإفريقي والعروبة في الثلاثينيات، وشاعر الحكمة والمثل في ذروة النضج الشعري والمعاناة والمقاسات الوطنية في الأربعينيات وما تلاها، وبالرغم من ذلك لم يطمع في الألقاب. حيث لم يعطيها القيمة التي كان يعطيها لها الموالون للأنظمة، فكان همه الوحيد هو انشغاله بشعره وتوظيفه في التوعية والإصلاح آنذاك، وقد دعم القوة الإنجازية للقول الكلامي غير المباشر بمجموعة من الدعائم منها قوله: (قد شَبَّوا عن طوق هذه الألقاب الجوفاء، فزهد فيها زهداً كأنه طبيعي فيه، شأن المتشَبَّع بفنّه، المتقن لصنعتة، حسبه من الشهود والإتقان والإحسان، أما هذه الألقاب فإنهم لا يرونها بالعين التي يراها بها الناقصون)، أما الفعل الكلامي الكلي الذي تتمحور حوله الأفعال الكلامية الأخرى هو استمالة الشباب الجزائري إلى اتخاذ هذه الشخصية كمثلاً أعلى وقدوة يحتذى بها.

وفي مقام آخر تحدث "الإبراهيمي" عن دور جمعية العلماء المسلمين في إحياء المجتمع وإعادة بنائه من جديد، وتوجيهه وفق منهج العقيدة الإسلامية، موقنة أنها الوسيلة المثلى التي تستطيع أن توقظ بها ضمير الشعب وتنبه روحه، ومن ثم إلى وعي ذاته والمحافظة عليها، والعمل على تحريرها، فقال: « وجمعية العلماء هي رمز الدين الصحيح، وهي حارس الفضيلة الإسلامية، وهي المثل المفسّر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها، وهي المثل المضروب في مقاومة الباطل والمبطلين، وهي مظهر القدوة الدينية اعتقاداً وعملاً؛ فهي - لذلك كله - ملئ سمع الأمة وبصرها، وهي

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

الأريج المتضوّع بسمعة الجزائر في العالم الإسلامي»¹، فقد أبرز الكاتب الدور الجليل الذي قام به مشايخة جمعية العلماء المسلمين من خلال كتاباتهم التي كانت تخاطب الوجدان والضمير الإنساني داعية إلى الاقتداء بالعقيدة الإسلامية، وحقق بذلك الغرض الإنجازي الذي ابتغاه وهو إيقاظ الأمة الجزائرية والذي تضمن بدوره الدعوة إلى النضال من أجل العقيدة والدفاع عنها، والتسلح بالحق لأجل الحق ليكون الحق سبحانه نصيرهم، للخروج من برائين الجهل والركود إلى مشارق الحرية والإبداع.

4. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على التناسب Analogie :

يتداخل مفهوم التناسب مع الاستعارة باعتبار هذه الأخيرة جزءا منه، ويتحقق بين الموضوع (المستعار منه)، والشبيه (المستعار له). ويتبدى في إطار نظرية الأفعال الكلامية في تلك العلاقة التي يمكن إدراكها بين شيئين مختلفين، وكل واحد منهما يتأسس على ركنين تربطهما علاقة معينة، فالتناسب إذن هو الذي « يجمع في الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة»².

¹ عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص298.

² علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص323.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

تعدد مفهوم التناسب عند كثير من الدارسين على اختلاف توجهاتهم المعرفية، منه ما ورد عند "الج-احظ" (ت 255هـ)؛ حيث قال: «لكل ضربٍ من الحديث ضربٌ من اللفظ، ولكل نوعٍ من المعاني نوعٌ من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال»¹. ف"الجاحظ" هنا يتحدث عن مناسبة الألفاظ للأغراض، فيطابق بين المناسبة والقاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقامٍ مقالاً، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا بطبيعة الحال جزء من المناسبة، وهو مناسبة النص للواقع الذي يُلقى فيه.

كما نجد تصوراً آخر للتناسب عند "شهاب الدين اللويري" (ت 733 هـ) إذ أوضح فيه معالم وحدوده فقال: "هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر"². وهو بهذا يجعل من الملاءمة والترتيب والتأخي وعدم التنافر ضوابط لتحقيق التناسب.

أما "ابن القيم الجوزية" (ت 751 هـ) فقد قاربه بمصطلح التشابه فقال: «التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة، ولكن متقاربة في الجزالة والمتانة والدقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسي اللفظ الشريف المعنى

¹. الحيوان؛ عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424 هـ، ج3، ص17.

². نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين اللويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ، ج7، ص107.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

السخيف أو على الضدّ، بل يصاغان معا صياغة تناسب وتلاءم ¹ . فالتناسب في

نظره ما كان بين الألفاظ والمعاني وما تحقق بين الألفاظ من تقارب وجزالة ودقة

وسلاسة يكون وقعه على السامع حسن مستحسن. إضافة إلى أنه مركب.

يتألف التناسب في بنيته العميقة من أربعة أطراف؛ «فأنت حينما تقول "علي

أسد" فإنك تعوّض الشخص الشجاع بالأسد، في حين أنك عندما تقول مع بير

كليس "إن الشباب اختفى من الدولة كما لو كانت السماء قد فقدت ربيعها" فأنت لا

تحدث عن شيئين ولكن عن أربعة أشياء هي: الشباب والدولة والربيع ودورة الفصول

الأربعة؛ أي السنة، فكما أن الربيع في علاقته بكل الفصول هو الأروع فكذلك

الشباب في علاقته بالدولة»². فأحلى فصل في السنة الربيع، وأحسن جيل في الوجود

بالنسبة للدولة الشباب فعلاقة التشابه التي تجسد التماسك تتمثل في علاقة الدولة

بشبابها وعلاقة الدورة السنوية بالربيع، وهي التي سعى "بيركليس" إلى توضيحها.

ومثال ذلك يتجسد في علاقة المتنبي بقومه إذ يقول³:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ

¹ .كتاب الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية ، مكتبة الهلال، بيروت، دت، ص128.

² .الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمد الولي، ص423.

³ .ديوان المتنبي، لهنان ، دارالجيل، ص101.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

فأبو الطيب في حديثه عن علاقته مع قومه يقول: «فلا أحسب نفسي واحداً منهم رغم وجودي بينهم كالذهب الذي يوجد في التراب وهو ليس منه»¹. فالمتنبي بنى بيته على علاقتين اثنتين تقومان على التشابه وهما:

الأولى: بينه وبين قومه في صدر البيت من جهة، والتي يبين فيها أنه مهما عاش مع هؤلاء الناس فلا يُعدُّ منهم.

الثانية: بين الذهب والرَّغام في عجز البيت من جهة أخرى، والتي يبين فيها أن الذهب ليس من التراب ولو كان فيه.

فالنسبة القائمة بين شطري البيت هي علاقة تناسب بين شيئين في موضوع معين (الانتماء) لتشابههما.

فعلاقة التناسب القائمة بين العناصر الأربعة (المتنبي وقومه- الذهب والرغام) هي أقدر على الإقناع لأنها تقدم الحقيقة أو الواقع في شكل صورة².

لقد وظف البشير الإبراهيمي مثل هذه الصور القائمة على التناسب في مواطن كثيرة، ومما أورده منها ما تقدم بلسان الأستاذ محمد الغسيري في مقامة رثا فيها "الإبراهيمي" الإمام "عبد الحميد بن باديس"، حيث قال: «من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل، ورئيسنا الأكبر، محمد البشير الإبراهيمي من شرف الخلال

¹. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصطفى السبيتي، لبنان، دار الكتب العلمية، ج1، ص144.

². البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أمحمد عرابي، إشراف أ.د: عبد الخالق رشيد، (رسالة ماجستير)، الجزائر، جامعة وهران، 2008-2009، ص 113.

(نكران الذات) فهو لا يزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات وتنوء بها العصب، وهو مع ذلك لا ينسب الفضل إلا لإخوانه ورفقائه الأموات والأحياء»¹، فعلاقة التناسب هنا قائمة على علاقتين اثنتين:

1. تمثلت الأولى في البشير الإبراهيمي ومكانته التي صنعتها أعماله التي يعجز الغير عن القيام بها.

2 - بينما تحققت الثانية في رفقائه الأحياء منهم والأموات وأعماله التي ينسبها إليهم هو.

فالعلاقة هنا قائمة على أربعة عناصر (البشير الإبراهيمي وأعماله . الأحياء والأموات وأعمالهم المنسوبة إليهم)، وبهذه العلاقة حقق الكاتب فعلاً كلامياً غير مباشر تمثل غرضه الإنجازي في التنويه بالأعمال الحسنة للبشير الإبراهيمي ، والذي يحمل قوة إنجازية دعمها الكاتب بتعداده الصفات التي امتاز بها القدوة والإشارة إلى فضل رفقائه.

وفي سياق آخر نجد "البشير الإبراهيمي" يبين طبيعة القرارات والقوانين المتعلقة بقضية فصل الدين عن الدولة فيقول: «وللحكومة في هذه القضية قوانين وقرارات متشابكة متناقضة كالتى في تلك، وفيها الظاهر، وفيها الباطن، وفيها ذو

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص652.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

الوجهين، وفيها الصريح في الفصل، وفيها ما يقيده»¹، وهو هنا يشير إلى التناسب القائم على الفعل الكلامي غير المباشر ممثلاً في:

1. العلاقة بين التشابك والتناقض في قوانين وقرارات القضية.

2. والعلاقة بين الظاهر والباطن فيها.

3. والعلاقة بين الوجهين المتناقضين.

4. والعلاقة بين المقيّد والصريح.

وهنا تناسب قائم بين علاقات أربعة ، غرضه الإنجازي كشف نفاق الاستعمار واحتياله على ثوابت الأمة بواسطة القوانين المخادعة ، والذي تضمن غرضاً إنجازياً آخر هو إبراز نوايا المستعمر في قضية فصل الدين عن الدولة.

وغير بعيد عن ذلك في سياق آخر خاطب الإبراهيمي الشباب الجزائري في مقال بعنوان: "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"، ترفع فيه عن أسلوب الوعظ والإرشاد الذي قد ينفر منه الشباب ولا يجد عنده استجابة، وابتكر لذلك طريقة سبق بها أحدث الطروحات العلمية المستعملة في علم النفس التربوي والتنمية البشرية، حيث يقول: «أتمثله... متقلبا في المنجبين والمنجبات، كأنما ولدته خندف، أو نهضت عنه أمّ الكملة، أو حضنته ثماضر الخنساء لعوبا بأطراف الكلام

¹ - عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص90.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

المشقق...»¹، فالكاتب ههنا وظف علاقة تناسب قائمة على فعل كلامي غير مباشر

تمثلت في العلاقة القائمة بين الشباب وأمهاتهم حيث أوردتها بشكل متوازي:

1 . علاقته بخندف التي ولدته.

2 . وعلاقته بأم كملة التي نهضت عنه.

3 . وعلاقته بأخت بني سهم التي حضنته.

4 . وعلاقته بالخنساء التي حنكته²، وهي من خير نساء العرب نخوة وغيره وشرف.

فهن رمزاً للأم الصالحة التي تُعدّ جيلاً صالحاً أيما إعداد، وقد حقق الكاتب بهذه

العلاقة غرضاً إنجازياً متمثلاً زرع الطاقة الإيجابية في المتلقي، داعماً قوته الإنجازية

بعرض رؤيته على ما فيها من تفاؤل وتطلع وأمل وإيجابية، وترك له الخيار إما أن

يكون على هذه الصورة التي يتخيلها، أو لا يكون من خلال النداء الذي اختتم به

المقال، حيث قال: « يا شباب الجزائر هكذا كونوا.... أو لا تكونوا.... »³.

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص590.

². خندف: هي ليلي بنت خلوان بن قضاة زوجة إلياس بن مضلر بن معد بن عدنان وأم أولاده أم كملة: هي فاطمة بنت الحرشب الأنمارية إحدى منجبات العرب والكملة أبنائها الأربعة.

³. أخت بني سهم: هي ربطة بنت سعيد ابن سهم، أنجبت ثمانية رجال أكبرهم هاشم بن مغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه.

. تُماضر بنت عمرو بن الشريد أخت صخر، الخنساء الشاعرة المشهورة، وتحريضها لأولادها على الجهاد واستشهدوا كلهم فحمدت الله.

³. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، ص592.

وفي مقال آخر بعنوان "الكلمة الأخيرة" وجهه إبراهيمي إلى الأمة الجزائرية، عبّر فيه عن موقفه واستيائه المضمّر من الاستعمار، موظفا في معاني الرفض الصارخ، قائلا: «يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً، وإن الاستعمار شر، ومحال أن يأتي الشر بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب»¹، حيث يرى إبراهيمي أن الاستعمار حاله حال الشيطان في الخبث والشر، وبما أن الشيطان عدو، فالاستعمار كذلك عدو، ولذا قام بتوظيف "التناسق" في استحضار المثل القائل: "إنك لا تجني من الشوك العنب"، ويُضرب هذا المثل لمن يرجو المعروف من غير أهله، أو لمن يعمل الشر فينتظر من ورائه الخير، أو لمن يحاول إصلاح شخص سيء التربية، ليصنع منه علاقة تناسب متمثلة في مقابلته الشر بالشوك، كما قابل الخير بالعنب، وظفها لتحقيق غرض إنجازي بأسلوب غير مباشر وهو النفي فمحال أن يأتي الشر بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب؛ أي أن الشيطان عدو وشر لا يأتي منه الخير لوطن الحبيب، كما تضمن غرض النفي أغراضاً أخرى مستلزمة متمثلة في تعبئة الشعب الجزائري الغافل، وقهر دعاة الاستعمار وأنصاره. ومرة أخرى برز التناسب في مقال بعنوان "سجع الكهان"، في قوله: «... ويل للعرب من ملوكهم، وويل للعجم من سلوكهم، وويل للروم من صعلوكهم، جنّت

¹- المرجع نفسه ، ص321.

الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر

على الأصفر ناره، وعلى الأبيض ديناره، وعلى الأسود فدامته واغتراره، على العربي ركه البطي، ولسانه النبطي¹، يظهر التناسب من خلال التقابل في الألوان:

1. جنّت على الأصفر ناره.

2. جنّت على الأبيض ديناره،

3. وعلى الأسود فدامته واغتراره.

4. وجنت على العربي ركه البطي ولسانه النبطي.

وهي أقوال كلامية وظفها الكاتب وحقق بها غرضه الإنجازي غير المباشر ألا وهو ذم الواقع التاريخي المشين للدول العربية والإسلامية آنذاك، وتضمن هذا الغرض بدوره الوعيد للعرب والعجم والروم داعما القوة الإنجازية بأقوال كلامية منها (ويل للعرب ، وويل للعجم ، وويل للروم)، ويندرج فعل الوعيد ضمن الوعديات وفق تصنيف "سيرل Searle".

¹. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي ، ص599.

خاتمة

خاتمة:

في خضم هذه الرحلة العلمية حاولت مقارنة خطابات الشيخ "البشير الإبراهيمي" تداولياً، والوقوف على مدى صلاحيتها لإسقاط الآليات اللسانية التداولية عليها بعامة وآليات نظرية الأفعال الكلامية بخاصة، إضافة إلى التأكد من كفاءتها اللسانية في ملامسة المعاني المرادة من خلال الأنساق اللغوية، فأفضت هذه الدراسة إلى الكشف عن خبايا الخطاب اللغوي بتقديم قراءة تأويلية لهذه الخطابت اللغوية الإصلاحية، فاستخلصت جملة من النتائج أهمها:

1. إن تأسيس التداولية الحديثة يرجع أساساً إلى فلاسفة اللغة الذين وضعوا الحجر الأساس لهذا المذهب العلمي الذي يهتم بالاستعمال اللغوي وهم "أوستين" و"سيرل" و"غرايس".

2. أولت فلسفة اللغة العادية اهتمامها بالجانب الاستعمالي للغة، كما عالجت معظم القضايا التي تعد من صميم البحث التداولي اللساني، كالقصديّة، والملاءمة، والاستلزام الحوارية، والمضمّر، والسياق التواصلية وغيرها.

3. تنهل التداولية وتتداخل مع علوم شتى مثل: الفلسفة، علم الدلالة، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي، تحليل الخطاب، أصول الفقه وغيرها، وهذا بغية التبليغ والتواصل، كما ركزت اللسانيات التداولية على عمق التحليل ودقة النتائج فلهتمت بللعنى الحرفي و الضمّني وركزت على هذا الأخير لمعرفة مقاصد المتكلم: أي

أنّها دراسة استدلالية في ذهن المتلقي من خلال تحليله للخطاب بغية وصوله للمعنى المراد.

4. تربط التداولية بالبلاغة علاقة تكاملية لأنهما يلتقيان في كثير من المفاهيم المركزية ، كالعدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب إلى معاني أخرى ضمنية تستفاد من السياق والظروف المحيطة بالموقف الكلامي، ويعالج كل منهما قوة التأثير في الأخير وكيفية إقناعه وبيان المقاصد التي يهدف المخاطب إلى تحقيقها.

4. ترى نظرية الأفعال الكلامية من منظور تداولي أنّ اللغة تعبّر عن أفعال، وتعبّر أيضا عن مواقف فعلية لذا سمّيت بالعبارات التي تتلفّظ بها أفعال الكلام.

5. يعتبر الفعل الإنجازي أهم عنصر من العناصر التي تمثل الفعل الكلامي ؛ إذ هو الذي ينجز من خلاله الفعل الحقيقي من وراء الكلام الحرفي، فتوصل المتلقي على مقصد الباث في مقام معيّن ، كما أن للمقام ومقتضى الحال دوراً في مساعدة المخاطب على إدراك المعنى المستلزم (غير المباشر).

6. تكون الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب اللغوي ضمنية وخفية، على شكل قوة إنجازية تكمن داخل بنيته. وتسعى إلى إقحام عالم المتلقي وإرغامه على إمعان عقله، في فهم ما خفي من أسرار في هذا الخطاب. وهو ما يجعل الفعل الكلامي يتجاوز منطق التفسير إلى التأويل المفتوح على تعدد الاحتمالات والقراءات؛ فما يكون خفياً على مستوى الخطاب يكون أبلغ مما يكون صريحاً يمنح للمتلقي جاهزاً دون إمعان

عقله وتفكيره، فأجزاء الخطاب تتماسك وتتسق وتنسجم فيما بينها بطريقة خفية، لا نكاد نلمسها إلا بالقراءة المعمقة المتأنية التي يسعى المتلقي من خلالها فك شفرة الخطاب، والدلالات العميقة الكامنة فيه.

7. ينتج عن الصيغة اللغوية الواحدة المستعملة في الخطاب عدّة درجات في المعنى، أولها: المعنى المباشر (معنى الصيغة)، والثاني: معنى المعنى، وهو القوة الإنجازية غير المباشرة، والثالث: معنى معنى المعنى وهو قوة إنجازية مستلزمة.

8. أما بخصوص رؤيتنا في تقسيم الأفعال الكلامية عند الدارسين التداوليين ، فقد استقر اختيارنا على التّقسيم الخماسي المعدّل الذي قدّمه "سيرل Searle" لأنه تجاوز القوة الإنجازية للقول وهو أقرب إلى الحقيقة في ارتباطه بالغرض الإنجازي الذي يبتغيه المرسل.

9. إذا كان الخطاب الإصلاحي للشيخ "البشير الإبراهيمي" كباقي الخطابات اللغوية التواصلية الأخرى يهدف إلى جعل المتلقي مهياً للتلقي، فإنّ كلا من الفعل الكلامي المباشر (الظاهر) والفعل الكلامي غير المباشر (المضمّر) يساهمان في تحقيق الغرض الإنجازي للخطاب عنده.

10. وما زاد هذه الأفعال الكلامية قوة إنجازية تدعم أغراضها هو أنّها وردت في بنية إقناعية تمكن من خلالها "البشير الإبراهيمي" من إكسابها طاقة حجاجية لا غبار عليها أدّت فعلاً دورها المحوري لتحقيق فاعليتها الإقناعية التداولية.

11. إن تفسير النص انطلاقاً من المناسبة التي حرّر أو قيل بصددّها يضيق إن لم نقل يسدّ الباب أمام التّأويل الذي لا طائل منه، فالسّياق التاريخي يجعل المتلقي في تمام الوعي لاستيعاب ثمرات الخطاب، ولا يسرح بالفكر عن البدلات المطلوبة تبليغها للمتلقى سواء كان توعية، حتّى، دعوة، تأثيراً، تقديراً، توبيخاً، تعهداً، مدحاً، ثناءً، وعداً أو وعيداً...، تصبّ كلّها في الإصلاح، وهذا ما جعل المنهج التّداولي الأصل لمقاربة هذه النصوص إلى لغة الاستعمال.

12. تنوّعت أصناف الفعل الكلامي من تعبيريات وإثباتيات والتزاميات و تصريحيات، ولكن الحضور المكثف في الخطابات كان للتّوجهيات، نظراً لكون الخطاب اللغوي الإصلاحي يروي أحداثاً تاريخية.

13. تعتبر الأفعال الكلامية الأكثر استعمالاً في خطابات "البشير الإبراهيمي" اللغوية، كما يغلب استعمال القوة الانجازية الضمنية أكثر من القوة الانجازية الصريحة، ولعلّ ذلك راجع إلى ثقة المرسل في الكفاية التداولية للمتلقى، وفي كفاءته على التّأويل والفهم.

14. مثلت الصور الفنية التي يلجأ إليها كفعل كلامي عند الشيخ "البشير الإبراهيمي" آلية من آليات الإقناع لم تحمله من جمالية هادفة لاستمالة المتلقي، فتجعله يقتنع بما يعرض عليه من أطروحات لإشباع عقله ومشاعره معاً، وقد كان لانتمائه إلى المدرسة المحافظة المعتمدة على الصنعة اللفظية التي تعنى باختيار الألفاظ وتزيين

العبارة بألوان البيان والبديع دون إهمال المعنى، الدور الرئيس في اعتماده على الأساليب التي تعكس رصيده اللغوي الثري من كلام العرب القدامى، ولم يكن "الإبراهيمي" مجرد مستنسخ لهذه الألوان، بل كان ينتقي ألفاظه وعباراته القولية حسب الأغراض الإنجازية التي كان يبتغيها، فكان يمزج بين الصور البيانية التي تحمل معاني تستوجب التلميح أو التصريح عنها عندما يلقي لقلمه العنان للتصوير الذي يلقي صدى أكثر تأثيراً في قلب القاري. كما استعمل أنواعاً من البديع منها التورية التي كان الهدف منها إخفاء معنى بعيد يريده في ظل معنى قريب يصحّ به مما يزيّن العبارة ويثريها بالإيقاع للتأثير في ذهن المتلقي، كلها فنون تداخلت وتكاملت فأدت وظائف أسهمت في إبراز المعنى المقصود وغرضه من نصّح وإرشاد وتذكير وعد ووعيد وتحذير وتوبيخ بطريقة غير مباشرة.

15. يعدّ التشبيه من أكثر صور البيان تداولاً وتوظيفاً، استخدمه "البشير الإبراهيمي" لتحقيق أفعال إنجازية غير مباشرة تدل على عدّة أغراض منها المدح، الوعد، الوعيد، الذم... إذ لا يمكن تحقيقها بتعبير مباشر.

16. كما تضطلع الاستعارة في حقل اللسانيات التداولية بدور إقناعي قائم على قوتها الإنجازية التي تحملها والقوة المتضمنة فيها، أما في إطار نظرية الأفعال الكلامية فهي تضطلع بدور إنجازي باعتبارها وسيلة رئيسة ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال الكلامية غير المباشرة.

17 . أما الكناية باعتبارها ترك التصريح بذكر الشيء ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك؛ أي التعبير عن معنى ما بصورة غير مباشرة، فقد استخدمها "البشير الإبراهيمي" لهذا الغرض في طبقات مقامية متعددة.

18 . كما تهدف الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم من منطلق قوتها الإنجازية في الخطابات اللغوية إلى إثبات أو توضيح أو تقوية قاعدة معينة ويختلف تبعاً للوظائف التي تسند إليه، فحينما يسعى إلى "إثبات" قاعدة يدعى شاهداً exemple. وحينما يعمل على مجرد توضيحها يدعى مثلاً illustration. وحينما يعمل هذا الشيء على حمل المتلقي على الاقتداء به يدعى قدوة modèle.

19 أما الشيخ "البشير الإبراهيمي" فقد حقق الغرض الإنجازي لهذه الخطابات الإصلاحية الهادفة، إذ بمجرد تلفظه بهذه الخطابات كأقوال كلامية تمكن من إقناع الشعب الجزائري للتصدي لكل الحملات المغرضة التي تعرضت لها الأمة الجزائرية بصفتها عربية إسلامية في مسيرتها الطويلة، ففي ضوء المنهج الوظيفي التداولي في دراسة اللغة تبين أنها لا تظهر القدرات العادية، بتجسيد مبدأ إجرائي ألا وهو القصديّة.

وفي الأخير نرجو من المولى عز وجل أن تكون هذه الجهود البحثية خالصة لوجهه الكريم، وأن تساهم في خدمة البشرية جمعاء، فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي فحسبي المحاولة وعلى الله الكمال.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

الفران الكريم برواية حفص

1. الاتصال اللساني وآلياته التداولية، سامية بن يامنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
2. آثار محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج3.
3. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة. ج4.
4. أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
5. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المت حدة، ليبيا، ط1، 2003.
6. الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، محمد الولي، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط1، 2005.
7. الإستلزام الحوارية في التداول اللساني، العياشي أدراوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2011.
8. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار المدني جدة، مطبعة المدني القاهرة، ط1، 1991.

9. الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، مسعود بودوخة، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، دت.
10. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة . دارالمعرفة الجامعية الإسكندرية، ط1، 2006.
11. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد متوكل كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
12. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، القزويني، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
13. الأمر والنهي في اللغة العربية ، نعيمة الزهري : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني مطبعة المعارف الجديدة : الرباط 1997 .
14. البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، تح: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1987.
15. البشير الإبراهيمي أديبا، محمد عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، دت
16. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1992.
17. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم قصة يوسف نموذجا، قراءة في ضوء مفاهيم السرد، إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، مصر، مكتبة الآداب، ط1، 2008.

18. البلاغة العربية علم المعاني، أحمد محمود نحلة، دارالمعرفة الجامعية، دط، 2002.
19. البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير، دارالخطابي للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 1989.
20. البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002.
21. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ج20، مادة (وراه).
22. تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2012.
23. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح اسماعيل، دار التنوير، لبنان، ط1، 1993.
24. تحرير القواعد المنطقية قطب الدين محمد بن محمد الرازي في شرحه الرسالة الشمسية، نجم الدين علي الكاتب. القزويني في حاشية الشريف الجرجاني منشورات بدار ط2. 1384هـ.
25. التداولية: البعد الثالث في سيميوطيقا مورس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، مكتبة بلنسية، مصر، ط1، 2009.
26. التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتاي بالدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010.

27. التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث،، الأردن ط1، 2011.
28. التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة . ط1 ، 2005 .
29. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلار. وأن روبول، تر: سيف الدين دفعوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2003، 1
30. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فبليب بلانشيه، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.
31. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: مصطفى السيد وزملاؤه، مؤسسة قرطبة طباعة نشر توزيع. مصر.
32. ثقافة البشير الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، عيون البصائر أنموذجاً، إعداد: محمد محيي الدين، إشراف سيدي محمد غيثري، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2007 . 2008.
33. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني) مصر، دار المعارف، ط3، 1976.
34. جماليات الأسلوب، فايز الداية، مطبوعات جامعة حلب، 1982.

35. الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد السالم ولد الأمين الطلبة، ليبيا، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2008.
36. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتاب الحديث، تونس، ط1، 2008.
37. جماليات الأسلوب، فايز الداية، مطبوعات جامعة حلب، 1982.
38. خطاب الحجاج والتداولية. دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013.
39. الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2013.
40. دوي في البلاغة العربية، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992.
41. ديوان المتنبي، أبو الطيب حسن الجعفي المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.
42. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، 2005، ج1.
43. السخرية في أدب المازني، حامد الهوال، الهيئة المغربية العامة للكتاب، 1982.
44. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مصطفى السبيتي، لبنان، دار الكتب العلمية، ج1.
45. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002.

- 46 . صحيح مسلم بن الحجاج، أبو الطيب صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، نشر وزارة الشؤون الدينية، قطر، ج 5، 1984.
- 47 . الصورة البيانية في شعر أبوريثة، وجدان عبد الإله الصائغ، دار مكتبة الحياة، ط 1، 1997.
- 48 . الصورة الفنية في شعر بن معتر، زكية خليفة مسعود، منشورات جامعة فان يونس، بنغازي، ط 1، 1999.
- 49 . العقل واللغة والمجتمع . الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2006.
- 50 . علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ، ط 1، 2009.
- 51 . علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت ، لبنان، دت.
- 52 . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، لبنان، ط 5، 1981.
- 53 . عيون البصائر، محمد البشير الأبراهيمي، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
- 54 . الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، دط، دت، ج 10.
- 55 . فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، إشراف وتنسيق عبد العزيز العيادي وبشير ربوح، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2015.
- 56 . فنون بلاغية، أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية، الكويت، ط 1، 1975.

57. فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954 ، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983.
58. في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، على محمود حجي الصراف، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 2010 .
59. في البلاغة العربية، علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
60. في قلب المعركة، محمد البشير الإبراهيمي، دار الأمة، الجزائر، دط، 2007.
61. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خلفية بوجادي ، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1 ، 2009.
- 62 . قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارث، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994، دط.
63. الكافي في البلاغة، والبديع والمعاني، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت.
64. كتاب الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، مكتبة الهلال، بيروت، دت.
- 65 . اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، محمد سويريتي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد3، 2000.

66. اللغة والعقل والمجتمع ،الفلسفة من العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.
67. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله الكبير وزملاؤه، دارالمعارف، القاهرة.
68. اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني(قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين)، مرتضى جبار كاظم، دارالأمان، الرباط، ط1، 2015.
69. اللسانيات الوظيفية :مدخل نظري، أحمد متوكل، منشورات عكاظ، الرباط، د ط 1987.
70. اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، جورج لايكوف، ترجمة: عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق، 2008.
71. اللسان والميزان أوالتكوثرالعقلي، طه عبد الرحمن، المغرب، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2006.
72. المحصول في علم الأصول، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، ط1 1999، مج 1.
73. مدخل إلى اللسانيات التداولية ،جبلالي دلاش ، ترجمة: محمد بحيان ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1986 .
74. معالم التربية، فاخر عاقل، دارالعلم للملادين، بيروت، ط1، 1974.
75. معجم الأمثال العربية، محمود إسماعيل صيني وزملاؤه، مكتبة لبنان، ط1، 1992.

76. معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، دط، دت.
77. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986.
78. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ضبطه: نعيم الزرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.
79. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، ط1 1987.
80. مقالات في النقد الأدبي، رشاد رشدي، دار الجيل للطباعة، مصر، ط1، 1962.
81. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، ابن يعقوب المغربي،
82. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تعليق: محمد حسنين مخلوف، دار الفكر.
83. النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.
84. النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر القنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000.
85. نظرية أفعال الكلام العام كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ت عبد القادر قنيني، المغرب، إفريقيا الشرق، ط2، 2008.

86. نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، محمد هشام وسعيد نجار، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

87. النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2003، الكتاب الثالث.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

88. الأسس النظرية لمنهج التغيير عند الإبراهيمي، إعداد محمد زرمان، أطروحة دكتوراه، إشراف: العربي دحو، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 1994. 1995.

89. الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، إعداد: مسعود صحراوي، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، جامعة باتنة، الجزائر، 2003. 2004.

90. الأفعال الكلامية في سورة الكهف. دراسة تداولية، إعداد: آمنة لعور، إشراف: زهيرة قروي، رسالة ماجستير في اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010. 2011.

91. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أمحمد عرابي، إشراف أ.د: عبد الخالق رشيد، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة وهران، 2008-2009.

92. الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، إعداد: لبنى دلندة، إشراف: محمد منصوري، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، الجزائر. 2015. 2016.

. المجلات:

93. الأديب العربي والشعب، عبد الله شريط، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 13، 1973.

94. التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عبد القادر فضيل، مجلة الوعي، ع2.

المراجع الأجنبية

95 - Dire et ne pas dire (principes de sémantique linguistique) Oswald Ducrot :

collection savoir : sciences humaines .3ème édi. Paris. France. octobre 1991.

96 - Expression and meaning ,studies in the theory of speech act , John ;

Searle, Cambridge. University Press, 1981.

97 - L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux –France -

Edition Hatier-1999.

98 . Les actes de langage (essai de philosophie du langage) , John Searle, Collection

savoir lettres, Hermann, Paris, nouveau tigre, 1996.

99 . Les actes de langage : essai de philosophie de langage : John R (Searle) ,

Hermann (Paris) 1972.

100 .Quand dire C est Faire ; John Austin.. Introduction traduction, Grilles

lane :postface de François Récanati ;édition du Seuil (Paris)1970.

101 .Searle, traduit par Joelle Proust, les éditions de Minuit, Paris, 1982,

102 .L'histoire comme exemple. L'exemple comme l'histoire. In poétique

.Stierl Karlheinz n.10. 1972.

فهرس الموضوعات

العناوين.....الصفحة.

مقدمة..... أ.

مدخل: نظرية الأفعال الكلامية (النشأة، التطور، المصطلحات والمفاهيم).....01

1. نشأة نظرية الأفعال الكلامية.....02

2. الأفعال الكلامية و الفكر التداولي.....06

3. الأفعال الكلامية عند العرب.....21

الفصل الأول: الأفعال الكلامية المباشرة في عيون البصائر.....37

1. ماهية الفعل الكلامي المباشر.....38

1.1. تصور أوستين للفعل الكلامي المباشر.....39

2.1. تصور سيرل للفعل الكلامي المباشر.....60

الفصل الثاني: الفعل الكلامي غير المباشر في عيون البصائر.....80

1. ماهية الفعل الكلامي غير المباشر.....81

1.1. تصور جون أوستين للفعل الكلامي غير المباشر.....83

2.1. تصنيف جون سيرل للفعل الكلامي غير المباشر.....83

3.1. مساهمات بول غرايس.....92

- 4.1. أهمية الفعل الكلامي غير المباشر.....97.
- 5.1. أهم الفروق بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة 104.
- 6.1. الأفعال الكلامية غير المباشرة وفق تصنيف سيرل.....106.
- 1.6.1. الإثباتيات.....106.
- 2.6.1. التوجيهيات.....111.
- 3.6.1. الإلتزاميات 122.
- 4.6.1. التعبيريات.....124.
- 5.6.1. التصريحيات.....129.
- الفصل الثالث: الأفعال الكلامية غير المباشرة المجازية في عيون البصائر..133.
1. الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التشبيه.....144.
- 2 ... الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على الاستعارة.....155.
3. الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على الكناية.....166.
4. الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التورية.....172.
- الفصل الرابع: الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم.....179.
1. الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التلازم في عيون البصائر.....180.

1.1 . الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على الشاهد.....	182.
2.1 . الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على المثال.....	194.
3.1 . الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على القدوة	203.
4.1 . الأفعال الكلامية غير المباشرة القائمة على التناسب.....	213.
خاتمة.....	222.
قائمة المصادر والمراجع.....	229.
الفهرس.....	241.

الملخص

تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين المفاهيم القاعدية التي يقوم عليها المنهج التداولي الذي يهتم بدراسة الاستعمال اللغوي و كيفية تحقيق التواصل اللغوي بين المتخاطبين وفهم مقاصدهم، وطريقة إنتاجهم لفعل تواصلية أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد يتم من خلاله التعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى فعل تواصلية مرتبط بالوظيفة المرجعية التي تضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل كي يتحمل مسؤولية الفعل الكلامي، لهذا ركزت التداولية على دراسة الأساليب الكلامية ومراقبة الآثار الدلالية المرتبطة بالمواقف المقامية. ظهرت نظرية على يد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين John Austin" (1911-1960) في محاضراته "كيف ننجز الأفعال بالكلمات Quand dire c'est faire"، وازدهرت على يد تلميذه "جون سيرل John Searle" إضافة إلى إسهامات "بول غرايس Paul Grice". أتاحت تداولية أفعال الكلام لتحليل الخطاب منهجية لسانية جديدة من حيث أنها نظرية للكلام بوصفه فعلا لغويا (Speech act) يدل عليه قصد المتكلم، وترمي هذه الأفعال إلى إنجاز الأشياء بالكلمات، أو صناعة الأفعال، ومواقف اجتماعية وذاتية بالكلمات؛ أي ترمي إلى التأثير في المخاطب بحمله على فعل، أو ترك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد أو وعيد، أو إبرام عقد، أو فسخه، أو إفصاح عن حالة نفسية معينة.

الكلمات المفتاحية :

الخطاب اللغوي؛ الأفعال الكلامية؛ المرسل؛ المتلقي؛ التلازم؛ القوة الإنجازية؛ الإقناع؛ التلميح؛ التأثير؛ البشير الإبراهيمي.

نوقشت يوم 07 جويلية 2019